

بديع الزمان
سعيد النورسي

ترجمة

احسان قاسم الصالحي

مختارات من
كليات رسائل النور



بديع الزمان
سعيد النورسي

ترجمة
احسان قاسم الصالحي

١٤٠٣هـ الطبعة الاولى ١٩٨٣م

مطبعة العاني ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد : فهذه مقتطفات من أزاهير « رسائل النور » لم نتكلف اختيارها ، بل جاءت كما شاء الله تعالى ، فكانت هذه البحوث الايمانية التي وفقنا المولى عز وجل على القيام بترجمتها من أصلها التركي ، وقامت مجلة التربية الاسلامية الغراء التي تصدر ببغداد على نشرها طيلة اربع سنوات خلت • وقد جمعناها الآن وفق مواضيعها ، ولم نزد فيها شيئاً على ماكان الا مادعت اليه الحاجة من وضع عناوين أو تعليقات قليلة في الهوامش لتوضيح فكرة او الاشارة الى مرجع •

ومؤلف « رسائل النور » الاستاذ النورسي ، ولد في سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٣م) في قرية (نورس) قرب بحيرة (وان) الواقعة شرقي تركيا • درس العلوم الاسلامية كلها واتمها ، وتغلب في جميع المناظرات والمناقشات التي دخلها مع العلماء •

ثم اتجه الى دراسة مختلف العلوم والفنون الحديثة حتى لقب بـ « بديع الزمان » اذ كان آية في الذكاء والحفظ •• قابل السلطان عبدالحميد الثاني وخلفه السلطان رشاد وطالبهما بانشاء جامعة اسلامية في شرق الاناضول على غرار جامعة الازهر تدعى « مدرسة الزهراء » تجمع بين العلوم الاسلامية والعلوم الحديثة ، الا ان نشوب الحرب العالمية الاولى حال دون تحقيق رغبته • وفي اثناء الحرب قاد فرق « الانصار » المتطوعين ضد الروس ،• وعلى الرغم من ذلك لم ينس واجبه الاساس وهو « خدمة القرآن الكريم » اذ الف تفسيره المسمى « إشارات الاعجاز في مظان الايجاز » باللغة العربية في ساحات الجهاد ••• وفي احدى المعارك جرح جرحاً بليغاً فوقع اسيراً بيد الروس وسيق الى معتقلات الاسرى في سيبريا ، وظل فيها

سنتين وأربعة أشهر ، وحكم عليه بالاعدام لموقفه الجريء من القائد العـام الروسي الا ان العناية الالهية ادركته في اللحظات الأخيرة ونجا من الاعدام ٠ ثم ادركته هـذه العنايـة ثانية ، فتمكن من الفـرار الى المانيـا فالنمسـا فاستانبول ، وهنالك عين عضواً في « دار الحكمة الاسلامية » التي كانت اعلى مجلس علمي تابع للمشيخة الاسلامية ، وبدأ في التأليف ونشر نحواً من احد عشر مؤلفاً باللغة العربية تدور جميعها حول الاركان الايمانية ٠٠ وعندما دخل الانكليز «استانبول» في مارت سنة ١٩٢٠ بعد ان خسرت الدولة العثمانية الحرب ، قام النورسي ضدهم وألب الناس عليهم والف كتابه « الخطوات الست في » رد مكائدهم ، واشترك بقلمه ولسانه في « حـرب الاستقلال » لمقاومة المحتلين ٠ وبعدما تغلب الشعب التركي عليهم ونال حريته وتأسس أول برلمـان نيابي ، ألقى فيه بيانـاً رائعـاً حثهم فيه على التمسك بمبادىء الاسلام ٠٠٠ ولكن ما إن رأى أن الآخذين بزمام الامـور اتجهوا الى الغرب اتجاهاً كاملاً واستبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية واحدثوا بدعة الاذان بالتركية وغيرها من الامور المنافية للاسلام حتى استقر رايه على مجافاة السياسة كلياً والانصراف الى التأليف للحفاظ على عقائد الامة ومثلهـا وقيمهـا ٠٠ فاخذ يؤلف منذ سنة ١٩٢٦ مستمداً من فيض القرآن الكريم رسائل تنوف على المئة والثلاثين رسالة سماها « رسـائل النور » طيلة سنوات عمره التي قضاها بين النفي والتشريد والسجن والتي تزيد على ربع قرن ٠ وهذه الرسائل تقع في ستة آلاف صفحة مقسمة على أربعة اقسام رئيسة هي : الكلمات ، والمكتوبات ، واللمعات ، والشعاعات ، فضلاً عن الرسائل الملحقة بها ، وهكذا ظـل الاستاذ النورسي دؤوباً في خدمة القرآن الكريم والايمان بالتأليف والتوجيه الى أن وافته المنية في ٢٦ رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ مارت ١٩٦٠م ٠ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن دينه وأمته خير الجزاء ٠

احسان قاسم الصالحي
ربيع الاول ١٤٠٣هـ
كانون الثاني ١٩٨٣م

من رياض الايمان

- بسم الله الرحمن الرحيم
- جـددوا ايمانكم
- الايمـان هو المفتـاح
- الحمد لله على نعمة الايمان
- اركان الايمان حقيقة واحدة لا تتجزأ

[الكلمة الاولى]



« بسم الله الرحمن الرحيم » رأس كل خير ، وبدء كل أمر ذي بال ، فسنذكرها نحن كذلك مقدما ٠

فيا نفسي اعلمي ؛

ان هذه الكلمة الطيبة كما انها شعار الاسلام ، فهي كذلك ذكر لالسنة أحوال جميع الموجودات ، أي انها أورادهم بلسان حالهم ٠

فان كنت راغبة في فهم : كيف ان « بسم الله » قوة هائلة لا تنفد ، وبركة واسعة لا تنضب ، فاستمعي الى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة :ـ

انه ينبغي لأي بدوي يتنقل ويسيح في الصحراء أن ينتمي الى قبيلة ، ويتقلد اسم رئيسها ، كي ينجو من شر الاشقياء ؛ وينجز أشغاله ويتدارك حاجاته ٠٠٠ والا فسيبقى منفردا وحيدا أمام كثرة من الاعداء ، ولا حد لها من الحاجات والضرورات ٠

وهكذا ٠٠٠ توافق ان قام اثنان بمثل هذه السياحة ، فكان أحدهما متواضعا والآخر مغرورا ٠

فالمتواضع انتسب الى أحد الرؤوساء ، بينما المغرور رفض ذلك ٠ فتجولا في هذه الصحراء ، فما كان المنتسب يحل في خيمة الا قوبل بالاحترام والتوقير ، وان صادفه شقي أو قاطع طريق كان انتسابه مانعا من الاعتداء عليه ٠ فتجول بكل أمان واطمئنان بفضل ذلك الانتساب ٠

أما المغرور ، فقد لاقى من المصائب والويلات ما لا يكاد يوصف ،

فكان طيلة فترة السفرة في خوف دائم مستمر ، ولم يتمكن من قضاء حوائجه الا بالتسول . لذا فقد أذل نفسه وأغرقها في الرعب المستديم .

فيا نفسي المغرورة :

اعلمي انك أنت ذلك السائح البدوي ..

وتلك الصحراء هي هذه الدنيا الواسعة .

وان « فقرك » و « عجزك » لا حد لهما ، كما ان اعداءك كثيرون جدا ، وحاجاتك لا نهاية لها ..

فما دام الامر هكذا ؛

فما عليك الا الانتساب الى المالك الحقيقي ، والحاكم الابدي لهذه الصحراء حتى تنجي من ذل التسول أمام الكائنات ، والهلع والخوف أمام الحادثات !!

نعم ... ان كلمة « بسم الله » كنز عظيم لا يفنى أبدا ، اذ أنها تربط عجز الانسان وفقره غير المتناهيين « برحمة » واسعة مطلقة ، أوسع من الكائنات ، و « بقدرة » مطلقة تمسك زمام الامور من الذرات الى السيارات والمجرات .

فباسم الله يصبح كل من عجزك وفقرك الكامنين في جبلتك شفيعين مقبولين عند القدير الرحيم ذي الجلال .

نعم ؛ ان مثل الذي يتحرك ويسكن ، ويصبح ويغدو بهذه الكلمة ، كمثل شخص انخرط في الجندية فيتصرف باسم الدولة ويتكلم باسم القانون وينجز كل عمل .. يتمالك امام كل شيء . ولا يبقى لديه خوف من أحد .

ـ وقد ذكر في البداية : « ان جميع الموجودات تذكر بلسان حالها اسم الله . أي انها تقول « بسم الله » . أهو كذلك ؟

نعم ؛ لو رأيت ان أحدا يسوق الناس الى صعيد واحد ، ويرغمهم على

انجاز أعمال مختلفة ، فانك لاشك ستحكم : ان هذا الشخص لا يمثل نفسه ، ولا يسوق الآخرين بقوته ، وانما هو جندي موظف في الدولة ، يستند على قوة الدولة والسلطان عند قيامه بمثل تلك الاعمال ...

وهكذا جميع الموجودات ، تنجز وظائفها « باسم الله » ... حتى ان البذيرات المتناهية في الصغر يحملن فوق رؤوسهن أشجاراً باسقة ضخمة واثقالاً هائلة كالجبال .

وان كل شجرة تذكر اسم الله وتملأ أياديها بأثمار من خزينة الرحمة الالهية وتقدمها بكل تواضع لنا .

وكذا كل بستان يذكر اسم الله فينضج فيه انواع من الاطعمة اللذيذة من مطبخ القدرة الالهية .

وكذا الحيوانات ذات البركة والنفع كالابل والماعز والبقر ... كل منها يقول « بسم الله » فيغدو ينبوعا دفاقا للبن السائغ ، فيقدم لنا — باسم الرزاق — ألطف مغذ وأنظفه وكأنه أكسير الحياة .

وهكذا جذور وعروق كل نبات وشجر وعشب ، تشق الصخور الصلدة وتثقبها بشعيراتها الحريرية الرقيقة ذاكرة « بسم الله » فتسخر أمامها — باسم الرحمن — كل أمر صعب وكل شيء صلد !!

نعم .. ان انتشار الاغصان في الهواء ، وحملها للاثمار ، وتشعب الجذور وتوغلها في الصخور الصماء ، بكل سهولة ويسر ، وخزنها للغذاء النافع في ظلمات الارض ، وكذا تحمل تلك الاوراق الخضراء شدة الحرارة ولفحاتها ومن ثم بقاءها طرية رطبة ..

كل ذلك ، وغيره ... صفعة قوية على أفواه الماديين عبدة الاسباب ، وصرخة مدوية في وجوههم ، من أن تلك الصلابة ، والحرارة الشديدة ، لا تعملان بنفسهما وانما تؤديان وظائفهما تحت امرة آمر واحد أحد حكيم عليم حيث يجعل تلك العروق الدقيقة الحريرية كعصا موسى تشق الصخور

وتمتثل أمر « فقلنا اضرب بعصاك الحجر »(١) ٠

وان تلك الاوراق الطرية الندية كأنها أعضاء ابراهيم عليه السلام تقرأ تجاه لفحة الحرارة آية « يا نار كوني برداً وسلاما ٠٠٠ »(٢)

ولما كان كل شيء في الوجود يقول « بسم الله » بلسان حاله ، ويكون وسيلة لجلب النعم وتقديمها للآخرين ٠

فما علينا – اذن – الا أن نقول أيضاً باسم الله ، ونعطي باسم الله ، ونأخذ باسم الله ، ونرد ايدي الغافلين الذين لم يعطوا باسم الله ٠

والسؤال الذي يرد :

اننا نؤدي ثمن من يكون سببا لنعمة علينا بالاحترام والتوقير له ، فيا ترى ماذا يطلب منا – من الاثمان – صاحب تلك النعم كلها ومالكها الحقيقي ٠٠؟

الجـواب :

ان ذلك المنعم الحقيقي – تجاه تلك النعـم الثمينة – يطلب منـا أثمانها بثلاثة أمور :

الاول : الذكر ٠٠

الثاني الشكر ٠٠

الثالث : الفكر ٠٠

ف « بسم الله » بدءً هي ذكر ٠

و « الحمد لله » ختاما هي شكر ٠

وما يتوسطهما هو الفكر ٠٠ اي التفكر والادراك بان هـذه النعـم البديعة انما هي معجزة قدرة الأحد الصمد وهدايا رحمته الواسعة ٠

---

(١) البقرة /٦٠ ٠ (٢) الانبيـاء /٦٩ ٠

ولكن ·· أليس الذي يقبّل أقدام الجندي الخادم الذي يقدم هدية السلطان قد ارتكب حماقة فظيعة وبلاهة مشينة ؟

فما بال من يثني على (الاسباب) الجالبة للنعم ، ويخصصها بالحب والود ، دون المنعم الحقيقي ··· ألا يكون قد اقترف بلاهة أشد منها ألف مـرة ؟!

فيا نفسي ···

ان كنت ترفضين أن تكوني ذلك الاحمق الابله ،

فأعطي باسم الله ··

وخذي باسم الله ··

وابدأي باسم الله ··

واعملي باسم الله -

والسـلام

جددوا ايمانكم

ان الانسان كونه يتجدد (بشخصه) و (بعالمه) الذي يحيط به ، فهو اذن بحاجة الى تجديد ايمانه دائماً ، اذ هو معنىً يتكون من عديد من الافراد في فرد واحد ··· افراد بعدد سني عمره ، بل بعدد أيامه ، بل بعدد ساعاته ، فكل فرد منه يعدّ إنساناً آخر · ذلك لأن الفرد الواحد عندما يجرى عليه الزمن يصبح بحكم نموذج ، يتشكل كل يوم في فرد جديد ·

وكما ان الانسان يتعدد ويتجدد بالزمن ، فان العالم الذي يسكنه كذلك سيّار لا يبقى على حالٍ · فهو يمضي ويأتي غيره مكانه ، اي في تنوع دائم اذ يفتح كل يوم باب عالم جديد ·

أما الايمان فهو من جهة نور لحياة جميع افراد ذلك الشخص ·· وهو ايضاً ضياء لعوالمه التي يدخلها ·

« ولا إله الاّ الله » مفتاح يفتح ذلك النور ···

ونحن بحاجة دائمة الى تجديد الايمان طالما ان النفس والهوى والاوهام والشيطان تتحكم فينا · ولكي تضيّق خناق ايماننا تغتنم غفلتنا وتحتال علينا كثيراً بسد منافذ النور الايماني الى قلوبنا والقاء الشبهات والوساوس ··

ولما كان عالمنا ايضاً لا يخلو من تلك الاعمال والكلمات المنافية لظاهر الشريعة ، ـ حتى انها عند بعض الائمة لها من الآثار ما للكفر ـ لذا فنحن نحتاج كل يوم ، بل كل ساعة ، بل كل وقت الى تجديد الايمان ·

فحقاً قال سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم :

[جدّدوا ايمانكم ، اكثروا من قول لا إله الاّ الله] حديث صحيح ـ رواه احمد والحاكم(١) ·

---

(١) من المسألة الرابعة / المكتوب السادس والعشرون ·

وهكذا يا أخي :

اصبح الناس بحاجة ماسة الى التزود بالحقائق الايمانية ، كحاجتهم الى الخبز والماء · رغم ما يروّج البعض : « ان لا حاجة الى المزيد من الدروس الايمانية لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى فالناس جميعاً مؤمنون ، ويعرفون ربهم جيدا » ·· وذلك تهوينا منهم لتلك الحاجة الملحّة وصداً عن سبيل الايمان ·

والحال ان (معرفة الله سبحانه) والايمان بحقائق لا إلـه إلاّ الله ، يستلزم التصديق القلبي ، والايمان المطلق الجازم بربوبيته سبحانه وتعالى، الشاملة المحيطة بكل ما في الكون وان مقاليـد الامـور ـ من الـذرات الى المجرات ـ بجزئياتها وكلياتها في قبضته سبحانه ، ولا تدار إلاّ بقدرته ، وتحت ارادته ، فلا شريك له في ملكه ·

أما النطق والتفوه بأن (الله موجود) ، ومن ثم اسناد تصريف الامور في ملكه الى (الاسباب) التي لا عدّ لها والى (الطبيعة) ، واتخاذها شركاء لله تعالى ، ومن ثم الجهل بارادته النافذة ، وعلمه المطلق ، ومثول كل شيء امامه · وعدم الاهتمام بأوامره ونواهيه ، والجهل بصفاته الجليلة ، وما ارسل من رسله ، ··· لاشك ان هذا كله ليس من الايمان في شيء ·

ولا ينطق بهذا ناطق الاّ ليسلّي بـه نفسه وينجيهـا من التعذيب الدنيوى الروحي الذي يعذّب به الكفر المطلق اصحابه في الدنيا قبل الآخرة·

نعم ان (عدم الانكار) شيء و (الايمان) شيء آخر مغاير تماماً ، اذ ما من ذى حس أو شعور يمكنه ان ينكر الخالق ذا الجلال الذى تشهد بربوبيته وعظمته وحكمته وجماله جميع اجـزاء الـكون ··· فلو حاول الانكار ، لحال دونه الكون باجمعه ، فيخرس ، ويبقى وحيداً سائباً معزولاً شارداً دون سند ·

أما الايمان ، فلقد علّمنا القرآن الكريم أنه : التصديق القلبي لوجود الخالق جل وعلا بصفاته المقدسة وباسمائه الحسنى ، مستنداً الى شهادة الكون جميعاً ٠

وهو – اي الايمان – تطبيق لما جاءت به الرسل الكرام – عليهم السلام – من اوامره ونواهيه ٠٠٠ واذا ما سوّلت للانسان نفسه أمراً ، فدونه باب الاستغفار والانابة ٠٠

أما أن يقترف أحدٌ الكبائر بلا اهتمام ولا مبالاة للاوامر ، ودون استغفار وانابة ، فلاشك ان ذلك دليل خلوه من الايمان(١) ٠

هذا وقد اثار آخرون سؤالاً هو :

ان ايمان الشخص العامي كايمان الولي ٠ فلا حاجة اذن الى مزيد من الدروس الايمانية ولا الى تحشيد البراهين والأدلة لها ٠

والجواب : ان الايمان لا ينحصر بتصديق اجمالي وتقليدي فحسب ، بل له مراتب كثيرة جداً ، كالمراتب التي بين البذرة النامية الى الشجرة الباسقة ، أو بين انعكاس ضوء الشمس من المرآة الى انعكاسها من سطح البحر بل الى الشمس نفسها ٠

وله كذلك حقائق غزيرة جدا ذات علاقة بحقيقة الكون كله ، حيث تتجلى في جميع اجزائه انوار الاسماء الحسنى واركان الايمان ٠ حتى اتفق اهل الحقيقة على : ان اجلّ العلوم ، وقمة المعرفة وذروة الكمال الانساني هو في الايمان والمعرفة القدسية النابعة من الايمان التحقيقي ٠

نعم ان الايمان التقليدي معرّض للشبهات والوساوس ، أما الايمان التحقيقي فهو اوسع واقوى وأمتن منه ، وله مراتب كثيرة منها : مرتبة (علم اليقين) التي لا تتأثر بالشبهات لقوة براهينها ، بينما الايمان التقليدي قد لا يقاوم شبهة واحدة ٠

---

(١) ملحق امير داغ – ج١ ص١٩٩ ٠

ومن مراتبه ايضاً مرتبة (عين اليقين) التي لها مراتب كثيرة ، حتى تجعل الكون ينطق بالآيات الدالة على الخالق سبحانه كالقرآن الكريم ·

ومرتبة اخرى هي (حق اليقين) وفيها مراتب كثيرة ايضاً ·

فصاحب هذا الايمان لا يمكن ان تنال جيوش الشبهات والوساوس شيئاً منـه ·

ولقد اوضح علماء علم الكلام طريق الايمان مستندين على البراهـين العقلية والمنطقية فحسب في آلاف من كتبهم · أما أهل الحقيقة والتصوف فقد اوضحوا المعرفة الايمانية كشفاً وذوقاً في مئات من كتبهم ·

اما المنهج القرآني واسلوبه فقد اوضح طريق الايمان وابرزه بشكل ارفع وأسمى واقوى بكثير من غيره · فنحن في رسائلنا لا نفسّر إلاّ الطريق الأقوم والجادة الكبرى للقرآن الكريم والتي بها نتصدى للتيارات الفاسدة والمضللة والشبهات الواردة على القرآن الكريم والاسلام الحنيف منـذ ألف سـنة ·

لذا غدت الحاجة ماسة الى التكـرار والتحشيد الهـائل للمسـائل الايمانية ، مستندين في ذلك الى نور القرآن ، لنتصدى لتلك الهجمـات الوحشية من اهل الكفر والضلال ·

ولنعلم جيداً ان لا خير افضل من ارشاد الناس الى الايمان بالله تعالى ، فقد قال رسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم : « لأن يهدي الله على يديك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت · » رواه الطبراني ·

ولا يستقيم لمثل هذا الارشاد عود إلاّ بالمزيد من الدروس الايمانية ، والتأمل ، والتدبر فيها بالعبادات الفكرية التي تكون ساعة واحدة منهـا افضل من سنةٍ من العبادة البدنية(١) ·

---

(١) ملحق امير داغ - ج١/١٠٢ - ١٠٣ ·

[الـكلمة الثامنة]

الإيمان هو المفتاح

اذا أردت أن تفهم ما الدنيا وما دور الروح الانسانية فيها ، وما قيمة الدين عند الانسان وكيف أنه لولا الدين الحق لتحولت الدنيا الى سجن رهيب ، وأن الشخص الملحد هو أشقى المخلوقات ، وأن الذي يحل طلسم العالم ولغزه المحير وينقذ الروح البشرية من الظلمات إن هو إلا « يا الله »٠٠ « لا اله الا الله » ٠

أجل اذا كنت تريد أن تفهم كل ذلك فتأمل هذه الحكاية التمثيلية القصيرة وتفكر فيهـا مليـاً :

كان شقيقان في قديم الزمان يذهبان معاً الى سياحة طويلة ، فواصلا سيرهما سوية الى أن وصلا الى مفرق طريقين ، فرأيا هناك رجلاً وقـوراً منتصبـاً للنصح لمن يطلبه منه فسـألاه : ـ أي من الطريقين أحسـن ؟! فأجابهمـا :

ان في الطريق الأيمن التزام اجباري للقانون والنظام ، الا أن في ثنايا ذلك التكليف ثمة أمان وسعادة ٠ أما الطريق الشمالي ففيه الحرية والتحرر الا أن في ثنايا تلك الحرية تهلكة وشقاء ٠ والآن لكم الخيار في أيهما سلكتم٠

وبعد الاستماع الى هذا الكلام سلك الأخ ـ ذو الطبع الطيب ـ طريق اليمين قائلاً : « توكلت على الله » وانطلق راضياً ـ عن طيب نفس ـ باتباع النظام والانتظام ٠

أما الأخ الآخر الغاوي العديم الأخلاق فقد رجح طريق الشمال لمجرد هوى التحرر الذي فيه ٠

والآن فلنتابع – خيالاً – هذا الرجل السائر في طريق ظاهره السهولة والخفة وباطنه من قبله الثقل والعناء ٠

فما أن عبر الرجل الوديان العميقة والمرتفعات العالية الوعرة حتى دخل وسط مفازة خالية وصحراء موحشة ؛ فسمع فجأة صوتاً مخيفاً ، ورأى أن أسداً ضخماً غضوباً قد انطلق من الأحراش نحوه ؛ ففر منه فراراً وهو يرتعد خوفاً وهلعاً ، فصادف بئراً معطلة على عمق ستين ذراعاً فألقى نفسه فيها طلباً للنجاة ، وفي أثناء السقوط لقيت يداه شجرة فتشبث بها ٠ كان لهذه الشجرة جذران نبتا على جدار البئر وقد سلط عليهما فأران ، أبيض وأسود ٠ وهما يقضمان ذينك الجذرين بأسنانهما الحادة ببطء ٠

فنظر الى الأعلى فرأى الأسد واقفاً كالحارس على فوهة البئر ونظر الى الأسفل فرأى ثعباناً كبيراً جداً قد رفع رأسه يريد الاقتراب منه وعلى مسافة ثلاثين ذراعاً وله فم واسع سعة البئر نفسها ٠

ورأى ثمة حشرات مؤذية لاسعة تحيط به ، ونظر الى أعلى الشجرة فرأى أنها شجرة تين الا أنها تثمر بصورة خارقة أنواعاً مختلفة وكثيرة من فواكه الأشجار ابتداءً من الجوز وانتهاءً الى الرمان ٠

وهكذا لم يكن هذا الرجل ليفهم – لسوء ادراكه وحماقته – بأن هذا الأمر ليس اعتيادياً ، ولا يمكن أن تأتي كل هذه الأشياء مصادفة وبدون قصد ٠ ولم يكن يفهم أن في هذه الشؤون العجيبة أسراراً غريبة وأن هناك وراء كل ذلك من يدبر هذه الأمور ويسيرها ٠ فلا جرم أن قلبه يبكي وروحه تصرخ وعقله يندهش على ما هو عليه الآن من الأوضاع الأليمة ٠٠ الا أن نفسه الأمارة بالسوء أخذت تلتهم فواكه تلك الشجرة متجاهلة عما حولها وكأن شيئاً لم يحدث ؛ سادة أذنيها عن صرخات القلب وهواتف الروح ، خادعة نفسها بنفسها رغم أن قسماً من تلك الفواكه مسمومة ومضرة ٠

وهكذا نرى أن هذا الرجل الشقي قد عومل بمثل ما جاء في الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي » أي : أنا أعامل عبدي مثلما يعرفني هو ·

نعم لقد عومل هكذا ، وسيعامل مثلها بل لابد أن يرى مثل هذه المعاملة جزاءً لتلقيه كل ما يشاهد أمراً عادياً دون قصد وحكمة وكأنه الحق بعينه وذلك لسوء ظنه وبلاهته الخرقاء ؛ فصار يتقلب في نار العذاب ولا يستطيع أن يموت لينجو ولا يقدر على العيش الكريم ·

ونحن بدورنا سنرجع تاركين وراءنا ذلك المشؤوم يتلوى في عذابه ؛ لنعرف ما جرى على الأخ الآخر من أحوال ·

فهذا الرجل المبارك ذو العقل الصائب لا يزال يقطع الطريق دون أن يعاني الضيق كأخيه ، ذلك لأنه لا يفكر الا في الأشياء الجميلة ـ لما له من جمال الخلق ـ ولا يأخذ بعنان الخيال الا بما هو جميل ولطيف ، لذا كان يستأنس بنفسه ولا يلاقي الصعوبة والمشقة كأخيه · ذلك لأنه يعرف النظام ويعمل بمقتضى الولاء والاتباع ، فيرى الأمور تسهل له ويمضي حراً منطلقاً مستظلاً بالأمان والاستقرار ·

وهكذا مضى حتى وجد بستاناً فيه أزهار جميلة وفواكه لطيفة مع ثمة جثث حيوانات وأشياء منتنة مبعثرة هنا وهناك بسبب اهمال النظافة ·

كان أخوه الشقي قد دخل ـ من قبل ـ في مثل هذا البستان أيضاً غير أنه انشغل بمشاهدة الجيف الميتة والامعان فيها مما أشعره بالغثيان والدوار · فغادره دون أن يأخذ فيه قسطاً من الراحة لمواصلة السير ·

أما هذا الأخ ـ فعملاً بقاعدة « انظر الى الأحسن من كل شيء » ـ فقد أهمل الجيف ولم يلتفت اليها مطلقاً ، بل استفاد مما في البستان فائدة طيبة من الأشياء والفواكه ·

وبعد ما استراح فيه الراحة الحسنة مضى الى سبيله ·

ودخل ـ هو الآخر كأخيه الأول في صحراء عظيمة ومفازة واسعة وفجأة سمع صوت أسد يهجم عليه ؛ فخاف ـ الا أنه دون خوف أخيه ـ حيث فكر ـ بحسن ظنه وجمال تفكيره ـ قائلاً :

« لابد أن لهذه الصحراء حاكماً ، فهذا الأسد اذن يحتمل أن يكون خادماً أميناً تحت أمرته » • فوجد في ذلك اطمئناناً ، غير أنه فر كذلك حتى وصل وجهاً لوجه الى بئر معطلة ذات عمق بستين ذراعاً فالقى نفسه فيها وأمسك ـ كصاحبه ـ بشجرة في منتصف الطريق من البئر •• وبقي معلقاً بها ، فرأى حيوانين اثنين يقطعان جذري تلك الشجرة رويداً رويداً •• فنظر الى الأعلى فرأى الأسد ، ونظر الى الأسفل فرأى ثعباناً ضخماً ، ونظر الى نفسه فوجدها ـ كأخيه تماماً ـ في وضع عجيب غريب • فدهش من الأمر هو كذلك الا أنه دون دهشة أخيه بألف مرة ، لما منحه الله من حسن الخلق وحسن التفكير والفكر الجميل الذي لا يريه الا الجهة الجميلة من الأشياء •

ولهذا السبب فقد فكر : بأن هذه الأمور العجيبة ذات علاقات مترابطة بعضها ببعض وانها لتظهر كأن أمراً واحداً يحركها ؛ فلابد ـ اذن ـ أن يكون في هذه الأعمال المحيرة سر مغلق وطلسم غير مكشوف •

أجل ان هذه كلها ترجع الى أوامر حاكم خفي ، لـذا والحالة هـذه فأنا لست وحيداً بل ان ذلك الحاكم الخفي ينظر الي ويرعاني ويختبرني ، ولحكمة مقصودة يسوقني الى مكان ويدعوني اليه •

فمن هذا التفكير الجميل نشأ عنده شوق أثار هذا السؤال : يا ترى من يكون هذا الذي يجربني ويريد أن يعرّف نفسه الي ؟ ومن هذا الذي يسوقني في هذا الطريق العجيب الى غاية هادفة ؟!

نشأت محبة صاحب الطلسم من معرفة التعرف اليه ، ومن تلـك المحبة نمت رغبة حل الطلسم ، ومن تلك الرغبة انبثقت رغبة اتخاذ وضع جميل وحالة مقبولة لدى صاحب الطلسم حسب ما يحبه ويرضاه •

ثم نظر الى أعلى الشجرة فرأى أنها شجرة التين غير أن في نهاية أغصانها آلاف الأنواع من الأثمار والفواكه ، وعندها ذهب خوفه وزال نهائياً ، لأنه علم علماً قاطعاً بأن شجرة التين هذه انما هي فهرس ومعرض ، حيث قلد الحاكم الخفي نماذج ما في بستانه وجناته بشكل معجز عليها وزينها بها اشارة لما أعده من أطعمة ولذائذ لضيوفه ٠٠ والا فان شجرة واحدة لن تعطي أثمار وفواكه آلاف الأشجار ، فلم يسر أمامه الا الدعاء والتضرع ؛ فألح متوسلاً بانكسار الى أن أُلهم بمفتاح الطلسم فهتف قائلاً :

ـ « يا حاكم هذه الديار والآفاق التجيء اليك وأتوسل وأتضرع ، فأنا لك خادم أريد رضاك وأنا أطلبك وأبحث عنك » ٠٠٠

فانشق جدار البئر فجأة بعد الدعاء وفتح منه باب لبستان فاخر طاهر جميل ، وربما انقلب فم ذلك الثعبان الى ذلك الباب واتخذ كل من الأسد والثعبان صورة الخدم وهيأته ٠٠ فأخذا يدعوانه الى دخول البستان حتى أن ذلك الأسد تقمص شكل حصان مسخر بين يديه ٠

وهكذا يا نفسي الكسلى ! ويا صاحبي في الخيال ٠٠

تعالوا لنوازن بين أوضاع هذين الأخوين كي نعلم كيف أن الحسنة تجلب الحسنة وأن نرى كيف أن السيئة تأتي بالسيئة ٠

انظروا :

ان المسافر الشقي الى جهة الشمال معرض في كل آن أن يلج في فم الثعبان فهو يرتجف خوفاً وهلعاً ٠

أما هذا السعيد فهو يدعى الى بستان أنيق بهيج مثمر بفواكه شتى ٠

وان قلب ذلك الشقي يتمزق في خوف عظيم ورعب أليم بينما هذا السعيد يرى غرائب الأشياء وينظر اليها بعبرة حلوة وخوف لذيذ ومعرفة محبوبة ٠

وان ذلك الشقي المسكين ليعاني من الوحشة واليأس واليتم عذاباً وأي عذاب ؟! بينما هذا السعيد يتلذذ في الأنس ويترفل في الأمل والشوق. ثم ان ذلك المنكود يرى نفسه محكوماً عليه ــ كالسجين ــ بهمجات الحشرات المؤذية . بينما هــذا الســعيد المحظوظ يتمتع متعة ضيف عزيــز وكيف لا فهــو ضيف عنــد مضيف كــريم . فيستأنس مــع عجــائب خــدمه .

غير أن ذلك السيء الحظ ليعجل عذابه في النار بأكله مأكولات لذيذة الطعم ظاهراً ومسمومة حقيقة ومعنى ، اذ أن تلك الفواكه ما هي إلاّ نماذج ، قد أذن للتذوق منها فقط لكي يكون طالباً لحقائقهــا وأصولهــا ويكون شــاريها الأصيل والاّ فلا سماح للشراهة منها كالحيوان . أما هذا السعيد المحمود فانه يتذوّق منها اذ يعي الأمر ، مؤخراً أكلها وملتذاً بالانتظار .

ثم ان ذلك الشقي يكون قد ظلم نفسه بنفسه ؛ جاراً عليه وضعــاً مظلماً وأوهاماً ذات ظلمات ــ بانعدام بصيرته عن حقائق ساطعة كالنهــار وأوضاع جميلة باهرة ــ الى درجة كأنه في جهنم ، فلا هو مستحق للشفقة ولا هو له حق الشكوى ، مثله في هذا مثل رجل وسط أحبائه في موســم الصيف وفي حديقة جميلة بهيجة في حفلة وليمة طيبة للأفراح ولعدم قناعته بها راح يرتشف كؤوس الخمر ــ أم الخبائث ــ حتى أصبح سكيراً ثملاً ؛ فشرع بالصراخ والعويل ، وبدأ بالبكاء ، ظاناً نفســه في قلب الشــتاء القارص ، ومتصوراً أنه جائع وعار وسط وحوش مفترسة ...

فمثلما أن هذا الرجل لا يليق بالشفقة والرأفة ، اذ ظلم نفسه بنفسه متوهماً أصدقاءه وحوشاً ، محتقراً لهم .. فان هذا المشؤوم كذلك تماماً .

ولكنما ذلك السعيد يرى الحقيقة ، والحقيقة بذاتها جميلة ، ومــع ادراك جمال الحقيقة فانه يحترم كمال صاحب الحقيقة ويوقره فيستحق رحمتــه .

فاعلم اذن سراً من أسرار : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » · سورة النساء/٧٩

فلو وازنت سائر هذه الفروق وأمثالها لعلمت أن النفس الأمارة للأول قد أحضرت جهنم معنوية له ، بينما الآخر يكون قد صار – بحسن نيته وحسن ظنه وحسن خصلته وحسن فكره – مظهراً للفيض والسعادة والفضيلة اللامعة والاحسان الكبير ·

فيا نفسي · ويا أيها الرجل المنصت معي الى هذه الحكاية :

اذا كنت لا تريد أن تكون مثل ذلك الأخ المشؤوم وترغب في أن تكون كالأخ السعيد فاستمع الى القرآن الكريم وأرضخ لحكمه واعتصم به واعمل بأحكامه ·

واذا كنت قد وعيت ما في هذه الأقصوصة التمثيلية من الحقائق ؛ فانك تستطيع أن تطبق عليها الحقيقة الدينية والدنيوية والانسانية والايمانية كلها ·

وسأقول لك أنا الأساسيات ، واستخرج أنت بنفسك الدقائق ! والآن فانظر !

أما الاخوان الاثنان : فأحدهما هو روح المؤمن وقلب الصالح ، وأما الآخر فهو روح الكافر وقلب الفاسق ·

أما اليمين من تلكما الطريقين فهي طريق القرآن وطريق الايمان · وأما الشمال فطريق العصيان والكفران ·

وأما ذلك البستان في الطريق فانه تلك الحياة الاجتماعية المؤقتة للمجتمع البشري والحضارة الانسانية التي يوجد فيها الخير والشر والطيب والخبيث والطاهر والقذر معاً ·

فالعاقل هو من يعمل على قاعدة « خـذ ما صفا ... دع ما كدر » فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجـدان .

وأما تلك الصحراء فهي هذه الدنيا وهذه الارض .

وأما ذلك الأسد فهو الأجـل والمـوت .

وأما تلك البئر فانها جسـد الانسان وزمـان الحيـاة .

وأمـا ذلك العمق البالغ ستون ذراعـاً فانه اشارة الى العمر الغالب ، وهو معدل وسط العمر « الستون سنة » .

وأمـا تلك الشجرة فهي مـدة العمر ومـادة الحيـاة .

وأمـا الحيوانان الاثنان : الأسود والابيض فهما الليـل والنهـار .

وأمـا ذلك الثعبان فهو فم القبر المفتوح الى طريق البرزخ ورواق الآخرة .. الا أن ذلك الفم هو للمؤمن باب يفتح من السجن الى البستان .

وأمـا تلك الحشرات المضرة فانها المصائب الدنيوية الا أنها للمؤمن في حكم الايقاظات الآلهية الحـلوة والالتفاتـات الرحمانية لئلا يغفل عن يقظته أبـداً .

وأمـا مطعومات تلك الشجرة فهي النعم الدنيوية التي صنعهـا رب العزة الكريم المطلق لكي تكون فهرساً للنعم الأخروية ومذكرة لها ومشابهة بها وقد خلقها الباريء الحكيم على هيئة نماذج لدعوة الزبائن الى فواكه الجنة.

وان اعطاء تلك الشجرة على وحدتها الفواكه المختلفة المتباينة اشارة الى سكة الصمدانية وختم الربوبية الآلهية وطغراء سلطنة الألوهية .

ذلك لأن « صنع كل شيء من شيء واحد » أي صنع جميع النباتات وأثمارها من تراب واحـد ، وخلق جميع الحيوانات من ماء واحـد وابداع جميع الأجهزة الحيوانية من طعام بسيط ...

وكذا ان « صنع الشيء الواحد من كل شيء » كبناء لحم معين وجلد بسيط لذي الحياة من مطعومات مختلفة الأجناس ... انما هي السكة الخاصة للذات الأحدية الصمدية والختم المخصوص للسلطان الأزلي والأبدي وطغراؤه التي لا يمكن تقليدها أبداً .

نعم ان خلق شيء من كل شيء وخلق كل شيء من شيء ، انما هو خاصية تعود الى خالق كل شيء وعلامة مخصوصة للقادر على كل شيء بل انها لآية !

وأما ذلك الطلسم فهو سر حكمة الخلق الذي يفتح بسر الايمان .

واما ذلك المفتاح فهو « الله لا اله الا هو الحي القيوم » و « يا الله » « لا إله الا الله » .

وأما انقلاب فم ذلك الثعبان الى باب البستان فهو رمز الى : أن القبر هو سجن الوحشة والنسيان والاهمال والضيق ، فهو كبطن الثعبان لأهل الضلالة والطغيان .

ولكنه بالنسبة لأهل الايمان والقرآن .. انما هو باب مفتوح على مصراعيه من سجن الدنيا الى بستان البقاء ، ومن ميدان الامتحان الى روضة الجنان ومن زحمة الحياة الى رحمة الرحمن .

وأما انقلاب ذلك الأسد المفترس الى حصان مسخر والى خادم مؤنس فهو اشارة الى أن الموت لأهل الضلال فراق أبدي أليم من جميع المحبوبات وخروج من جنة دنيوية كاذبة الى وحشة سجن انفرادي للقبر وضياع في تيه سحيق .. بينما هو لأهل الهداية وأهل القرآن رحلة الى العالم الآخر ووسيلة الى ملاقاة الأحبة والأصدقاء القدامى وانه واسطة الى دخول الوطن الحقيقي ومنازل السعادة الأبدية وانه دعوة كريمة من سجن الدنيا الى بساتين الجنات . وانه انتظار لأخذ الأجرة للخدمات تفضلاً من الرحمن

الرحيم · وانه ترخيصة من تكاليف الحيــاة واجازة من وظيفتها · وانــه اعــلان الانتهاء من واجبات العبودية وامتحانات التعليم والتعليمات ·

نحصل من هذا كله : أن كل من يجعل الحياة الفانية مبتغاه فسيكون في جهنم حقيقة ومعنى ·· حتى لو كان يتقلب ـ ظاهراً ـ في بحبوبة النعيم·

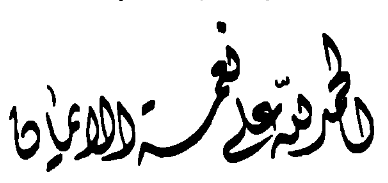
وان كل من كان متوجهاً الى الحياة الباقية ويسعى اليها بجد واخلاص فهو فائــز بسعادة الدارين وأهــل لهما معاً حتى لو كانت دنياه سـيئة وضيقة ·· الا أنه سيراها حلوة طيبة ، وسيراها قاعة انتظـار لجنته ·· فيتحملها ويشكر ربــه فيها وهو يخوض غمار الصبر ·

اللهم اجعلنا من أهل السعادة والسلامة والقرآن والايمان آمين ·

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعـدد جميـع الحروفات المتشكلة في جميـع الكلمات المتمثلـة بأذن الرحمن في مرايـا تموجات الهواء عند قراءة كل كلمة من القرآن من كل قاريء من أول النزول الى آخـر الزمـان ·

وارحمنا ووالدينا وارحم المؤمنين والمؤمنات بعددها برحمتك يا أرحم الراحمـين آمـين · والحمد لله رب العـالمـين(١) ··

(١) هذه الادعية الواردة في ختام اغلب البحوث جاءت باللغـة العربية في الاصل ·/م ·



[هذا البحث يخص « الحمد لله » سنبين فيه تسع فوائد من تلك التي لا تنتهي من نعم الايمان وانواره التي تجعلنا في « حمد » دائم] .

النقطة الاولى

لابد من التنبيه الى ملاحظتين مهمتين :-

(١) ان الفلسفة المادية « أو التفكير المادي » ليست في الواقع سوى نظارة سوداء يرى الانسان بها الاشياء جميعاً قبيحة مخيفة .

اما حقيقة الايمان ، فهي نظارة شفافة نورانية براقة يرى الانسان بها جميع الاشياء والامور مؤنسة وجميلة .

والانسان يتحسس كل ما حوله ويرى من احوال ومخلوقات من الجهات كافة حسب استعماله لتلك النظارتين .

(٢) ان الانسان بفطرته اجتماعي ، فله علاقات مع جميع المخلوقات اخذاً وعطاءاً ، كلاماً ، واتصالاً ، ومجاورة ، مع كل ما يحيط به سواء كان بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، لذا أصبحت له ست جهات يرتبط بها وهي :

اليمين واليسار « أي الماضي والمستقبل » . والخلف والامام « أي المبدأ والمصير » . والتحت والفوق « أي الارض والسماء » .

(جهة اليمين) :-

وهي جهة الماضي ، فالمنظار المادي يرينا : ان ممالك الماضي الغابرة قد انهدت أركانها وهدمت عروشها ، وان الآباء والاجداد قد فنوا من الوجود ، فلم يبق في نظره من هذه الجهة الا ظلام موحش رهيب ، وكأنها

مقبرة كبيرة واسعة ، ومدافن منتشـرة خربة ۰۰۰ ولاشـك ان الانسان بنظرته هذه سيكون في يأس ورعب دائميين ۰

ولكن عندما يأتي نور الايمان الانيس يبدد ذلك الظلام الموحش قائلا: نعم لقد دمّرت الممالك حقاً ، وانها هدمت وزالت من الوجود ولكن بدون خسائر في الارواح ۰ فان ساكني تلك الممالك وموظفيها في حقيقة الأمر قد نقلوا الى عالم نوراني خالد رائع الجمال ۰ وما هذه القبور المبثوثة في أرجاء العالم التي نشاهدها هنا وهناك الا انفاق تحت الارض توصلنا الى ذلك العـالم الـرحب ۰

فينبثق من هذا الايمان سرور وافراح واطمئنان وانشراح ، وفي كل منها نعمٌ عظيمة تستوجب على الانسان ان يردد الوف المرات « الحمـد لله ۰۰۰ الحمد لله ۰۰۰ » ۰

(جهة اليسار) :ـ

ونعني بها المستقبل ، ان المستقبل في النظر المادي ينتهي بـ (الموت) وحفرة القبر المظلم المخيف ، فهو فاغر فاه ليلقمنا في جوفه ، وثمة عقارب وحيات تنتظرنا لتتغذى وتتعشى بجيف أجسادنا ۰۰ هذه هي نظرة المحروم من نعمة الايمان ۰۰ فيا لها من نظرة قبيحة ۰

أما المستقبل المنور بنور الايمان عند المؤمن فهو : ريـاض مزينـة تتهيأ ، وضيافات رحمانية تمتد ، تحوي أشهى لذائذ المأكولات الملونة ، واطيب نفائس المشروبات المتنوعة ، اعدها الله سبحانه وتعالى للبشـر ، بفضله وكرمه ، وهو الخلاق الرحيم ، مما يدفعنا الى أن نكرر منشدين الوف المرات « الحمد لله » على نعمة الايمان ۰

(جهة الفوق) :ـ

السماء ؛ هب أن أحداً ينظر اليها بمنظار الماديين الجفاة : فسيرى انها سماء مملوءة بملايين النجوم والكواكب تسبح في هذا الفضاء الواسع

وتجرى بسرعة هائلة ، وتتحرك بحركات مختلفة ، ولـكن بدون هـدف وقصد !! وبدون منظم ومدبر كما يظنون ، مما يقذف في قلوبهم الرعب والخوف ، فيستوحش من النظر اليها ، ولا يجد فيها أنساً ولا حبـاً ٠٠

الا ان النظرة الايمانية تجعل هذه القناديل المضيئة والمصابيح المتدلية المتبسمة لنا في سمائنا ، والسابحة بسرعة رائعة رشيقة ومنتظمة ، هي تحت رعاية وتدبير عليم حكيم ٠٠ وهكذا يدخل الانس والمحبة في قلوبنـا بدلاً من الخوف والوحشة ، من أجل ذلك فلو سبّحنا بـ « الحمد لله » آلاف المرات لكانت اذنٍ قليلة امام نعمة الايمان الذي يرينا السماء على هذه الصـورة المؤنسـة ٠

(جهـة التحت) :ـ

أي الارض ؛ ان النبي ينظر الى الارض بعين الماديين وتصورهم يرى : ان الكرة الارضية وليدة الصدفة فحسب ، وان حبلها على غاربها ، وان أمرها ليس بيدها أو بيد أحد ، تدور حول الشمس بلا هدف وبلا غاية ، فهي كسفينة حائرة في خضم البحر تسير بلا ربان ٠ وعندئذ يأخذه الدوار والدهشة والاضطراب ، فلا يفهم شيئاً ٠٠ وهنا يأتي نور الايمان يضيء كالسراج ، ويزيل بنوره تلك الحيرة والاضطراب جاعلا من الارض سفينة ربانية مسخرة ، مشحونة بانواع اللذائذ والمطعومات ، وقد سخرها الله سبحانه للانسان والاحياء الآخرين ليمتطي متنها ويسيّر بها في اطـراف مملكته من أجل النزهة والسياحة والتجول ٠٠٠ وبعد ، الا تدفع هذه النعمة المنبعثة من الايمان المؤمن ان يردد ويردد دائماً « الحمد لله » ٠

(جهـة الأمـام) :

المصير ؛ ان الانسان المادي يرى ؛ ان جميـع الاحيـاء من الانسـان والحيوان يتوجهون مسرعين قافلة اثر قافلة الى هذا المصير حتى يغيبوا وراء ظلمات العدم الى غير رجعة ، وهو يعلم يقيناً انه سيأتي دوره يوماً ، وسيكون

واحداً من هؤلاء في هذه الرحلة الخاطفة ، ويظل يلازمه هذا التفكير حتى يوصله الى القلق والهذيان والهذر ٠

أما المؤمن المتيقن فانه يرى : ان هذه الرحلة لن تنتهي الى العدم ، وان المجموعة البشرية هم كالبدو الرحل ينتقلون من مرعى الى مرعى آخر ، ومن دار الفناء الى دار البقاء . ومن مكان الخدمة الى موضع أخذ الأجرة ٠٠٠ ومن ميدان الزحمة والمشقة الى مقام الرحمة والمكافأة ٠ فينظر المؤمن بكل اطمئنان وامل الى مصيره ، وان كل ما يراه من اتعاب ونصب ومشـقة في سفرته هذه ؛ من موت وقبر وما شابهه ، سينقلب عنده الى سعادة ولـذة وأمان، ذلك لأن الطريق التي تؤدي الى العالم النوراني تمر حتماً من «القبر»٠

وان السعادة الكبرى هي نتيجة المصائب الكبيرة الاليمة ، ولذلك ما نال سيدنا يوسف عليه السلام مرتبة عزيز مصر الا بعد السجن بافتراء امرأة العزيز عليه بعد ان القاه اخوته في الجب ، وكذلـك الطفل لا ينـال سعادة الحياة الا بعد ما يرى من مضايقات الرحم والولادة على باب الدنيا٠ فـ « الحمد لله » دائماً على ما فتحه لنا نور الايمان من ابواب السعادة على مصاريعهـا ٠

(جهـة الخلف) :ـ

المبدأ ؛ ويتساءل المادي : ما هذه الاجيال المتكاثرة الغفيرة ، والاحياء المتدفقة ؟ ومن أين أتت ؟ ٠ والى اين يذهبون ؟ ولماذا ؟

ولما كانت الغفلة المطبقة لا يمكنها ان تجيب على تساؤله ، فانـه في حيرة وتردد ، ثم يتحول هذا التردد والحيرة الى ظلمات تغشى قلبه وروحه ، فيحس احساساً قوياً بقلق دائم وخوف مرعب ٠ بينما يرى المؤمن بنـور الايمان وبنعمته ان تلك الجهة هي مبدأ الانسان ٠٠ وان الله سبحانه وتعالى أرسله مكلفاً اياه بواجب في دار الامتحان هذه ، ولينظر ويشاهد ويطالع غرائب وعجائب معجزات القدرة الربانية المعروضة في معرض الكون ، وانه

سبحانه سيرده الى عالم المكافأة والجوائز حيث يكافئه بمقدار ما فهم ووعى في الارض من مطالعاتـه الكون ، ومن قيامه بواجبه المطـلوب ؛ فللّه در الايمان ، كم يورثنا من نعم لا تعد ولا تحصى ۰۰! مما يدفع هذا الانسان ان يردد مراراً وتكراراً « الحمد لله » على نعمة الايمان بل جل النعم ۰

فمن هذه الحقيقة ، وبهذا النوع من التفكير الايمـاني يكون « الحمد لله » على نعمة الايمان ، التي ازالت الظلمات عن الجهـات الست ، هـو الآخر نعمة عظيمة تستلزم « الحمد لله » ايضاً ۰ اذ بـ « الحمد لله » يفهم درجة هذه النعمة ولذتها ۰ فالحمد لله على الحمد لله في سلسلة لا تنتهي من « الحمد لله رب العالمين » ۰

(النقطة الثانية) :

لابد من الحمد لله على نعمة الايمان التي نورت لنا الجهات الست ۰ فكما ان الايمان بازالته ظلمات تلك الجهات ، نعمة عظيمة من ناحية « دفع البلايا » كذلك هو نعمة عظيمة أيضاً لتنويره تلك الجهات من ناحية « جلبه للمنافـع » ۰

والانسان يستفيد من نعمة الايمان في علاقاته مع جميع المخلوقـات وفي جميع تلك الجهات ومن ثم تأتي الآية الكريمة التي تملأ بصداها العذب ارجاء الكون : « فاينما تولوا فثم وجه الله » ۰۰ لتنور للمؤمن المكرم جميع الجهات اينما اتجه ، وتتسع الى ما لا نهاية له ، حتى كأن للمؤمن عمـراً معنوياً طويلاً ممتداً من الخليقة الى نهاية العالم ۰ اذ يستمر ذلـك العمر المبارك من نور الحياة ، وبارتباطه بقافلة المؤمنين المنطلقة مع أول مسلم على وجه الأرض ۰۰

وهكذا فان نور الايمان هذا يحول عالمه الضيق المحصور بين جداري الزمان والمكان الى عالـم فسيح مريح ، ويجعـل الازمنة كلهـا بماضيهـا ومستقبلها زمناً حاضراً في قلبه وروحه بازالته البعـد بينهما ، فيتحـول

هذا العالم الفسيح بيتاً له ٠

(النقطـة الثالثة) :ـ

انها تقتضي « الحمد لله » على نعمة الايمان لاحتوائه على نقطتين : « الاستناد والاستمداد » ٠٠

نعم ، نظراً لكثرة أعداء البشر أولاً ولمنتهى عجزه ثانياً ، فلابد أنـه محتاج غاية الاحتياج الى نقطة استناد يلتجيء اليها دائماً دفعاً لشر اعدائه العديدين٠ ونظراً لكثرة حاجاته ، وآماله ، مع شدة فقره ونواقصه ، فلابد له من نقطة استمداد لكي يطمئن تلك الحاجات وتلك الآمال ٠

فيا أيها الانسان : اعلم ان نقطة استنادك في عملك وجهادك انما هي ايمانك بالله وحده ٠٠ واما نقطة استمدادك لروحك ووجدانك فهي بلاشك ايمانك بالآخرة ٠ ومما لا ريب فيه ان الذي لا حظ له من تلك النقطتين فانه يستوحش في قلبه وروحه ، ويعذبه وجدانه دائماً ٠٠

اما الذي يسـتند الى الاولى « الايمـان بالله » ويسـتمد من الثانية « الايمان باليوم الآخر » فانه لاشك يحس من اعماق قلبه وروحه بلذائذ معنوية ، وأنساً مسلياً ، واعتماداً وثيقاً يطمئن به وجدانه ويشرح فؤاده بسعادة لا يتصورها غيره ، وقد لا يحلم بها أصلاً ٠

(النقطـة الرابعة) :ـ

ان الثمرة التي لا تعرف شجرتها تنحصر لذتها في تلك الثمرة فحسب، ولذلك فان لذتها ستزول بمجرد أكلها تاركة وراءها اسفاً وحسرة ، امـا اذا عرفت للثمرة شجرتها ، فلا يمكن ان يحصل ذلك الالم والاسى بعـد أكلها وفراقها ، ذلك لأن لها أصلاً باقياً معروفاً ٠

وهكذا فان نور الايمان يزيل الآلام الناتجة من زوال اللذائذ المشروعة

وذلك باظهاره وجود امثالها ومجيئهـا من كنوز الرحمة الالهية ، ويؤمّن دوام النعم ، وعدم تناقصها باظهارها منابعها وخزائنها الربانية ، فيزيل ما يحصل من آلام الفراق باظهار لذة تجدد الامثال ، اذ التفكر بزوال اللذة يولد آلاماً كثيرة • فبنور الايمان تنوب تلك الآلام محيلا زوالها الى ثمرات جديدة من امثالها بلا انقطاع •

هذا وان اشد الحالات ضيقاً وهمّاً لروح الانسان ما يتولد من آلام الفراق وحسرات الوداع • فنور الايمان قد اودع الله فيه ما يذهب تلـك الآلام بدوام تجدد الامثال والوصال ولا ريب ان في تجـدد اللذات لذائـذ أخرى • وان التجدد بحد ذاته لذة • ولكل جديد لذة •

(النقطـة الخامسة) :ـ

يصور لنا الايمان بنوره ، ما يتصوره الانسان في الموجودات ويتوهم انها أعداء له وانها اموات بلا حياة •• يصورها الايمان : انها احباب لنا ، واخوان واحياء مؤنسين ، وانهم عباد مسبحون ، ذاكرون •• فالغافل ينظر الى موجودات العالم كالاعداء ، وهو في صراع معها دائماً ، فيستوحش مـن كل شيء ولا يتلفت الا ويرى نفسه بين غرباء يضمرون له العداء والشر• ذلك لأن علاقة الاخوة بين الازمنة الماضية والمستقبلة في نظر أهل الضلالة تنقطع • فتتحول الى حاضر جزئي محدود ، فاخوتهم ان دامت فهي كدقائق معـدودة •

أما اخوة الايمان فانها تمتد وتمتد ابتداءً من مبدأ الماضي وانتهاءً الى منتهى المستقبل • واذ ترى الضلالة وأهلهـا ان الكائنات كلهـا اموات موحشة ، يرى الايمان وأهله انها مخلوقات ذات روح وحياة ••• فيستأنس بها ، ويتجاوب معها بلغة المحبة والايمان والفطرة ، ذلك لان « كل قد علم صلاته وتسبيحه » • « وان من شيء الا يسبح بحمده » • ففي كل شيء حياة على قدّه وقدره ، فلا وحشة ولا خوف في نظر الايمان • وبينما ترى

الضلالة في الاحياء المنتشرة والمخلوقات القائمة في الوجود انهم ضعفاء عاجزون لا يصلون الى مطالبهم ، وليس لهم من يحميهم ويتودد اليهم ، وليس لهم من صاحب كريم يتعهدهم فهم كايتام يبكون من عجزهم وحزنهم ويأسهم ... يأتي نـور الايمان وقـد جعـل الموجودات كلهـا مخلوقـات مأنوسة كالاحياء ، فينظر الى من منحهم الله الخـلق والحياة ، بانهم عبـاد مكلفون وموظفون ذاكرون ومأمورون مسبحون وليسوا ايتاماً أبداً .

(النقطة السادسة) :-

ان نور الايمان يصور الدارين « الدنيا والآخرة » اشبه ما تكونان بسفرتين ممدودتين ومملوءتين من النعم ، يستفيد منهما المؤمن بيد الايمان وبحواسه الظاهرة والباطنة وبلطائفه المعنوية والروحيـة . بينما تتضاءل وتصغر دائرة استفادة الاحياء في نظر الضلالة فتنحصر في لذائذه المـادية فقط ، والتي ينغصها الزوال .

فنور الايمان يوسع ويوسع تلك الدائـرة الى ما تحيط السـماوات والارض بل الدنيا والآخـرة ... حتى انه يرى الشمس سراجاً في بيته ، والقمر نوراً في داره ، فتكونان نعمة له ، ويحسبهما رفيقين له في وظيفته ، وأنيسين له في سفره . فلاشك ان دائرة نعمته اوسع من كل ما نتصوره . اذ كما ذكره القرآن الكريم المعجز « وسخر لكم الشمس والقمر ، وسخر لكم ما في البر والبحر » فأشار ببلاغته الرائعة الى هذه الاحسانات الخارقة الناشئة من الايمان .

(النقطـة السابعة) :-

ان المؤمن يعلم بنور الايمان ان اعظم نعمة في الوجود هي (معرفـة الله) .. فهي نعمة لا تفوقها نعمة ، اذ هي منبع كل انـواع النعم التي لا نهاية لها ، واجناس الاحسانات التي لا غاية لها ، واصناف العطيـات التي لا حدّ لها ... فيلزم الحمد بعدد ذرات العالم على نعم الايمان هذه

لأن « أل » الاستغراق في « الحمد » تتضمن جميع (النعم) التي تستوجب الحمد ... منها نعمة « انه رحمن » التي تتضمن نعماً بعدد ما تعلق بـه الرحمة بذوى الحياة ، فالانسان له علاقة بجميع الاحياء وتسـعد فطرتـه بسعادتهم وتتألم بآلامهم ، فالنعمة للفرد هي نعمة للناس جميعاً ... ومنها نعمة « انه رحيم » التي تتضمن نعماً بعدد الاطفال الذين يتنعمون بعطف امهاتهم والتي تستوجب الحمد والثناء ... نعم فكما ان لكل من له فطرة سليمة يتأثر ويتألم ببكاء طفل يتيم ، كذلـك لابد انـه يتنعم ويتذوق ويتلذذ برحمة الامهات لاطفالهن ... فما هـذه الاذواق الا نعـم عظيمة تستلزم الحمد والشكر ... ومنها نعمة « انه حكيم » فهي نعمة تستوجب الحمد والشكر بعدد افراد وانواع الحـكمة المندمجـة في جميـع الكائنات والـكون . اذ كما أن نفس الانسان تتنعم بالانـوار الرحمانيـة ، وقلبه بالتجليات الرحيمية ، كذلك يتذوق عقله باللطائف الحكيمية .

فالحمد لله ملء الفم بالقلب والنفس والعقل .. وكذلك نحمده حمداً يملأ صداه الفضاء على نعمة الحفظ اي « انه الحفيظ » لان دوام النعمـة اعظم من النعمة نفسها ... وبقاء اللذة ألذّ من اللذة نفسها ... والخلود في الجنة نعمة تفوق الجنة نفسها .

فنعمة معرفتنا انه (الحفيظ) سـبحانه وتعالى تتضمن نعمـاً اكثر وازيد واعلى من جميع النعم الموجودة في الكائنات ... وهكذا فقس على اسم : الرحمن ، الرحيم ، الحكيم ، الحفيظ . سائر اسمائه الحسنى ، اذ أن في كل اسم من اسمائه نعماً لا نهاية لها تستوجب حمداً لا نهاية له .

ومنها نعمة (الاسلام) و (القرآن الكريم) الذي فجّر لنا منابع جميع انواع النعم المادية والمعنوية مما يستلزم حمداً لا متناهياً .

ومنها نعمة (محمد) صلى الله عليه وسلم ، التي تستوجب حمداً لا نهاية له ، اذ هو الوسيلة لنعمة الايمان ، وفتح كنوز النعم كلها ، فهو نعمة تظل البشرية مدينة له بالحمد والثناء الى الابد .

(النقطة الثامنة) :ـ

الحمد لله الذي يحمد لـه ويثني عليه هـذا الكتاب الكبـير المسمى بـ « الكون » ومفسّره الذي هو (القرآن الكريم) باظهار اوصاف جماله وكمالـه ·

فكتاب الكون هذا بجميع ابوابه وفصوله، وبجميع صحائفه وما تحويه من سطور وبجميع كلماته وحروفها كلّ بقدر نسبته ، من اصغر نقش الى اعظمه ، يحمده سبحانه وتعالى ، ويسبحه باظهاره اوصاف جلال قائله الاحد الصمد · وكل حرف فيه يثني باظهار انوار اوصاف جمـال كاتبه الرحمن الرحيم · وكل ما في الكون من نقاط ونقوش هي مرايا لتجليّات اشعة اسماء من له الاسماء الحسنى جلّ جلاله ولا اله غيره ·

(النقطة التاسعة)

الحمد ـ من الله بالله على الله ـ لله ، بعدد ضرب ذرات الكائنات من اول الدنيا الى آخر الخلقة ، في عاشرات دقائق الازمنة ، من الازل الى الأبد·

الحمد لله على نعمة القرآن والايمان عليّ وعلى اخواني بعدد ضرب ذرات وجودي في عاشرات دقائق عمري في الدنيا وبقائي في الآخرة ·

سبحانك لا علم لنا الاّ ما علّمتنا انك انت العزيز الحكيم ·

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ·

اللهم صلّ على سيدنا محمد بعدد حسنات امته وعلى آله وصحبه وسلم آمين والحمد لله رب العالمين ·

اركان الايمان حقيقة واحدة لا تتجزأ

[آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله ۰۰۰۰] سورة البقرة/٢٨٥

ان السبب الذي ادى الى ايضاح هذه الآية الجامعة السامية العظيمة ودعا الى بيانها ؛ هو حالة خاصة معينة نتجت عن سؤال معنوي مثير ۰ وعن انكشاف نعمة آلهية عظيمة ، كالآتي :

فقد ورد الى الروح هذا السؤال : لِمَ يعتبر كافراً من ينكر جزءاً من حقيقة ايمانية ، ولا يعد مسلماً من لم يقبلها مع أن نور الايمان بالله واليوم الآخر ـ كالشمس ـ يبدد كل ظلام ؟!

ثم ، لِمَ يصبح مرتداً من ينكر حقيقة أو ركناً ايمانياً ، ويرديه الى الكفر المطلق ومن لم يقبلها يخرج من دائرة الاسلام ۰ بينما ينبغي أن ينقذه ايمانه بالاركان الاخرى ـ إن وجد ـ من ذلك الكفر المطلق ؟

الجواب : ان الايمان هو حقيقة نابعة من ستة اركان ، فهو حقيقة واحدة موحّدة بحيث لا يقبل التفريق ، وهو كلّي بحيث لا يتحمل التجزأة ، وهو كلٌ بحيث لا تقبل اركانه الانقسام ، ذلك لأن كل ركن من تلك الاركان الايمانية مع حججها التي تثبته ـ يثبت بقية الاركان ، فيصبح بذلك ـ كل ركن ـ حجة قاطعة عظمى لكل ركن من الاركان ۰ لذا فالفكر الباطل الذي لا يتمكن من زعزعة جميع الاركان ـ مع جميع أدلتها ـ لن يستطيع ـ من وجهة الحقيقة ـ نفي ركن واحد بل ولا تفنيد حقيقة واحدة من حقائقها ، الا أن يغمض المنكر عينيه ويتشبث بعدم القبول والرفض ، فيدخل في الكفر العنادي ويسوقه ذلك بمرور الزمن الى الكفر المطلق ،

فتنعدم انسانيته ويولّى الى جحيم مادي فضلاً عمّا هو فيه من جحيم معنـوي ٠

وكما اننا بيّنا في رسالة الثمرة(١) ـ دلالة الاركان الايمانية على الحشر بشكل مقتضب ـ كذلك سنبين هنا باشارات مختصرة جداً ومجملةـ المغزى العميق العظيم لهذه الآية معتمدين على عنايته سبحانه ٠ وذلك في ست نقاط :

النقطـة الاولى :

ان (الايمان بالله) بحججه القاطعة يثبت (الايمان بالآخرة) مـع اثباته سائر الاركان الايمانية الاخرى ٠

نعم ؛ ان سلطنة الربوبية وقدرتها الازلية وقوتهـا الباقية وغناهـا المطلق ، والحاكمية الابدية للالوهية الدائمة التي تدير هذا الكون غـير المحدود ـ مع جميع لوازمه وضروراته ـ كأنه قصر أو مدينة ، والتي تصرف جميع شؤونه ضمن نظام وميزان ، وتغيّره وفق حكم كثيرة ، والتي تدير الذرات والكواكب وتجهّز الذباب والنجوم معاً كالجنود المطيعين للجيش المنسّق ، والتي تسوق الجميع ـ ضمن ارادتها وامرها ـ الى استعراض هائل عام شامل للعبودية الخالصة ، من خلال مناورة سامية وابتلاء واختبار وتدريب على الوظائف وتعليم لها بفعالية ونشاط دائم وسير وجولان مستمر ٠ هل يمكن ، أم هل يعقل ، لا بل هل هناك اي احتمال قط في الا يكون هناك مقر باق ومملكة دائمة ، وظهور خالد ، وتجلٍ سرمدي ـ وهو الدار الآخرة ـ لمثل هذه السلطنة الابدية ، ولمثل هـذه الحاكمية الباقية الدائمة ؟! حاشا وكلا ٠٠ والف مرة كلا ٠

---

(١) تثبت المسألة السابعة من رسالة (الثمرة) الايمان بالآخرة بدلالة الاسماء الحسنى ٠ وهذا البحث هو المسألة التاسـعة من الرسـالة نفسها التي كتبها الاستاذ رحمه الله في سجن (دنيزلي) ٠/م

فسلطنة ربوبية الله جل وعلا – اذن – واغلب اسماء الله الحسنى ، وجميع دلائل وحجج وجوب وجوده سبحانه وتعالى – كما بيّن في المسألة السابعة – تشهد جميعاً وتدل على (الآخرة) وتطلبها ٠

فما اعظم مرتكز هذا الركن الايماني العظيم ، وما أمتن قوة نقطة استناده ! ألا فأدرك ذلك ، وصدّق به كأنك تراه ٠

ثم أن (الايمان بالله) كما لا يمكن ان يكون دون (الايمان بالآخرة) كذلك – مثلما ذكر ملخصاً في رسالة الحشر – هل يمكن ، أم هل يعقل ، ان الله تعالى الذى خلق هـذا الكون – اظهاراً لالوهيته ومعبوديته – وهو المعبود الحق ، خلقه على هيئة كتاب صمداني مجسم – يـا لـه من كتاب ظاهر – بحيث يفيد كل صحيفة من صحائفه معاني كتاب ضخم ، ويعبّر كل سطر من اسطره عن معاني صحيفة كاملة ٠٠٠ وخلقه على شكل قرآن سبحاني مجسم تجسيماً بحيث ان كل آية من آياته التكوينية ، وكل كلمة من كلماته ، بل حتى كل حرف منه وكل نقطة بمثابة معجزة ٠٠٠ وخلقه على صورة مسجد رحماني مهيب – وما اعظمه من مسجد مزين بما لا يحد من الآيات والنقوش الحكيمة – بحيث ان في كل زاويـة من زوايـاه طائفة تنهمك بنوع من العبادة الفطرية ٠

فهل يمكن لهذا الخالق المعبود الحق الا ّ يرسل اساتذة ليدرّسوا ما في ذلك الكتاب الكبير ويعلّموا ما فيه ؟

أم هل يمكن الا ّ يبعث مفسّرين ليفسّروا آياتذلك القرآن الصمداني٠

أم هل يمكن الا ّ يعيّن إماماً لذلك المسجد الاكبر ليؤم الذين يعبدونه بانماط واشكال مختلفة من العبادات ؟؟

أم هل يمكن الا ّ يزود أولئك الاساتذة والمفسرين والائمة بالأوامر السلطانية ؟! حاشا لله وكلا ٠٠٠ وألف ألف مرة كلا ٠ !

ان الخالق الرحيم الكريم الذي خلق هذا الكون ـ إظهاراً لجمال رحمته وحسن رأفته وكمال ربوبيته ـ لذوى الشعور ليحثهم على الشكر والحمد ، فخلقه على هيئة دار ضيافة فخمة ، ومعرض رائع واسع ، ومتنزه جميل بديع ، حيث صفّف فيه ونضّد ما لا يحد من النعم اللذيذة المتنوعة المختلفة ، ونظم فيه ما لا يعد من خوارق الصنعة وبدائعها الرائعة ٠

فهل يمكن ، ام هل يعقل الا ّ يتكلم هذا الخالق الرحيم الكريم ـ بوساطة رسله ـ مع ذوى الشعور من مخلوقاته في دار ضيافته الفاخرة هذه ، والا ّ يعلّمهم وظائف شكرهم وامتنانهم ومهام عبوديتهم تجاه رحمته السابغة وتودده الظاهر ؟! كلا ٠٠٠ ثم ألف ألف مرة كلا ٠ !

ثم ان الخالق الذي يحب خلقه وصنعته ، ويرغب جلب الاعجاب والتقدير اليه ، بل يطلب استحسانه وتثمينه ـ بدلالة اهتمامه بآلاف الانواع من الاذواق في الافواه فيعرّف نفسه سبحانه بكل مخلوق من مخلوقاته ويحببها كذلك مظهراً نوعاً من جماله المعنوي ، بما زيّن هذا الكون ببدائع صنائعه ومخلوقاته ٠ فهل يعقل الا ّ يتكلم مع قسم من عظماء البشر وهم سادة ذوى الحياة ؟

وهل يمكن الا ّ يبعثهم رسلاً اليهم ، فتظل تلك الصفات الجميلة دون تقدير وتظل تلك الاسماء الحسنى الخارقة دون استحسان ولا اعجاب ويظل تعريفه وتحببه دون مقابل؟!! حاشا لله وكلا٠٠ ثم ألف ألف مرة كلا٠!

ثم ان المتكلم العليم الذي يستجيب ـ في وقته المناسب ـ لدعوات جميع ذوات الحياة ، ملبياً حاجاتها الفطرية ، ومغيثاً تضرعاتها ورغباتها المرفوعة اليه بلسان الحال ـ فيتكلم صراحة فعلاً وحالاً باحساناته غير النهائية لهم وانعاماته غير المحدودة عليهم، مظهراً القصد والاختيار والارادة٠

فهل يمكن وهل يعقل ان يتكلم هذا المتكلم العليم مع أصغر كائن حي فعلاً وحالاً ويسعف داءه ، ويغيثه باحسانه ، ويسدّ حاجاته ، ومن ثم

لا يقابل الرؤوساء المعنويين للانسان الـذي هو سيد أغلب المخلوقـات الارضية ، وهو خليفة الله في أرضه ، وهو النتيجة المستخلصة من الكائنات ؟

فهل يعقل ألا يتكلم معهم قولاً وكلاماً مثلما يتكلم مع كل ذي حياة فعلاً وحالاً ، أم هل يمكن الا يرسل معهم اوامره ، وصحفه وكتبه المقدسة؟ حاشا لله ٠٠ ثم ألف ألف مرة كلا ٠!

وهكذا يثبت « الايمان بالله » مع حججه القاطعة الثابتة غير النهائية الايمان (بكتبه) المقدسة (وبرسله) الكرام عليهم السلام ٠

ثم ان الذي جعل الكون يدوي بالحقيقة القرآنية ويترنم بها والذى عرّف وعرّف باكمل وجه ذلك الخالق البديع الذى عرّف نفسه وحبّبها لجميع خلقه ــ فأوجب عليهم الشكر فعلاً وحالاً ــ فأحبه وحبّبه ، وأدى شكره له وجعل الآخرين يشكرونه بل جعل الأرض تردد « سبحان الله والحمد لله والله اكبر » حتى اسمعت السموات العلى ٠ والذي قابل الربوبية الظاهرة للخالق العظيم بعبودية واسعة كلية فقاد خمس البشـرية كمية ونصفها نوعية خلال ألف وثلاثمائة سنة قيـادة حتى اهاج البر والبحـر وملأ شوقاً ووجداً ، والذي هتف بسور القرآن الـكريم ــ لاجل المقاصد الآلهية ــ في اذن الكون ولمدى جميع العصور ٠ فألقى درساً عظيماً ، ودعا بدعوة كريمة ، مظهراً وظيفة الانسان وقيمته ومبيّناً مرتبته ومنزلته ٠

ذلكم هو محمـد الأمين ــ عليه افضل الصلاة والسـلام ــ الصادق المصدّق بألف معجزاته ٠

فهل يمكن الا يكون هذا العبد العزيز المصطفى المختار اكرم رسول لذلك المعبود الحق ، وهل يمكن الا يكون أعظم نبي له ؟ حاشا وكلا ٠٠ ألف ألف مرة كلا ٠!

فحقيقة (أشهد ان لا إله الا الله) ــ مع حججها اذن ــ تثبت (اشهد أن محمداً رسول الله) ٠

ثم ان الخالق الذي جعل مخلوقاته يتبادلون الكلام بمئات الآلاف من الالسنة واللغات وهو الذي يسمع كلام الجميع ويعرفه ، فهل يمكن الا يتكلم هو ؟ .. كلا ثم كلا !

فالقرآن الكريم الذي نوّر ثلاثة عشر قرناً واضاءها ، والذي تتناقله في كل ساعة مائة مليون لسان بكل اجلال وتوقير ، والذي سطر في صدور ملايين الحفاظ بكل سمو وقداسة ، والذي أدار بقوانينه القسم الأعظم من البشرية ، وربّى نفوسهم وزكّى ارواحهم ، وصفّى قلوبهم وأرشد عقولهم. والذي هو معجزة اثبت اعجازه بأربعين وجهاً في رسائل النور ، ووضّح ان له اعجازاً لكل طبقة من الطبقات الاربعين للناس (كما جاء في المكتوب التاسع عشر . ذات الكرامة الخارقة) . والذي استحق بحق أن يطلق عليه « كلام الله » وثبت ذلك ودلّ عليه اذ اصبح محمد عليه الصلاة والسلام مع آلاف معجزاته معجزة باهرة من معجزاته .

فهل يمكن الاّ يكون هذا القرآن الكريم – معجز البيان – كلام ذلك المتكلم الازلي سبحانه وهل يمكن الاّ يكون اوامر ذلك الخالق السرمدي جل وعلا ؟ حاشا وكلا ألف ألف مرة كلا !

فـ « الايمان بالله » مع جميع حججه يثبت ان القرآن الكريم كلام الله عزّ وجلّ .

ثم ان السلطان ذا الجلال الذي يملأ سطح الارض بذوى الحياة باستمرار ويفرغه ، معمراً دنيانا بذوى الشعور لأجل معرفته سبحانه وعبادته وتسبيحه .

فهل يمكن لهذا السلطان ذي الجلال ان يترك السموات والنجوم خالية فارغة ، ولا يعمّر تلك القصور السماوية بأهالي وسكنة تناسبها ؟

وهل يمكن ان يترك (هذا السلطان العظيم) سلطنة ربوبيته في اوسع ممالكه بلا هيبة وعظمة ، وبلا موظفين مأمورين ، وبدون سفراء رسل ، وبدون ناظرين مشرفين ، وبدون مشاهدين معجبين ، وبدون عباد مكرمين ،

وبدون رعايا مطيعين ؟!

حاشا لله وكلا .. بعدد الملائكة ..

ثم ان الحاكم الحكيم والعليم الرحيم الذي كتب هذا الكون بشكل كتاب ، بحيث سجّل تاريخ حياةكل شجرة فيكل بذر من بذورها ، ودوّن وظائف حياةكل عشب ومهامكل زهر في جميع نواها . وكتّب جميع حوادث الحياة لكل ذوى شعور في قواه الحافظة الصغيرة كالخردل . واحتفظ بكل عمل في ملكه كافة ولكل حادثة في دوائر سلطنته بالتقاط صورها المتعددة ، والذي خلق الجنة والنار والصراط والميزان الاكبر لأجل تجليات العدالة والحكمة والرحمة التي هي اهم اساس للربوبية وتحققها .

فهل يمكن لهذا الحاكم الحكيم ولهذا العليم الرحيم الاّ يسجل اعمال الانسان التي تتعلق بالكائنات ؟!

وهل يمكن الاّ يدوّن افعاله ولا يكتب سيئاته وحسناته في الواح القدر ؟! حاشا لله وكلا بعدد حروف ما كتب في اللوح المحفوظ للقدر .

أي أن حقيقة « الايمان بالله » مع حججها تثبت حقيقة «الايمان بالملائكة» كما تثبت حقيقة « الايمان بالقدر » أيضاً اثباتاً قاطعاً . كالشمس التي تظهر النهار والنهار الذي يدل على الشمس ، فالاركان الايمانية يثبت بعضها البعض الآخر هكذا .

النقطة الثانية :

ان جميع ما دعت اليه الكتب والصحف السماوية كافة وفي مقدمتها القرآن الكريم وجميع الدعوات التي قام بها الانبياء عليهم السلام كافة وفي مقدمتهم محمد عليه الصلاة والسلام ، تدور على عدة اسس ثابتة . وكان سعيهم دائماً لاثبات تلك الاسس وتلقينها للآخرين. فجميع الحجج والدلائل التي تشهد على نبوتهم وصدقهم متوجه معاً الى تلك الاسس مما تزيدها قوة واحقية . وما تلك الاسس الاّ الايمان بالله وباليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره من الله تعالى .

فلا يمكن اذن التفريق بين اركان الايمان الستة اطلاقاً ، حيث أن كلَّ

ركن من الاركان يثبت الاركان عامة بل يطلبها ويقتضيها ، لذا فان الاركان الستة كلّ وكلّي الى درجة انها لا تقبل التجزأة البتة • فانقسامها غير ممكن ابداً • فكما ان كل غصن من اغصان الشجرة المباركة (شجرة طوبى) الممتد جذرها في السماء وكل ثمر من ثمارها وكل ورقة من اوراقها يستند على الحياة الخالدة لتلك الشجرة ، ولا يتمكن أحد ان ينكر تلك الحياة العظمى الظاهرة كالشمس وتلك الحياة الاصيلة المتينة ، ولا يمكنه مطلقاً ان ينكر حياة ورقة واحدة متصلة بها • ولئن انكر ، فان تلك الشجرة تكذبه بعدد اغصانها وثمارها واوراقها وتسكته ، كذلك الايمان باركانه الستة هو بالصورة نفسها •

هذا ولقد كانت النية معقودة على بيان الاركان الايمانية الستة في ست نقاط وفي كل نقطة خمس نكاتذات مغزى ، وكانت الرغبة متوجهة الى اجابة السؤال المثير الوارد في المقدمة ببيان اكثر وتوضيح أوسع ، الا أن عوائق وعوارض حالت دون ذلك • بيد أنني أخال أن النقطة الاولى لم تدع سبيلاً لايضاح اكثر لأهل الدراية حيث انها مقياس كافٍ للموضوع • وقد وضح تماماً انه اذا ما انكر المسلم اية حقيقة ايمانيةكانت فانه يتردى الى الكفر المطلق ؛ اذ تسلسلت الاركان الايمانية بعضها ببعض وفصّل الاسلام ووضح ما أجمل في الاديان الاخرى • فالمسلم الذي لا يعرف محمداً عليه الصلاة والسلام ولا يصدّق به فلا يعرف الله سبحانه اذن (بصفاته) ولا يعرف الآخرة كذلك •• فليس هناك مجال للانكار قطعاً اذ أن ايمان المسلم قوي ورصين الى درجة لا يتزعزع ابداً لاستناده الى حجج كثيرة جداً وكأن العقل يرضخ رضوخاً لقبول هذا الايمان •

(النقطة الثالثة :

قلت ذات مرة « الحمد لله » • ثم بحثت عن نعمة عظيمة جداً تقابل معناه • فخطر على القلب الجملة الآتية : [الحمد لله على الايمان بالله ، وعلى وحدانيته ، وعلى وجوب وجوده وعلى صفاته ، واسمائه ، حمداً بعدد تجليّات اسمائه من الازل الى الأبد] • فتأملت فيها فوجدتها مطابقة تماماً للمعنى •• وهي كالآتي :ـ ••••

من جنان التوحيد

- بشائر التوحيد
- لا شريك له
- نور التوحيد
- نافذة الى التوحيد

[المكتوب العشــرون]

بشائر التوحيد

« لا اله الا الله ، وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ، ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، واليه المصــير » ٠

ان هذه الجملة التوحيدية عبارة عن احدى عشرة كلمة وان تكرارها بعد صلاتي « الفجر والمغرب » له فضائل كثيرة ، حتى لقد وردت في احدى الروايات الصحيحة ان هذه الجملة تحمل مرتبة « الاسم الاعظم » ٠

فلا غرو اذن أن في كل كلمة من كلماتها أملاً وبشرى ومرتبة من مراتب توحيد الربوبية ، وأما من زاوية الاسم الاعظم فان في كل كلمة من كلماتهــا كبرياء الوحدانية وكمالها ، لذا نحيل ايضاح هذه الحقائق السامية والواسعة الى سائر « الكلمات » مكتفين هنا بوضع فهرس لهــا على صورة خــلاصة مجملة تتكون من « مقامين » و « مقدمة » ٠

المقـدمـة :

اعلم ــ قطعا ــ أن الغاية العليا للخلق والنتيجة المهمة للفطرة الأنسانية انما هي « الايمان بالله »٠ وأن المرتبة السامية للانسان والمقام الاعظم للبشرية انما هي في ماينطوي عليه الايمان بالله من «معرفة الله»٠ وأن السعادة الحقيقية المشعة للجن والأنس والنعمة اللذيذة لهما انما هي فيما تحتضنه معرفة الله من « محبة الله » ٠ وان السرور الخالص للروح البشرية والفرحــة الغامرة الصافية للقلب الانساني هو «اللذة الروحية» الموجودة في « محبة الله » تلك٠

نعم ان السعادة الحقيقية والسرور الخالص والنعمة اللذيــذة واللذة الصافية لتكمن في « معرفة الله » وفي « محبة الله » فتلكم الأشياء لا تتأتى عبثا

من دون الايمان بالله ، فالذي يعرف خالقه اذن ويحبه يكون أهـلا لسـعادة عظمى ونعمة كبرى وأنوار لا نهاية لهـا وأسـرار لا حـدود لهـا ، امـا « فعلاً » وامـا استعداداً ٠

بينما الذي لا يعرف خالقه معرفة حقيقية ولا يكن له حبا وودا يصاب بشقاء وآلام وأوهام لا نهاية لها سواء منها المادية أو المعنوية ٠

نعم ، ان الانسان ـ حتى لو كان مالكاً للدنيا كلها ـ فليس له قيمة في عالم البشر المسكين هذا فتيلاً ، وضمن هذه الحياة القصيرة غير المجدية ، وبهذه الصورة التي يتوهمها ـ هو ـ بانها خالية من أي صاحب أو مالك أو حفيـظ ٠

فهو واضح ومعلوم للجميع اذن مدى شقاوة هذا الانسان في دوامـة هذه البشرية المضطربة وخلال هذه الحياة الدنيوية الفانية لو لم يجد مالكه ومولاه الحـق ٠

ولكن حينما يجـد مولاه الحق ويتعرف على خالقه الـكريم ويلجـأ الى كنفه ويستظل بمظلة رحمته الواسعة مستندا الى قدرته المطلقة ، تتحول الدنيا ـ عندئذ ـ الى مكان مؤنس للتجارة والى متنزه جميل رائع والى دار استراحة وأمن واطمئنان بدلا عن مكان موحش مخيف مؤلم ٠

« المقـام الاول »

في كل كلمة من كلمات هذا الكلام التوحيدي بشـرى سـارة وأمل دافيء ، وضمن تلك البشرى شفاء روحي وخلال ذلك الشفاء الروحي تنوق لذة معنوية ٠

الـكلمة الاولى :ـ

(لا إله الا الله) ـ ان في هذه الكلمة بشرى وأملا كالآتي :

ان روح الانسان المبتلى بحاجات لا محدودة ، والهدف المقصود لهجوم أعداء لا نهاية لها ، لتجد في هذه الكلمة نقطة « استمداد » عظيمة الى درجة

بحيث تفتح له باب خزينة رحمة تصب عليه كل ما تسد حاجاته تلك فتطمئن ٠ وتجد أيضا نقطة « استناد » رصينة الى درجة بحيث تعرفه على خالقه ومعبوده ٠٠ لا بل تريه مولاه وتأخذ بيده الى مالكه ذي القدرة المطلقة الذي يستطيع انقاذه من شر أولئك الاعداء كافة ٠

فبهذا التعرف على الله يتخلص القلب الانساني من الوحشة المطلقة وتنجو الروح الانسانية من الحزن الأليم اذ يؤمّن الله فيه للمؤمن فرحاً أبديا وسروراً دائماً ٠

الكلمة الثانيـة :ـ

« وحده » ـ ففي هذه الكلمة أمل شاف وبشرى باعثة على السعادة ، هكذا : ان الروح البشرية والقلب الانساني ـ المرهقين البائسين بل الغارقين الى حد الاختناق بكثرة ارتباطهما ووثوق علاقتهما بالكائنات كافة ـ لتجدان في كلمة « وحده » ملجأ لهما ومنقذاً ٠ حتى أنهـا تنقذهما من تلك المهالك والدوامات جميعها ، بمعنى أن كلمة « وحـده » تقول :

أن « الله واحد » ٠ فلا تتعب نفسك ولا ترهقهـا بمراجعة سـواه ، ولا تتذلل فتدخل نفسك تحت منة الغير وأذاه ٠ ولا تتملق لما سواه وتحني رأسك له ٠ ولا تحمل نفسك مشقة السير وراء الغير ، ولا ترتعد ولا تخشى مما سواه ٠٠ لأن سلطان الكون واحد ، فمفتاح كل شيء عنده ومقود كل شيء بيده ، وتنحل عقدة كل شيء بأمره ، وتنفرج كل شدة وأمر وشأن بارادته ، فاذا وجدته هو فقد فزت بمطلوبك ونجوت من المخاوف والأوهـام والمنن والأذى ٠

الـكلمة الثـالثـة :

(لا شريك له) أي : أن الله واحـد وليس بمتعدد : فكما أن الوهيتـه وسلطنته مجردتان من الشرك ومنزهتان منه ، فان ربوبيته سبحانه واجراءاته وايجاداته كذلـك خالية من الشـرك ٠٠ بخلاف سلاطين الأرض اذ يحدث

أن يكون السلطان هذا واحداً في سلطنته لا يشاركه فيها أحـد الا أنـه في اجراءاته وتنفيذه هناك الحرس والحاشية والموظفون ممن لهم شركاء له في ذلك • بل باستطاعتهم السماح أو منع أي واحد بالدخول في حضرته قائلين: « راجعونا قبل الدخول في حضرة الملك » •

ولكن الحق سبحانه وتعالى وهو سلطان الأزل والأبد ليس بحاجة الى شركاء ولا الى معينين في اجراءات ربوبيته وتنفيذ أوامره كما هو الحال في سلطنته سبحانه ؛ ذلك لأنه لا يجرؤ أي شيء ـ كائنا من كان ـ أن يتدخل أو يتعامل مع الآخر أبداً ما لم يحضر أمره وارادته وما لم يكن هناك حوله وقوته ، وأنه بمقدور أي واحد أن يراجعه بنفسه مباشرة وذلك لعدم وجود شريك أو معين لـه فـلا يقال للمراجع اذن : « ممنوع الدخول في الحضرة الآلهيـة » •

وهكذا فان هذه الكلمة تحمل أملا عظيما وبشرى بهيجة بحيث أن الروح البشرية المتشبعة بالايمان الخالص لتستطيع عرض حاجتها بدون حواجز وبدون حوائل وبدون موانع أو تدخلات اية رغبة كانت من رغباتها في كل آن وفي كل مكان، ويمكن للانسان أن يدخل الى حضرة ذلك الجميل ذي الجلال وذلك القادر ذي الكمال صاحب الأزل والأبد المالك لخـزائن الرحمة التي لا تنضب وكنوز السعادة التي لا تنفد ، فارشا حاجاته كاملة أمام رحمته الواسعة واجداً مبتغاه بالاستناد الى قوته المطلقة مكتسبا بذلك فرحا كاملا وسرورا غامرا •

الـكلمة الرابعـة :ـ

(له الملك) يعني : الملك كله له ، فأنت أيضا ملكه كما أنك مملوكه • وأنت عامل في ملكه •• فهذه الكلمة تفوح أملا وتقطر بشرى شافية وتقول :

أيها الانسان لا تحسب أنك مالك نفسك ، حيث أنك لا تقدر مداراة نفسك ولا مراعاتها ، فالحمل ثقيل ، وليس باستطاعتك الحفاظ على نفسك

ومسايرتها ، فلا تستطيع اجتناب البلايا مثلا ولا توفير لوازم الحياة بنفسك

اذن لا تضطرب ولا تجلب لنفسك الآلام سدى ٠ فالملك لغيرك ، وذلك المالك قادر ورحيم ٠٠ فاستند الى قدرته ، ولا تتهم رحمته ، دع عنك المعاناة وذق لذة الحياة وراحتها ، وانبذ الصعاب وحز على الصفاء والسعادة ٠

وتقول هـذه الكلمة :

ان هذه الكائنات التي تهواها معنى وتتعامل معها وترتبط بها بأوثق العلاقة فتتأثر نتيجة ذلك بأعباء تلك العلاقات ومسؤولياتها الصعبة ويصيبك البؤس والذلة من ورائها وليس بمقدورك اصلاحها واعمارها ، انما هي ملك ذلك القادر الرحيم فارجع الملك اذن الى صاحبه وتخل عنه ، لتسعد بصفائها وهنائها ، دون معاناتها ومقاساتها ، فهو حكيم وهو رحيم يتصرف في ملكه وفق حكمته ورحمته كيفما يشاء ٠

واذا ما أخذتك الدهشة والحيرة ، فكن كما يقول الشاعر « ابراهيم حـقي » :

[ـ لنر المولى ماذا يفعـل ؟

فكـل ما يفعلـه حسن جميـل !]

فانظر بعد ذلك من خلال النوافذ دون اقتحامها أو الدخول فيها ٠

الـكلمة الخامسة :ـ

« لـه الحمد » أي : أن الحمد والثناء والمدح والمنة كلها لله ، ولائقة به كلها ٠ فالنعم والآلاء ـ اذن ـ له وحده وهي تفيض من خزينته بغزارة وسخاء ٠٠ وتلك الخزينة دائمة ٠

فهذه الكلمة تمنح بشرى ويسراً وتقول :

أيها الانسان ٠٠ لا تتجرع الألم بزوال النعمة ، لأن خزينة الرحمـة لا تنفد ، ولا تصرخ من الالـم بالتفكر بزوال اللـذة والتامل في فنائهـا ٠

لأن ثمرة تلك النعمة انما هي رحمة لا نهاية لها فاذا كانت الشجرة حيــة وباقية فان ثمرتها تستمر وتحل محلها أخريات ٠

وان هناك في لذة النعمة لذة أعظم منها مائة درجة ذلك هو الشــكر والحمد على تكرمة الرحمة وتوجهها والتفاتها المتجسد في تلك النعمة ، فترتقي اللذة عندئذ وتكبر مائة مرة ومرة ٠

فمثلما ان ملكا عظيما وسلطانا ذا شــأن اذا ما قــدم اليــك هديــة ، ـ ولتكن تفاحة مثلا ـ فان هذه الهدية ستنطوي على لذة تفوق اللذة المادية للتفاح نفسه بمائة بل بألف مرة ٠٠ تلك هي لذة الالتفات الملكي والتوجه السلطاني المكلل بالتخصيص والاحسان ٠

كذلك فان كلمة « له الحمد » أي الحمد والشكر والشعور بالانعام في النعمة ، أي التعرف على المنعم بالتفكر بالأنعام ، أي التفكر والتبصر فيالتفات الرحمة وتوجه الشفقة ودوام الانعام ، لتفتح بابا تتدفق لذة معنوية هي ألذ من تلك النعم نفسها ألف درجة ودرجة ٠

الـكلمة السادسة :ـ

« يحيي » أي أنه هو الذى يهب الحياة وهو الذي يرزق تلك الحيــاة ويديمها بالغذاء لاستمرارها وهو الذي يظهر لوازم الحياة ومقوماتها ٠

فالغايات السامية للحياة تعود اليه ، والنتائج المهمة للحياة ترجع اليه، وان تسعا وتسعين من ثمراتها ونتائجها عائدة اليه ، فهذه الكلمة تنادي الانسان الفاني العاجز نافخة فيه روح الأمل قائلة :

ـ أيها الانسان لا تتعب نفسك ولا ترهقهــا بتحمل تكاليف الحيــاة الباهظة والثقيلة على عاتقك ، ولا تحزن وتعذب نفسك بتصور فناء الحياة وانتهائها ، وتستاء وتتذمر بمجيئك الى الحيــاة الدنيا ورؤيتك الثمرات العقيمة فيها ، فان الماكنة الحياتية المركبة في سفينة وجودك تعود الى « الحي

القيوم » فهو الذي يقوم بتجهيز تلك الماكنة الناطقة وتزويدها بمصاريفها ولوازمها ، وأن لهذه الحياة غاياتها ونتائجها الكبيرة جدا وكلها تعود اليه ، وما أنت الا شخص مسافر وعامل بسيط في تلك الباخرة ٠٠ باخرة الوجود٠

فقم بواجبك على الوجه الأكمل والأحسن وبالشكل المطلوب منك ، ومن ثم اقبض اجرتك وتمتع بها وتفكر بمدى أهمية تلك السفينة وتأمل بمدى قيمتها وبمدى انتاجها للفوائد الجميلة العظيمة وبمدى كون صاحبها كريما ورحيما ٠

فاسبح في فضاء السرور والسعادة والفرحة الغامرة منطلقا من معنويات ايمانية سامية شاكرا لله حامدا له ٠

وافهم بأنك اذا استقمت في مهمتك فان النتائج التي ستترتب على هذه السفينة ستسجل أولا في صحيفة أعمالك ، ومن ثم تؤمن لك حياة باقية فتحيا حياة أبدية ٠

الكلمة السابعة :ـ

« ويميت » أي : أنه هو واهب الموت ، أي أنه هو الذي يسرّح من وظيفة الحياة فيبدل مكانك في الدنيا الفانية ، وينقذك من تكليف الخدمة ، ومشقة المسؤولية وأعباء الوظيفة ٠ أي أنه يأخذك من الحياة الفانية الى الحياة الباقية ، فهذه الكلمة تستصرخ الأنس والجان الفانيين قائلة :

ــ اليكم البشرى والأمل والسلام ٠٠ فالموت ليس اعداما ، وليس عبثا ، وليس سدى ، وليس فناء ، وليس انقراضا ، وليس انطفاء ، وليس فراقا أبدياً ، وليس عدما ، وليس تصادفا ، وليس انعداماً بلا فاعل ٠٠ بل هو تسريح من لدن فعال حكيم رحيم وتبديل مكان ، وسوق نحو السعادة الأبدية ــ كسوق الجيش ــ والى الوطن الاصلي ، وهو باب وصال لعالم البرزخ الذي يجمع تسعا وتسعين بالمئة من الأحباب ٠

الـكلمة الثامنـة :ـ

(وهو حي لا يموت) أي : ان الكمال والحسن والاحسان الذي هـو وسيلة المحبة الظاهرة في موجودات الكون تتجلى كلها بما هو فوق الدرجات العلى في مالك الجمال والكمال والاحسان وصاحبه ، فهو البديل اذن لكل الأحبة والاعزاء ٠

اذ يكفي تجـل من تجليـات جمـال ذلـك المعبـود الحي ، وذلـك المحبـوب القيـوم بجميـع تلـك الاحبـة والمحبوبات فهو المـالك لحيـاة أبدية دائمية وهو المنزه عن كل شوائب الزوال والفناء وهو المبرأ من كل عوارض النقص والقصور سبحانه ٠٠ فهذه الكلمة تعلن للملأ جميعا مـن الجن والأنس وأولى المشاعر والفطنة وأهل العشق والمحبة قائلة : اليـكم نسمة أمل وخير فان هناك محبوبا باقيا يداوي الجـروح المتمخضة مـن الفراق الابدي لاحبتكم بمرهم رحمته ، فما دام هو موجودا باقيا فلا تهتموا اذن ولا تقلقوا بشأن الآخرين ٠

بل ان الحسن والاحسان والفضل والكمال الذي هو سـبب محبتكم وتلهفكم لتلك المحبوبات انما هو ظل ضعيف جـدا انشق عن ظـلال الحجب لتجل واحد من تجليات جماله الباقي للمحبوب الباقي سبحانه ٠

فلا يعذبنكم زوال أولئك وفراقهم لأن جميعها انما هي نوع من المرايا ، وان تبديل المرايا تلك انما هو لتجديد وتزيين شعشعة تجلي جماله ولمعانه ٠ فما دام هو موجودا ، فكل شيء موجود اذن !

الـكلمة التاسعة :ـ

« بيده الخير » أي أن كل الخـير بيده هو ، وكل أعمالكم الخـيرة وحسناتكم تسجل فيسجله ، وكل ماتعملونه من أعمال صالحة تدرج عنده٠

فهذه الـكلمة تنادي الجـن والأنس واهبة ايـاهم الأمل والشوق والبشرى قائلة : ايها المساكين لا تقولوا عندما تغادرون الى المقبرة (أواه ٠

وا أسفاه) لقد ذهبت أموالنا هدرا ، ومضى سعينا عبثا وهباء ، ودخلنا باطن الأرض الضيق بعد هذه الدنيا الفسيحة الجميلة ٠

لا ٠ لا تصرخوا يائسين ضجرين ٠٠ لأن كل ما لديكم محفوظ عنده وفي أمان لديه ، وقد كتبت كل أعمالكم ، وقد دونت كل خدماتكم ، فان الذات الجليلة ـ جلت وعلت ـ ستكافئكم على تلكم الخدمات والأعمال الطيبة ، فكل خير بيد الله وبمقدوره تقديم أي خير لكم وسيجلبكم اليه بعد أن يبقيكم موقتا تحت الأرض ٠ ويأخذكم الى ديوان حضرته ٠

فما اسعدكم اذن وأنتم قد أتممتم خدماتكم وأنهيتم وظائفكم وقد برئت ساحتكم وأنتم ماضون لقبض الاجور العادلة ٠

نعم ان الذي حافظ في الربيع الماضي على البذور والنوى التي هي صحف أعمال ذلك الربيع ودفاتر خدماته وحجرات وظائفه وأوصلها ـ وهو القادر الجليل ـ في غاية التألق والبركة وبغزارة اكثر من قبل وبنمط فريد ونشرها في هذا الربيع الحاضر ٠٠ فانه لا ريب سيحافظ على نتائج حياتكم ومصائر اعمالكم وسيجازيكم على أعمالكم بأحسن الجزاء وأجزل الثواب ٠

الكلمة العاشرة :ـ

(وهو على كل شيء قدير) أي : أنه واحد أحد ، قادر على كل شيء لا يشق عليه شيء ، ولا يصعب عليه أمر فخلق ربيع كامل ـ مثلا ـ وايجاده سهل ويسير عليه كخلق زهرة واحدة فلا يصيبه لغوب ولا تعب ، وخلق الجنة عنده كخلق ذلك الربيع وبالسهولة نفسها واليسر الكامل٠ والمخلوقات غير المحدودة التي يوجدها ويجددها في كل يوم وفي كل سنة وفي كل عصر لتشهد كلها بالسنة اللانهائية على قدرته المطلقة ٠

فهذه الكلمة أيضا تمنح أملا وبشرى وتقول :

أيها الانسان ان الخدمة التي أديتها والعبودية التي قمت بها لن تذهب سدى لأن دارا للمكافأة قد هيئت وان محلا للسعادة قد أحضر لك ٠

ولقد جعل سبحانه بديلا لدنياك هذه ·· جنة باقية تنتظرك بلهفة وشوق · فاطمئن للخالق الجليل الذي عبدته وتعرفت عليه واعتمد على وعده ، فمحال عنده خلف الوعد ·

وقدرته العظيمة خالية من النقص فلا يتدخل العجز الى أفعاله مطلقا ففي الوقت الذي يخلق لك حديقتك الصغيرة ويحييها ·· يمكنه أن يخلق لك الجنة الواسعة بل قد خلقها ووعدك بها ، فلا جرم أنه سينفذ وعده ويأخذك الى تلك الجنة ·

وما دمنا نرى بالمشاهدة أنه ينشر في كل عام ويحشر على وجه البسيطة أكثر من ثلاثمائة ألف نوع من النباتات وطوائف الحيوانات بكمال الانتظام والميزان وبكمال السرعة والسهولة ·

فلا غرابة اذن على مثل هذا القادر الجليل أن يضع وعده موضع التنفيذ · وما دام القدير المطلق يوجد في كل سنة آلاف النماذج للحشر والجنة وبمختلف الأنماط والأشكال · وما دام الخالق العظيم يبشر بالجنة المأمولة ويعد بالسعادة الأبدية في جميع أوامره السماوية · وما دامت جميع اجراءاته وشؤونه حقاً وحقيقةً ، وصدقاً وصادقة وجداً وأصيلاً ·· وما دامت آثاره وكمالاته تشهد على كماله المطلق وتدل عليه · وما دام أنه منزه عن كل نقص أو قصور ، وما دام نقض العهد واخلاف الوعد والكذب والمماطلة من الصفات القبيحة ومن النقص والقصور ·· فلابد ولابد من ان ذلك القدير ذا الجلال وذلك الحكيم ذا الكمال وذلك الرحيم ذا الجمال سينفذ وعده حتما مقضيا فاتحاً باب السعادة الأبدية على مصراعيه ··

وسيدخلكم أيها المؤمنون الجنة ·· موطن أبيكم آدم عليه السلام !

الكلمة الحادية عشرة :-

(واليه المصير) أي : أن الناس الذين يرسلون الى دار الدنيا للامتحان والابتلاء والتجارة والتوظيف والمهام العظيمة ، سيرجعون بالتالي الى مرسلهم

الخالق ذي الجلال بعد أن أنجزوا تجارتهم واتموا وظائفهم وأنهوا خدماتهم وسيلاقون مولاهم الكريم ، أي أنهم سيتشرفون بالمثول بين يدي ربهم الرحيم وفي مقر سلطنته الأبدية وسيلتقون به لقاء مباشرا ليس بينهم وبينه حجاب ، وقد خلصوا من مخاض الأسباب وظلام الحجب والوسائط ٠

وسيجد كل واحد منهم ويعرف بصورة مباشرة من خالقه وربه وسيده ومليكه ٠

فهذه الكلمة تشع أملا وتتألق بشرى بما تفوق كل تلك الآمال والبشائر اللذيذة قائلة :

أيها الانسان !

هل تعلم الى أين أنت سائر ؟ والى أين أنت صائر ؟!

فكما قيل في ختام (الكلمة الثانية والثلاثين) : « بأن قضاء ألف سنة بسعادة مرفهة في الحياة الدنيا لا تساوي ساعة واحدة من حياة الجنة ، وأن حياة ألف سنة بسرور الجنة ونعيمها لن تساوي ساعة من فرحة رؤية جمال الجميل الجليل سبحانه ٠ » ٠٠٠ فأنت ايها الانسان راجع الى دائرة رحمته صائر الى أعتاب ديوان حضرته ، فأما الذي ترونه من أحبتكم المجازيين ـ الذين تشتاقون اليهم بل ابتليتم افتتنتم بهم ـ من الحسن والجمال ، وتلهفكم بموجودات الدنيا انما هو نوع ظل من تجلى جماله وحسن أسمائه الجليلة ٠

فالجنة بكل لطائفها ولذائذها ما هي الا تجل من تجليات رحمته وجميع أنواع الشوق والمحبة والانجذاب والجواذب ما هي الا لمعة من محبة ذلك المعبود الذي لم يزل وذلك المحبوب الذي لا يزال ٠

فأنتم ذاهبون اذن الى دائرة حظوته ومقام حضرته الجليلة ٠

وأنتم مدعوون الى جنته الخالدة التي هي دار ضيافته الأبدية ٠

فلا تهنوا اذن ولا تحزنوا ولا تبكوا لدى دخولكم حفرة القبر ٠٠ بل استبشروا واستقبلوا القبر برحابة صدر وابتسامة فرح ٠

وهذه الكلمة تتابع وظيفتها في بث نور الأمل والبشرى وتقول :

أيهـــا الانســـان !

لا تتوهم فتتصور أنك ماض الى الفناء أو العدم أو العبث أو الظلمات أو النسيان أو التفسخ أو التحطم أو الانهشام أو الغرق في الانعدام ٠٠

وانما أنت ذاهب الى البقاء وليس الى الفناء ٠

وأنت مسوق الى الوجود الدائم وليس الى العدم ٠

وأنت داخل الى عالم النــور وليس الى الظلمات ٠

بل أنت سائر نحــو مولاك ومالكك الحقيقي ٠٠

وأنت عائد الى مقر السلطان الازلي سبحانه وتعالى ٠

فأنت ستتنفس في دائرة الوحدة فلا تغرق في الكثرة ، وأنت متوجه الى اللقاء والوصال دون البعاد والفراق !

[الكلمة الثانية والثلاثون – الموقف الاول]



[لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا] الانبياء – ٢٢

« لا اله الا الله ، وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ، ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، واليه المصير » .

ان هذا الكلام الطيب الجميل ، كلام توحيدي يتكون من احدى عشرة جملة في كل منها بشارة سارة ومرتبة من مراتب التوحيد .

وفي احدى ليالي رمضان المبارك ، كنت قد بينت – بياناً يقرب من فهم العوام – ما في جملة « لا شريك له » من المعاني الجميلة ، على شكل محاورة ومناظرة افتراضية ذكرت فيها لسان الحال بدلاً عن لسان المقال، والآن ادرجها كما هي ، اسعافاً لطلب بعض الاخوة . وهي كالآتي :

ان الملاحدة وأهل الشرك والضلالة على اختلاف انواعهم يحيلون اسباب الخلق والتدبير الى القوى الطبيعية ، والاسباب المادية والصدفة وغيرها ، ويقيمونها مقام الخالق الحكيم .

فلنمثل ما يتوهمه أهل الشرك والكفر من شركاء لله تعالى في شخص مفترض ، وان هذا الشخص المفترض يريد أن يكون « رباً » لموجود ما فيدّعي التملك الحقيقي له .

وهكذا فقد قابل ذلك المدّعي اولاً ما هو اصغر شيء في الوجود وهو الذرة ، فقال لها بلسان الطبيعة والفلسفة المادية :

– أنا ربٌ ومالك لك ، لذا اتصرف فيك كيف أشاء .

فأجابته الذرة بلسان حقيقة حالها ، وبلغة الحكمة الربانية المودعة فيهـا :

ـ اني مأمورة مطيعة ، أنجز ما لا يعـدّ من الوظائف والخدمات ٠ فأدخل بنظام الى جميع الموجودات على اختلافها ٠٠٠ فان كان لـك أيهـا المدعي ، علم واسع يحيط بجميع تلك الأنظمة وأواصرها ، وقـدرة شاملة لتوجيه جميع تلك الوظائف في شؤونها ٠٠٠ وحكمٌ نافذ وهيمنة كاملة على تسخيري وتوجيهي ـ مع امثالي(١) من الذرات المتجولة في الوجود ـ بانتظام كامل ٠ أي تسخّر الموجودات ـ التي أنا جزء منها ـ تحت حكمك ونفـوذك !! ٠

نعم ان كان لك كل ذلك ، فيمكنك ادعاء الربوبية والمالكية عليّ ، فتسند وظائفي وخلقي الى غير خالقي ومالكي وهو الله سـبحانه وتعـالى ٠ والاّ فاخرس ٠٠ فمثلما لن تكون رباً لي ، لن تستطيع كذلك التدخل في شؤوني لأنك أيها المدعي ، عاجز ، جامد ، أعمى ، أصم ، أسير بيد الطبيعة والصدفة ، وانهما مسميات وهمية لا يحركان ساكناً ، وعاجزان عمياوان٠٠ فهل يمكن أن يُدخل الأعمى اصبعه في أمثال وظائفنا التي تدار بكل بصيرة وحكمة ؟! اذ لو تدخّل لأفسد ٠٠ فان وظائفنـا دقيقـة جداً ، وحركاتنـا

---

(١) نعم ! ان كل شيء متحرك ـ ابتداءً من الذرات الى الكواكب السيارة ـ يدلّ على الوحدانية ، بما فيه من سكة الصمدانية وطابعها ، حيث يضم جميـع الاماكن التي يجـول فيهـا ضمن مُلك مالكه ٠٠ أمـا المصنوعات الساكنة ـ ابتداءً من النباتات الى النجوم الثابتة ـ فهي بمثابة أختـام التوحيـد ، حيث يظهر كل منهـا موضعه الذي فيـه ويبيّنه بمثابة رسالة من صانعه ، ومكتوب منه ٠ أي ان كل نبات، وكل ثمر ، هو ختم الوحدانية ، وسكة الوحدة ، بما يدل على ان مواضعه وأوطانه رسالة لصانعه البديع ٠

الخلاصة : ان كل شيء يسيطر بحركته على جميع الاشـياء باسم الوحدانية ، أي ان الذي لا يقبض زمام جميع النجوم بيده لـن يكون رباً على الذرة ٠٠

موزونة مقدرة بميزان دقيق ٠٠ وهي من الانتظام والكمال بحيث من لم يكن ذا علم محيط يسع الموجودات جميعها ، وحكمة مطلقة يودع كل شيء في مكانه اللائق ، وقدرة شاملة تمسك الموجودات بيـده ٠٠٠ لا يمكنه ان يسخّر أو يتدخل في أمورنا ٠٠

عندئذ عجز المدعي ، وهاله ما في الذرة من أمور محسوب حسابها ، ولكنه قال لها كما يقول الماديّون :ـ

ـ اذن كوني مالكة لنفسك ، فلِمَ تدعين انك مملوكة ومحكومة لغيرك؟ وانك تعملين بأمره ولأجله ؟ ٠

فردّت عليه الذرة قائلة :

ـ لو كان لي عقل جبار كالشمس ، وعلم محيط كضوئها ، وقـدرة شاملة كحرارتها ، وحواس وشعور واسع كالالوان السبعة التي في ضيائها ، ووجـه متوجـه الى كل مكان اسيح فيه ، وعين ناظرة وكلام نافذ الى كل موجود أتوجه اليه ٠٠٠ ربما كنت اتجاهل واتغابى مثلك فادعي الحـاكمية لنفسي ٠٠ ولكن هيهات ٠!!٠ تنحَّ عني فلستُ ممن تغافلهم ٠

وعندما يئس مدعي الربوبية ، ووكيل الشركاء من التدخل في أمـور الذرة والتصرف فيها ، تراجع فقابل الكريات الحمر في الدم علّه يظفر منها بشيء ٠ فقال لها بلسان الأسباب والطبيعة والفلسفة المادية :ـ

ـ انت تحت تصرفي فاني أنا رب ومالك لـك وسـوف أدبّر امورك كلهـا ٠ !!

وردت عليه الكريـة الحمراء بلسـان الحقيقة وبالحـكمة الربانية المستترة فيها :ـ

ـ اني لست وحيدة منفردة ، ولست طليقة حرّة في وظائفي ٠٠ فنحن جميعاً كالجيش الكثيف في خضم معسكر الدم ، ولي أمثـال لا تعـد ولا

تحصى • ولنا علاقات متينة وطيدة مع جميع أجزاء الجسم • فنستخدم جميعاً بنظام ، ونسيّر بنظام ، فنعمل بنظام تحت امرة آمر واحد يرى ويبصر الجميع في آن واحد ••

فان كانت لك حكمة بالغة وقدرة شاملة تحكم سيطرتها على جميع الخلايا في الجسم وعلى أوكسجين الهواء ، وتستخدمنا جميعاً بنظام يماثل النظام الذي نحيا في ظله فهاتها ، فربما يكون لدعواك معنىً •• ولكنك لا تملك الا الصدفة العمياء ، والطبيعة الصماء ، وهما بلا سمع ولا بصر • فليس في وسعك قط التدخل في شؤوني الكثيرة ، فضلاً عن ان تتصرف فيّ وتدعي الربوبية •• فالنظام فينا محكم وصارم ، والعلاقات بيننا خفية ودقيقة ، مما يدل دلالة واضحة : إن الذي يسيّرنا لا يمكن ان يكون إلا الذي يرى كل شيء ويصنع ، ويسمع كل شيء فيقدّر ، وهو الفعال لما يريد •

أليس من الاولى أن تسكت ؟ أما رأيت وظائفي الجمة ، والاحكام الرائع في أنظمتنا ، والقوانين الجارية علينا ؟! •• فلا وقت عندي حتى أجيب على هذرك •

وهكذا طرد المدعي من الكرية الحمراء ، ولكنه قابل الخلية الصغرى فهمس فيها :

ــ لم أتمكن من ان أسمع دعواي الى الذرة ، والكرية الحمراء لعلّي أجد منك أذناً صاغية لدعواي، فانك لست الا حجيرة صغيرة حاوية على بعض الاشياء ، !• وانني قادر على صنعك وأمثالك •• فكوني اذاً مصنوعي وتحت امري •

ولكن الخلية أجابته بالنظام الحكيم الدقيق الذي فيها :ــ

ــ حقاً انني صغيرة جداً • ولكن اعلم ان وظائفي عظيمة وجسيمة ••

وان عليّ مهام وخدمات جليلة ، واني لست وحيدة وحرة في هذه الوظائف، وانما لي روابط وثيقة فيما بيني وبين اخواتي من خلايا الجسم ، فمثلاً : لي وظائف دقيقة ومتقنة مع جميع الاوعية الدموية (الشريانية والوريدية) ومع جميع الاعصاب (الحسية منها والحركية) ومع جميع القوى التي تشكل وتنظم الجسم كالقوى الجاذبة والدافعة والمولدة والمصورة وأمثالها ٠٠٠ فهل لك قدرة شاملة تحيط بجميع تلك الاعضاء والقوى؟ وهل لك حكمة شاملة تسيطر على الجميع وهل لك قدرة نافذة على جميع الذرات الداخلة والخارجة ؟؟ وعلى جميع الخلايا ؟؟ ٠٠ فان كنت هكذا فأرنا ما عندك !! والا فاغرب عنا وما نحن منهمكون فيه ، اذ أن واجباتنا كثيرة ولا متسع لنا من الوقت كي افهمك جميع الحكم الالهية التي فينا اذ الكريات الحمر تأتى لنا بالارزاق والبيضاء منها تدافع عنّا ضد الامراض ٠ وان مثلك العاجز القاصر الأصم الأعمى ليس له حق التدخل في شؤوننا الدقيقة ٠ أما ترى ان الذي يسيّر نظامنا المحكم الدقيق(٢) ان لم يكن قادراً مطلقاً وحكيماً مطلقاً وعليماً مطلقاً فلا يبقى نظام ولا انتظام ؟!

---

(٢) ان الصانع الحكيم قد خلق جسم الانسان على هيئة مدينة منسقة ومنتظمة جداً ، فقسم من الاوعية يقوم بمهمة التلغراف والتلفون ، وقسم منها بمثابة الانابيب التي تأتي بالماء من ينابيع تتدفق بماء باعث على الحياة ، فيسير فيها الدم ويجول ٠٠ وخلق سبحانه في الدم نفسه قسمان من الكريات يطلق على احدهما الكريات الحمراء تلك التي تقوم بتوزيع الارزاق الى حجيرات البدن ، فتوصل اليها أرزاقها بقانون الهي مثلما يقوم موظفو الارزاق وتجارها بالتوزيع ٠ والقسم الآخر هو الكريات البيضاء وهي أقل عدداً من الاولى ، ويقوم بالدفاع عن الجسم ــ كالجنود ــ ضد الاعداء من الامراض متخذة وضعاً سريعاً جداً بنوعين من الدوران والحركة كالمريد المولوي حالما تدخل حومة المعركة ٠٠ اما مجموع الدم فله وظيفتان عامتان ٠٠ الاولى : تعمير الحجيرات المتهدمة في الجسم وترميمها ٠٠ والاخرى : جمع النفايات الضارة وانقاض الخلايا وتخليص الجسم منها ٠٠ وهناك قسمان من الأوعية أيضاً ، يطلق على أحدهما الشرايين التي تقوم بنقل الدم الصافي وتوزيعه ، فهي بحكم أنابيب نقل الدم

وهكذا يئس المدعي من الخلية أيضاً ، ولكنه قابل جسم الانسان فقال له كما يقول الماديون بلسان الطبيعة العمياء والفلسفة الضالة ·

ـ أنت ملكي وتحت تصرفي ، فأنا الذي صنعتك ·

فرد عليه الجسم الانساني بحقيقة النظام الحكيم الذي فيه رداً مقنعاً ، فبهته سائلاً :ـ

الصافي ،·· والآخر : هو مجاري الدم الفاسد الذي جمع النفايات الضارة والانقاض ، ويأتي بها الى الرئة التي هي مركز التنفس ·

هذا وقد خلق الصانع الحكيم سبحانه عنصرين في الهواء ، أحدهما : الآزوت · والآخر : مولد الحموضة ـ الاوكسجين ـ فهذا الأخير ما ان يلامس الدم ـ اثناء التنفس ـ حتى يجذب اليه الكربون الكثيف الذي لوّث الدم محولاً اياه الى غاز سام يطلق عليه « حامض الكربون البخاري » ـ ثنائي اوكسيد الكربون ـ · وبهذا يقوم بتنقية الدم وتصفيته ، فضلاً عن انه يضمن الحرارة الغريزية للجسم · ذلك لأن الصانع الحكيم قد وهب مولد الحموضة والكربون علاقة شديدة تلك التي يطلق عليها (الالفة الكيمياوية) بحيث ما ان يقتربا حتى يمتزجا معاً ، فتتولد الحرارة أساساً من هذا الامتزاج ، اذ الامتزاج احتراق ، وحكمة هذا السر هي ما يأتي :

ان لذرات كل عنصر من العناصر حركات مختلفة ، فاثناء الامتزاج ، تمتزج الحركتان معاً وتتحرك الذرتان حركة واحدة ، وتظل حركة واحدة معلقة ، سائبة ، فتنطلق ـ بقانون الصانع الحكيم ـ على صورة حرارة ·· ومعلوم ان الحركة تولد الحرارة ، كما هو ثابت ومقرر ·

وهكذا ، وبناء على هذا السر ، فان الحرارة الغريزية التي في الجسم ، مثلما تؤمّن بهذا الامتزاج الكيمياوي ، فالكربون أيضاً ، عندما تسلب من الدم يتصفى الدم كذلك ·

وهكذا ينقي الشهيق ماء الحياة (الدم) ويشعل نار الحياة · اما الزفير فانه يثمر الكلمات المنطوقة من الفم ، وهي معجزات القدرة الالهية ، فسبحان من تحير في صنعه العقول ·

ـ ألك علم واسع وقدرة متصرفة على جميع اجسام البشـر لتضع العلامات الفارقة التي في وجوهنا والتي هي طابع القدرة وختم الفطرة ؟ ٠ وهل لك ثروة طائلة فتتحكم في مخازنُ أرزاقي ابتداءً من الهـواء والمـاء الى النباتات والحيوانات ؟ ٠٠ ومن ثم هل انت صاحب تلك القدرة غير النهائية والحكمة التي لا حدّ لها فتجمع اللطائف المعنوية الراقية الواسعة من روح وقلب وعقـل في بودقـة صغـيرة مثلي !! ٠ وتسيـّرها بحكمة بالغـة الى العبـــادة ؟ ٠٠٠

نعم ان كان لك كل هذا فأرنيه !! ثم ادع الربوبية على خلقي ٠٠ والاّ فاسكت ٠ واخرس ٠

نعم ان النظام الكامل الذي يسيّرني يشهد ، وان طابع التوحيد في وجهي يدلّ : أن خالقي قدير على كل شـيء ، عليم بكل شـيء ، وهو السميع البصير ٠

أما أنت أيها المدعي العاجز القاصر فلا يمكنك ان تمد اصبعك في صنعته وخلقته سبحانه ، ولا يكون لك ان تتدخل ــ ولو بمقدار ذرة ــ في شؤونه٠

فسرعان ما ولّى المدّعي هارباً لما رأى من اسـرار دقيقة في جسـم الانسان ، فقال محاوراً نفسه : ان مثل هذه الامور المتقنة الصنع لا يمكن ان نمد اليها اصبعنا ٠

فراجع المدعي المغرور نفسه قائلاً : ألا أجد في النوع الانساني ومجتمعه المزدحم المتشابك موضع قدم لي ، فلمـاذا لا اقـلد الشيطان في وساوسه وضلاله وتدخله في افعالهم الاختيارية وشؤونهم الاجتماعية ؟ فلأدخل اذاً الى الفطرة البشرية واتصرف فيها ، واكتفي بها ، فاعـوض عما خسـرته في جولاتي مع الذرة والكرية والخلية والجسم ؟!

لذا قال مخاطباً النوع الانساني بما يزعمه من الطبيعة الصماء والفلسفة العمياء : ــ أنتم أيها البشر تبدون في فوضى وهرج ومرج لا أرى فيكم نظاماً

ينظمكم ، فاني أنـا المالـك الحقيقي والمتصرف فيكم ! أو على الأقل لي حصة فيـكم ٠

فردّ عليه حالاً النوع الانساني بلسان الحق والحقيقة وبلغة الحكمة والنظام الساريين فيه :ـ

ـ الا ترى انني جزء من هذا الكون المنسق ، ولي سلسلة متشابكة متوافقة مع كل صغيرة وكبيرة فيه ٠٠ مع الاحياء ٠٠ مـع الهواء ٠٠ مـع الماء ، مع الجبال وحتى مع الشمس والقمر والنجوم ٠٠؟

فهل تملك قدرة وحكمة يكون في وسعك أيها العاجز المدعي أن تنسج هذا البساط الرائع البهيج المنسوج بحكمة تامة المفروش على وجه الأرض، المزخرف بأنواع النباتات والانهـار والازهـار والبحار ، والمزيّن بأنـواع الحيوانات والاحياء الاخرى ٠ ليس هذا فقط بل ، وتبدله ، وتجدده بحكمة مرة بعد أخرى في كل موسم بمثل ما هو عليه من الزينة والجمال الرائع٠٠!؟

فان خالقنا صاحب القدرة المطلقة يجمع لنا من جميع أقطار الارض ما نحن نحتاج اليه من ضرورات ويهيئها لنا بميزان وتقدير دقيقين فهل عندك هذه القدرة المحيطة والحكمة الشاملة !!

ثم انظر الى القدرة الشاملة المتجلية على وجوهنا وملامحنا ، فقد أودع فيها ربنا علامات فارقة مميزة عن كل ما سبق ويلحق من الوجوه ٠ اذ هـو المطلع على الاولين والآخرين حيث يضع تلك المميزات الخاصة لكل انسان٠ فهل لديك مثل هذا الاقتدار حتى يمكنك ادعاء الربوبية ٠٠هيهات٠٠ اخرس وانصرف ٠٠ دعنا لشؤوننا ٠

فان خالقنا سبحانه وتعالى بصير سميع مدبّر قدير ٠ فأين عجـزك المطلق ايها الاحمق من هذه القدرة !؟ ٠٠ فلا تحاول ابداً ان تطمع بالتدخل في نوعنا وفطرتنا بما تظنه من اختلاط وفوضى ظاهرة لك ٠ فالنظام كامل والتناسق تام ، وما تبدو من الاوضاع التي قد تظهر مختلطة وفوضى ما هي

الا استنساخ القدرة الربانية وفق كتاب القدر الالهي • ولئن كان النظام دقيقاً في أدنى درجات الحياة من النباتات والحيوانات ، ولا يقبل تدخلاً • فكيف بنا ونحن في قمة درجات الحياة ؟؟• أليس الذي يبدو اختلاطاً وفوضى هو نوع من كتابة ربانية حكيمة •

وهل يمكن ان يتدخل في النقوش البديعة لهذا البساط الزاهي الرباني الزاخر بكل بدائع المخلوقات من النباتات والحيوانات غير صانعه ، وغير خالقه الحقيقي ؟

وهل يمكن ان يكون موجد الثمرة غير موجد شجرتها ؟ • وهل يمكن أن يكون خالق البذرة والنوى غير الذي ينشيء شجرتها ؟ • ولكنك اعمى حقا • • •

فهلا نظرت الى معجزات القدرة الالهية في وجهي ، وخوارق الفطرة فيه• فان كنت ذا بصيرة ، فستفهم ان صانعي وخالقي هو الذي لا يخفى عليه شيء ولا يصعب عليه أمر ، ولا يعجزه شيء ، فادارة الكواكب السيارة عنده يسيرة كادارة الذرات ، وخلق الربيع الكامل سهل عنده كخلق زهرة واحدة • وهو الذي أدرج في كنهي أسرار الوجود والكون العظيم ، فجعلني فهرساً للكائنات •• فهل يمكن لعاجز واعمى مثلك ان يحشر نفسه في ابداعه وصنعته سبحانه !؟ آلا تسكت الى الابد وتصرف وجهك عنى •• فيطرده ••

ثم يذهب ذلك المدعي الى ذلك البساط الزاهي والثوب المنقش المزين الذي يكسو الكرة الارضية من النباتات والحيوانات الموزعة بنظام رائع • فيخاطبهم بما يزعمه من الاسباب والطبيعة والمادية :ـ

ـ انني أنا المالك لزمام اموركم ، والمتصرف في شؤونكم ، أو على الأقل

لي حظ فيكم . فأجابه ذلك البساط المنسوج من ذوى الحياة والحلة المزينة(٣) بالحكمة الرائعة التي فيه :

ـ ان كانت لك قدرة نافذة لنسج هذه الفرش والبسط التي هي بعدد القرون والسنين والايام ، ثم تبدلها باستمرار بنظام واتقان ناشراً اياها على حبل الزمان بعد تصميمه وتقديره بميزان دقيق محكم في دائرة القدر بنقوشها الزاخرة البديعة !! وكذا ان كنت مالكاً ليد غيبية ذات قدرة وحكمة بحيث تمتد من خلق الارض حتى دمارها ، بل من الأزل الى الابد ، فتجدد وتبدل جميع الكائنات في لحمة وسدى بساطي هذا . وكذا ان كنت قابضاً على زمام الكرة الارضية التي تلبسنا وتكتسي بنا وتتستر ...

نعم ان كنت هكذا ... يمكنك ان تدعي الربوبية علينا .. والا فاخرج مذموماً مدحوراً من الأرض جميعاً فليس لك هنا مقام . فان عندنا من تجليات الوحدانية وعلاماتها وأختامها بحيث من لم يكن جميع الكائنات في قبضته ، ومقاليد السموات والأرض جميعاً في يده ، ومن لم ير جميع الأشياء وشؤونها في آن واحد ، ومن لم يكن قادراً على انجاز جميع الامور في آن واحد ، ومن لم يكن منزهاً عن المكان والزمان ـ فيكون حاضراً وناظراً في كل مكان ـ ومن لم يكن صاحب قدرة وحكمة مطلقتين ... لا يمكن أن يكون مالكاً لنا ابداً ، ولا يمكن ان يتدخل في أمورنا مطلقاً .

فتراجع المدعي خائباً يائساً وتوجه الى الكرة الارضية باكملها ، على أمل اغفالها أن يجد جزءً من مبتغاه .. فقال للارض (٤) مرة اخرى بلسان الاسباب والطبيعة :

---

(٣) ولكن مثلما ان هذا النسيج ذو حيوية ، فهو في اهتزاز منتظم كذلك ، اذ تتبدل نقوشه باستمرار بحكمة كاملة وتناسق تام ، وذلك اظهاراً لتجليات الاسماء الحسنى المختلفة لنساجه البديع في تجليات متنوعة مختلفة .

(٤) الحاصل : ان الذرة تحيل ذلك المدعي الى الكرية الحمراء ، وهذه تحيله الى الخلية ، وهذه الى الجسم ، والجسم يحيله الى النوع

ـ ان دورانك هكذا دون قصد أو هدف يشفّ عن انك سائبة أو يتيمة ، اذاً فكوني طوع يدي وتحت تصرفي ٠

فردت عليه الأرض بصيحة كالصاعقة المدوّية ، منكرة دعواه ، بلسان الحق والحقيقة المضمرة فيها :ـ

ـ لا تهذر أيها الاحمق الابله ، كيف أكون هملاً وبدون مالك ومولى ؟ ٠ وكيف يكون حبلي على غاربي كما تتوهم ؟ ٠ فهل رأيت في ثوبي الذي ألبسه « يعني بساط الحياة » خيطاً واحداً فقط نشازاً بغير حكمة وبدون اتقان ؟ ٠ حتى تحكم عليّ هذا الحكم السخيف ٠

انظر فحسب الى حركاتي ٠٠٠ وحركة منها هي السنوية(٥) ، التي أسير مسافة (تقرب من خمس وعشرين ألف سنة) واقطعها بسرعة في سنة واحدة فقط وبكل نظام وحكمة ٠ منجزةً وظائفي الملقاة عليّ بكمال الميزان والحكمة ٠

فان كان لديك حكمة مطلقة وقدرة تامة فتسيّر وتجري معي رفقائي من السيارات العشر من امثالي في افلاكها العظمى ، فكل منا مختص بمهام جسيمة ، ونحن مأمورون بالسير والجولان وفق نظام صارم ، لا نحيد عنه أبداً ٠

الانساني ، والنوع الى الحلّة المنسوجة من الاحياء التي يلبسها سطح الارض ، وتحيله حلّة سطح الارض الى الارض نفسها ، وهذه الى الشمس ، والشمس الى النجوم ٠٠ وهكذا يقول كل منها : انصرف عنّا ٠٠ فلو استطعت ان تسيطر على من هو فوقي فحاول السيطرة عليّ ، وإلاّ فانت عاجز من التحكم عليّ ٠

فاذاً من لم ينفذ أمره الى النجوم كافة لا يمكنه ان ينفذه على ذرة واحدة ٠

(٥) اذا كان نصف قطر دائرة (١٨٠) مليون كيلومتراً ، فتلك الدائرة تكون بمسافة (٢٥) سنة تقريباً ٠

وكذا ان كنت قادراً على ايجاد إمامنا وقائدنا الشمس المنيرة ، كيف ان الخالق الحكيم سبحانه ربطنا واياها بجاذبية الرحمة ، وبحبالها غير المرئية !! فهل لديك مثل هذه الحكمة المطلقة يا ترى ·· فتديرنا وتجرى بنا حول الشمس في نظام وحكمة تامين ؟

نعم ان كنت أيها المدعي ذا قدرة على ادارة هـذه الامور العظيمة وتدبيرها ، فمن الممكن ان تجد من يسمع دعواك ، والا فاترك هذا الهذيان المفرط وسحقاً لك في جهنم وبئس المصير · ولا تشغلني عن مهامي ، اذ ان ما فينا من الانتظـام الرائع والتناسق المهيب والتسخير الحكيم في الدوران والجولان يدل بوضوح صارخ على ان صانعنا وخالقنا واحد أحد· قادر مقتدر ، جميع الموجودات طوع يده من الذرات الى السيارات · ومثلما أنـه ينظم بسهولة الشجرة وثمراتها ويزينها ، فانه بالسهولة نفسها ينظم الشمس بسياراتها ·· فهو الحكيم ذو الجلال والحاكم المطلق ذو الكمال ··

ثم يتوجه المدعي الى الشمس بعد ان لم يجد موضع قدم له في الارض مناجياً نفسه :

ان الشمس شيء عظيم ، لعلي أجد فيها نواقص وثغرات أمرر فيها دعواي واسخّر بدورى الارض كذلك ، فقال لها بلسان الشرك والاضاليل الشيطانية ، وكما يقول المجوس :ـ

ـ انت سلطانة العالم ، وانت حتماً مالكة لنفسك· فتتصرفين في العالم كيف تشائين ! وعلى الفور اجابته الشمس بلسان الحق والحقيقة :

ـ كلا ·· وحاشا لله ·· بل اني مأمورة مطيعة ، مسـخرة موظفة بتنوير العـالم ، وتأمين راحـة المسافرين والضيوف في مستضاف سيدي وخالقي · فلست مالكة لنفسي ابداً بل لست مالكة حتى على جناح ذبابة لما فيه من الجواهر المعنوية النفيسة فهي خارجة عن طوقي ··· وعنا يغتر المدعي المتغطرس المتفرعن فيرجع قائلاً :

ـ ان لم تكوني مالكة لنفسك هكذا ‥ فاذاً انت مملوكة لي وتحت تصـرفي ٠

فردت عليـه الشمس رداً مقنعـاً باسم الحـق والحقيقة وبلسان العبودية قائلـة :

ـ انما انا مملوكة لمليك الكون كله ٠ فقد خلق نجوماً هائلة كثيرة أمثالي ‥ واسكنها بكمال انتظام وحكمة في السماء ، ولا يزال يديرهـا ويدبّر بكل هيبة واحتشام امورها مزيناً بها السماء ٠ فليس بمقدور أحد غيره سبحانه التدخل في امورنا مطلقاً ‥ فتطرده ٠

ثم يذهب المدعي الى مجموعة النجوم والكواكب وهو يحدّث نفسه :

ـ ان النجوم والكواكب كثيرة جـداً ومزدحمة مختلطة ، ومتباعدة بعضها عن بعض ، فلابد اني سأجد من يسمع قولي ويقبل دعواي، فيدخل بين النجوم ٠ ويقول لها باسم الاسباب والشركاء ولأجلهم وبلسان الفلسفة الطاغية كما هو قول الصابئة عباد النجوم :

ـ ايتها النجـوم انـه للبعـد الشاسع فيما بينكم يمكن للكثيرين أن يتحكموا فيكم ‥

فاجابته حالاً نجمة باسم النجـوم جميعاً : ما ابلهك ايهـا الاعمى الاحمق ٠ الا ترى سكة التوحيد وطغراء الأحدية على وجوهنا ،‥ الا تفهم ان قوانين عبوديتنا محكمة متينة وانظمتنا راقية صارمة ‥ أتظننا بـلا نظام وبلا منظم ينظم امورنا ؟

نحن مخلوقون عبيداً لخالق عظيم واحد أحد ، في قبضته امورنا وامور السموات جميعاً ، تلك السموات التي هي كالبحر ونحن كالسفن السلطانية المنوّرة التي تسبح فيه‥ في ذلك الفضاء الواسع الذي هو كالمسير العظيم لنا٠

ونحن كالمشاعل الساطعة والقناديل المضيئة شواهد نورانية لعرض كمال الربوبية ، وبراهين مضيئة لاعلان حاكميته سبحانه وتعالى ٠

ونحن خدمة وعبيد منورون في دائرة سلطنته في جميع العوالم الدنيوية والبرزخية والاخروية ٠ فكل منا :

معجزة من معجزات قدرة الواحد الأحد ، وثمرة يانعة لشجرة الخلقة ، وبرهان منور ساطع للوحدانية ، ومنازل وطائرات ومساجد للملائكة ٠ ومصابيح وشموس للعوالم العلوية ، وشواهد على سلطنة الربوبية وقصور وزينة ، وازاهير لهذا الفضاء الواسع وكأننا اسماك نورانية في بحر السماء ٠ وعيون جميلة لوجه السماء(٦) ٠

فكما ان كلاً منا هكذا ٠٠٠ فان مجموعنا :ــ

سكوت في سكون ٠٠٠ وحركة في حكمة ٠٠٠ وزينة في حشمة ٠٠٠ واستواء في الخلقة ٠٠ وكمال الخلقة في تقدير وميزان ٠٠

فبكل هذا نشهد جميعاً بوحدانية الله سبحانه وأحديته وصمدانيته ، وعلى جميع اوصافه الجمالية والكمالية والجلالية ، ونُري مخلوقاته جمال صنعته وابداعه ٠ فنعلنه الى الكون أجمع ٠

أفبعد هذا تقول لعبيد طاهرين مطيعين مسخرين من امثالنا بأننا في فوضى واختلاط وعبث ٠٠ وبدون صاحب ومالك وتدعي التملك والربوبية ؟! فانك لاشك اذاً تستحق الرجم واللعنة ٠٠

---

(٦) فنحن مشاهدو مصنوعات الخالق البديعة ، والمشيرون اليها ، بل نجعل الآخرين يشاهدونها باعجاب ٠٠ أي كأن السماء تنظر الى عجائب الصنعة الالهية في الأرض بما لا يحدّ لها من عيون ٠٠٠ فالنجوم ـ كملائكة السماء ـ تنظر الى الارض التي هي محشر العجائب ، ومعرض الغرائب ، بل تستقطب أنظار ذوي الشعور اليها ٠

فيرجم ذلك المدعي كما يرجم الشيطان ويطرده من بين النجوم ويلقيه من هنـاك الى قعر جهنم ، ويـرمي من معـه من الطبيعة ومدعوهـا الى وادي الوهم(٧) · ويقذف الصدفة الى بئر العدم ، والشركاء الى ظلمـات الامتناع والمحال ، والفلسفة المادية البلهاء التي تضادد الدين الى قعر أسفل سافلين ·

ورتلت النجمة مع جميع النجوم معاً قول الله تعالى :

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » ·

(سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك العليم الحكيم) ·

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد سراج وحدتك في كثرة مخلوقاتك، ودلال وحدانيتك في مشهر كائناتك وعلى آله وصحبه اجمعين ·

---

(٧) وبعـد ما هـوت الطبيعة ندمت عمّا فعلت ، وعلمت ان وظيفتهـا الحقيقية القبول والانفعال ، لا التأثير والفعل ، وانها تعمل وفقاً لقدرة الله ومشيئته ، فهي دفتر كتابة القدرة الالهية ـ دفتر قابل للتبديل والتغيير ـ وبما يشبه منهج القدرة الربانية · وشريعة فطرية للقدير ذي الجلال · ومجموعة قوانين الهية ··· فقبلت الطبيعة وظيفتها وهي العبودية ، وتسمت بالفطرة الالهية والصنعة الربانية ·

[اللمعة الثلاثون ـ النكتة الرابعة](١)

نور التوحيد

[بسم الله الرحمن الرحيم • قل هو الله أحد •]

« لقد تراءى لـي قبس من انـوار الاسم الاعظم « الفرد » المتضمن للواحد والاحد من اسماء الله الحسنى وذلك في سجن (اسكيشهر) في شهر شوال • سأورد بعضاً من ذلك التجلى الاعظم وما فيه من التوحيد الحقيقي باختصار شديد ، واحيل تفاصيله الى الرسائل الاخرى » •

الاشارة الاولى (اختـام التوحيـد)

ان اسم « الفرد » جلّ وعلا ، يتجلى بنوره على الكون قاطبة فيطبعه بطابع التوحيد المميز ، ويختمه بخاتم الوحدانية ، فيظهر شعار التوحيد وميسمه على الكون كله ، وعلى كل نوع فيه بل على كل جزء فيه •

وهنـا سنكتفي بالاشارة الى ثلاثة شـعارات واختام منهـا باختصار حيث وضحها كل من الكلمة الثانية والعشرين والمكتوب الثالث والثلاثين•

اولاً : ختم التوحيد على وجه الكون

ان تجلىّ اسم (الفرد) قد وضع على وجه الكون سكة وطابعاً مميزاً للتوحيد ، حيث جعل جميع اجزائه كلاً واحداً ، لا يمكن ان يقبل التجزئة ، فلا يمكن ان يكون احدٌ مالكاً حقيقياً لاي جزء منه ما لم تكن مقاليد جميع الكون تحت تصرفه وفي قبضته • وهذا الطابع والختم المميز ، هو :

ان موجودات الكون كلهـا ، بانواعها المختلفة ، تتعاون فيما بينهـا

---

(١) النكتة : هي مسألة لطيفة اخرجت بدقة نظر وامعان فكر ، وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها (من التعريفات للجرجاني)/م •

كتروس ودواليب معمل رائع يعمل بنظام دقيق جداً ، فتترابط اجزاؤهـا بعضها مع بعض ترابطاً وثيقاً ويسعى كل جزء لتكملة مهمة الآخر ٠٠

فمثل هذا « التعاون » وهذا « التساند » وهذا « التجاوب » وهـذا السعي في المعاونة واسعاف الآخرين ، وهذا الترابط والاندماج ٠٠ يشكل وحدة متحدة الاجزاء في الوجود كله ، تشبه تماماً اعضاء جسم الانسان التي لا يمكن فك بعضها عن بعض لشدة الترابط والاندماج فيما بينها ، أيْ أن الذي يمسك زمام عنصر واحد في الوجود يلزم ان يكون زمام جميع العناصر بيده ، والا فلا يمكنه السيطرة على ذلك العنصر الواحد ٠

وهكذا فان ظاهـرة (التعـاون) و (التسـاند) و (التجـاوب) و (التعانق) الجارية على وجه الكون بين جميع اجزائه هي اسطع سكة وشعار وختم للتوحيد ٠

ثانياً : ختم التوحيد على وجه الأرض :

ان آية جلية للتوحيد ، وختماً ظاهراً للوحدانية نراهـا واضحـة وضوحاً على وجه الارض ، بحيث : ان الذي لا يدير جميع الاحياء ، بافرادها واحوالها وشؤونها كافة ولا يعرفها ، ولا يخلقها ولا يراها في آن واحـد ، لا يمكنه ان يخلق ، أو يتدخل ، في أمر أي واحد منها ٠

تأمل في هذه البسط المفروشة التي لحمتها وسداها مئتا الف طائفة ونوع من انواع الحيوانات والنباتات بافرادها المختلفة المتنوعة التي تزين نسيج الحياة على سطح الارض ـ وبخاصة في الربيع ـ تأملها جيداً ٠٠ فانها مـع اختلاف اشكالها ، وتباين وظائفها ، وتنوع اجهزتها ، وامتزاجها بعضها مع بعض ، نرى أن رزق كل ذي حياة يأتيه رغداً من كل مكان ، دون سهو ، أو نسيان ، بلا انشغال وبلا ارتباك ، ودون خطأ مطلقاً ٠ فيعطى بميزانٍ دقيق حساس ، كل ما يحتاجه ، وفي وقته المناسب ، وبدون تكلف ولا تكليف مع تمييزٍ لكل فرد من الاحياء في خضم هذا الامتزاج الهائل ٠

كل هذا ظاهر جلي لمن يتأمل وجه الارض ، فضلاً عن انتظام المعادن والعناصر الجامدة في باطن الارض التي تخبيء كل منها – هي الاخرى – آيات التوحيد ٠

لذا فان هذا « التدبير الحكيم » و « الادارة الحاسمة » في هذا الأمر الدائب على الارض هو سكة ساطعة للأحدية وختم واضح لها وطابع مميز للتوحيد بحيث من لم يكن خالقاً لجميع تلك الموجودات من العدم ،ومدبّراً لجميع شؤونها في آن واحد ، لا يمكنه ان يتدخل – من حيث الربوبية – في أي أمر فيهـا ، لأنه لو تدخل لأفسد تلك الادارة المتوازنة التي لا تحد سوى ما يقوم به الانسان من وظيفة ظاهرية – باذن آلهي ايضاً – لكشف تلك القوانين الربانية وحسن سيرها ٠

ثالثاً : ختم التوحيد على وجه الانسان :

ان شعار التوحيد وختمه واضح لكل من يتأمل في وجه اي انسان كان وذلـك :

ان لكل انسان علامة فارقة في وجهه تميزه عن غيره ، فالذي وضع تلك العلامات في كل وجه ينبغي ان يكون عالماً ، وشاهداً ، لجميع الوجوه السابقة واللاحقة منذ زمن آدم عليه السلام الى يوم القيامة – والاّ فـلا يمكنه ان يمد يده من حيث الخلق والايجاد في ذلك الختم للوحدانية ليضع تلك الفوارق المميزة الهائلة في ذلك الوجه الصغير ٠

نعم ، ان الذي وضع في وجه الانسان ذلك الطابع المميز بتلك العلامات الفارقة هو الذي جعل افراد البشر كافة تحت نظره وشهوده ، وضمن دائرة علمه حيث أنه رغم التشابه الظاهر بين الاعضاء كالعيون والانوف وغيرهـا فانها لا تتشابه تشابهاً تاماً بسبب تلك العلامات الفارقة فيها ٠

وكما ان تشابه الاعضاء في وجوه البشر كافة دليل قاطع على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى كذلك فان العلامات الفارقة الموضوعة على كل وجه

ـ لصيانة حقوق كل فرد في المجتمع ، ولمنع الالتباس وللتمييز ولحكم أخرى كثيرة ـ هي الاخرى دليل على الارادة المطلقة والمشيئة الكاملة لذلك الخالق الواحد سبحانه وتعالى ٠

أي أن الذي لا يكون خالقاً لجميع البشر ـ وكذلك الحيوانات والنباتات ـ بل لجميع الكون لا يمكن ان يضع تلك السمة المميزة في أحد ٠

الاشارة الثانية (ناموس واحد)

ان عوالم الكائنات المختلفة بانواعها المتنوعة وعناصرها المتباينة قد اندمجت وتداخلت بعضها مع بعض بحيث ان من لم يكن مالكاً لجميع الكون لا يمكنه ان يتصرف بنوع منه أو عنصر فيه تصرفاً كاملاً لأن تجلى نور التوحيد لاسم « الفرد » قد اضاء ارجاء الكون فجعل اجزاءها كافة وحدة متحدة٠ وغدا كل جزء منه يظهر ، بل يعلن، تلك الوحدانية٠ **فمثلا٠ انكون الشمس ـ وهي مصباح العالم ـ واحدة يشير الى ان الكون باجمعه ملك لواحد ٠ وكون الهواء الذي يسعى لخدمة الاحياء واحداً ٠ وكون النار التي يوقد عليها واحدة ، وكون السحاب الذي يسقى به الارض واحداً ، وكون الامطار التي تأتي لاغاثة الاحياء كافة واحدة ، وانتشار اغلب الاحياء من النباتات والحيوانات انتشاراً طليقاً في ارجاء الارض كافة مع وحدة نوعيتها ، ووحدة مسكنها ٠٠٠ كل ذلك اشارات قاطعة وشهادات صادقة أن :**

المسكن وساكنيه هو ملك لمالك واحد أحد ٠

فقياساً على هذا فان تداخل واندماج الانواع المختلفة في هذا الكون الواسع الشاسع قد جعل مجموع الكائنات كلاً واحداً لا ينفك عنه اي جزء من حيث الخلقة ، بحيث ان الذي لا ينفذ حكمه على جميع الكون لا يمكنه ان ينفذه ـ من حيث الخلق والربوبية ـ على اي شيء فيه حتى لو كان ذرة أو أصغر منها ٠

الاشارة الرابعة : (التوحيد فطري والشرك محـال) :

لقد اوضحت رسائل النور في اجزائها الكثيرة ببراهين متعددة انه التجلي الاعظم لاسم « الفـرد » ، مـع أنـه واضح وضوح الشمس فهـو فطري ، وبسيط ، ومقبول في الاعمـاق الى حـد السهولة المطلقة ، وهو مستساغ عقلاً ومنطقاً الى حد الوجوب والبداهة ٠

وبعكسه « الشرك » المنافي لذلك التجلي فهو معقد الى أقصى حـدود التعقيد ، وغير منطقي اطلاقاً ، وهو بعيد جداً عن المعقول الى حـد المحـال والامتنـاع ٠

وسنشير هنا الى ثلاث نقاط من تلك الأدلة ، ونحيل بقيتها وتفاصيلها الى الرسائل الاخرى ٠

النقطـة الاولى :

لقد اثبتنا ببراهين قاطعة في الكلمة العاشرة وفي ختام الكلمة التاسعة والعشرين اثباتاً مجملاً وفي ختام المكتوب العشرين مفصلاً من :

انه من الهين على قدرة الاحد الفرد ، ان يخلق اعظم جـرم ، وان يخلق اصغر شيء على حد سواء ؛ فيخلق الربيع كخلق زهـرة واحـدة بيسر وسهولة سواء بسواء ، ويرينا في كل ربيع آلافاً من نماذج الحشـر والنشر الذي يحدثها بسهولة ويسر ، ويراعى الشجرة الضخمة الباسـقة كمراعاته الفاكهة الصغيرة بسهولة ويسر ٠

فلو اُسند أيّ من ذلك الى فاعلية القوانين ، والاسـباب المختلفـة ، لأصبح في خلق كل زهرة من المشكلات والتعقيدات ما يجعلها صنو ربيـع كامل ، وفي خلق كل ثمرة من الصعوبات ما للشجرة الباسقة ٠

نعم ، فكما ان تجهيز الجيش بأكمله بالمؤن والعتاد بأمر من قائد واحد ، من معمل واحد يكون سهلاً وبسيطاً كتجهيز جندي واحد ، ويكون صعبـة

بل ممتنعاً ان كان كل جندي يتجهز من معامل متفرقة ويتلقى الاوامر من ادارات متعددة كثيرة ، فعندها يحتاج الى معامل بقدر افراد الجيش بأكمله·

كذلك الأمر ان أسند الخلق الى الفرد الاحد، فان خلق افراد النوع الواحد كافة يكون سهلاً كالفرد الواحد ، وان اسند الى الاسباب فان خلق كل فرد يكون معضلاً وصعباً كالنوع ·

أجل ان الوحدانية والتفرد يجعل كل شيء «منتسباً» و «مستنداً» الى تلك الذات الالهية الواحدة ، وان هذا « الانتساب والاستناد » يصبحان قوة وقدرة لا حد لهما لذلك الشيء ، فعندها يمكن ان ينجز اي شيء بسيط بما يفوق قوته الشخصية آلاف المرات معتمداً على سر ذلك « الاستناد والانتساب » ·

أما الذي لا يستند ولا ينتسب الى صاحب تلك القوة العظيمة « الفرد الأحد » فستبقى قوته الذاتية محدودة جدا ، وتنحسر نتائجه تبعا لذلك ، فمثلا :ـ

ان الذي لم ينخرط بالجندية وان كان شجاعا ، مضطر الى حمل ذخيرته وعتاده معه ، وقد لا يقاوم الا عشرة من أعدائه مقاومة موقتة ، لأن هذا هو أقصى آثار قوته الذاتية · الا أن الجندي الذي يستند وينتسب الى قائد عظيم ، فلأنه ليس مضطرا الى حمل ذخيرته وعتاده معه ، فان ذلك الانتساب والاستناد يكون له بمثابة قوة لا تنفد وكنز لا يفنى ، اذ به قد يأسر قائد جيش العدو المغلوب مع آلاف ممن معه ·

لذا فقوة الاستناد والانتساب في الفردية والوحدانية تجعل النملة الصغيرة تهلك فرعونا عنيدا ، والبعوضة الرقيقة تغلب نمرودا طاغيا ، والميكروب البسيط يدمر باغياً اثيماً · كما تجعل البذرة الصغيرة جدا تحمل على ظهرها شجرة باسقة شاهقة ··· كل ذلك باسم ذلك الانتساب وسر ذلك الاستناد ·

نعم كما ان قائدا عظيما شهما يستطيع ان يستنفر جميع جنوده ويحشدهم لانقاذ وامداد أحد أفراده والجندي بدوره يحمل قوة معنوية هائلة ، لان جيشا جراراً يسنده من ورائه ، فيتمثل أوامر قائده بحرارة وحماس ، فينجز أعمالا عظيمة ، كذلك فان الله سبحانه وتعالى لانه فرد واحد أحد ، فلا حاجة هناك في أية جهة الى أحد غيره . واذا افترضت الحاجة في جهة ما ، فانه سبحانه يستنفر جميع الموجودات ، ويحشد الكون كله ، لاسناد ذلك الشيء الواحد .

بهذا يستند كل شيء الى قوة عظيمة هائلة تملك الكون بأسره . فكل شيء في الوجود يستمد قوته من تلك القوة الالهية الهائلة العظيمة ، من ذلك الفرد الاحد جل وعلا .. فلولا الفردية لفقد كل شيء هذه القوة الهائلة ، ولسقط الى العدم ، وتلاشت نتائجه ..

نعم ، ان مشاهداتنا مرارا من ظهور النتائج العظيمة الهائلة من الشيء البسيط جدا ترشدنا الى « الوحدانية » والا فناتج كل شيء وثماره ينحصر في الشيء بذاته ، وفي قوته ومادته ، عندئذ تصغر النتائج بل تزول .

ألا ترى الاشياء الثمينة كالفواكه والخضر وغيرها مبذولة ومتوفرة ، وما ذلك الا بسر الوحدانية ، والانتساب ، وتحشيد جميع القوى فلولا الفردية لما كنا نحصل بالاف الدراهم ما نحصله اليوم من بطيخ أو رمان بدراهم معدودة .

نعم ان كل ما نراه من بساطة الامور والاشياء وسهولتها ورخصها وتوفرها ما هي الا نتائج الوحدانية ، وتشهد بالفردية .

النقطة الثانية :

ان الموجودات تظهر الى الوجود بوجهين :ـ

الاول : الخلق من العدم ، وهو ما يعبر عنه ، بالابداع والاختراع ٠٠
الثاني : انشاؤها وتركيبها من العناصر الموجودة والاشياء الحاضرة أي بـ « التركيب والانشاء » ٠

فان أسندنا الخلق الى سر الاحدية ، وتجلي الفردية . فسيكون سهلا هينا جدا الى حد الوجوب والبداهة ، ولكن ان لم يسند الى الفردية والوحدانية ، فستتعقد الامور وتتشابك وتظهر أمور غير معقولة وغير منطقية الى حد المحال والامتناع٠ بيد اننا نرى الموجودات قاطبة تظهر الى الوجود بدون صعوبة وتكلف ومن غير عناء ، وعلى أتم صورة وكيفية ، مما يثبت لنا بداهة ان جميعها تتجه مباشرة الى تجلي اسم الواحد الاحد الفرد الصمد ، وانها جميعا من خلقه وصنعه ٠

نعم ان اسناد الخلق الى الفرد الواحد الاحد ، يجعله سهلا وبسيطا ، لانه يخلق كل شيء ويرسله الى الوجود من العدم بقدرته المطلقة الظاهرة آثارها ، فيقدر كل شيء بعلمه المحيط المطلق حسب تصاميم قوالب غيبية ٠ فكل شيء عنده بمقدار ٠٠

فكما ان الجنود المطيعين في الجيش الواحد يساقون بأمر من القائد ، ويأخذون أماكنهم ومواضعهم حسب الخطة الموضوعة في علم القائد ، كذلك فان في مرآة علمه سبحانه وتعالى تصميم كل شيء وصورته ، وبأمر منه – بكل سهولة ويسر – تأخذ الذرات المطيعة للاوامر الربانية أماكنها وتحافظ على مواضعها حسب التصميم أو القالب العلمي الالهي ٠

وهكذا تساق جميع الذرات بقانون العلم المحيط الرباني المنتظم ، وبدستور القدرة الآلهية المحيطة كأفراد الجيش المطيعين ٠

وكما ان الصورة في المرآة تظهر على الورقة الحساسة في الكاميرا وتلبس وجوداً خارجياً٠ وكما تظهر الكتابة المخفية بمادة كيمياوية، كذلك صور جميع

الموجودات ، وماهية الاشياء موجودة في مرآة « العلم الالهي » الفرد الواحد الاحد • وبكل سهولة ويسر تلبسها « القدرة الالهية » المطلقة وجودا خارجيا فتظهر للعيان في عالم الشهادة ، بعد أن كانت في عالم الغيب أو المعنى •

ولكن ان لم يسند الخلق الى الفرد الاحد ، فانه يلزم لخلق ذبابة واحدة مسح وتفتيش سطح الارض قاطبة وغربلة عناصرها وذراتها جميعا ثم قياسها بميزان دقيق حساس، لوضع ذرات معينة في أماكنها المخصوصة، حسب قوالب مادية بعدد أجهزتها وأعضائها المتقنة ، ليأخذ كل شيء مكانه اللائق المنسق • ومن ثم جلب المشاعر والاحاسيس الروحية الدقيقة واللطائف المعنوية بميزان دقيق من العوالم المعنوية والروحية حسب حاجة الذبابة •

كل ذلك في ذبابة واحدة •••!! ألا يكون صعبا ممتنعا كايجاد جميع الكائنات ؟! أليس فيها الصعوبات تلو الصعوبات والمحالات ضمن المحالات • لذا اتفق جميع أهل الايمان والعلم أنه لا يخلق من العدم شيء إلا الخالق الفرد سبحانه وتعالى •

النقطة الثالثة :

لقد أوردنا أمثلة كثيرة في رسائل شتى تشير الى أن اسناد الخلق الى الواحد الاحد يجعل خلق جميع الاشياء سهلاً كالشيء الواحد • وبعكسه فان اسناده الى الطبيعة والاسباب يجعل خلق الشيء الواحد صعبا ممتنعا كخلق جميع الاشياء ••• نقتصر منها هنا على ثلاثة أمثلة فقط :ـ

المثال الاول :

ان كانت ادارة الف جندي (فرقة كاملة) تحت أمرة ضابط واحد ، وأحيل جندي واحد تحت ادارة عشرة ضباط ••• فان ادارة هذا الجندي تكون ذات مشكلات وصعوبات بمقدار عشرة أضعاف ادارة تلك الفرقة ، وذلك :

ان الامـراء العديدين سيعادى بعضهم بعضا ، وستتعارض أوامرهم حتما ، فلا يجد ذلك الجندي راحة مطلقا بين آخذ ورد امرائه • بعكسه تماما الضابط الواحد فانه يدير فرقة كاملة باوامره كانه يدير جنديا واحدا ، وينفذ خطته وطلباته من الفرقة بتدبيره بكل سهولة ويسر • علما أنـه يتعذر الوصول الى هذه النتيجة المرجوة بترك الأمر الى الجنود والافـراد السـائبين •

المثـال الثـاني :

اذا سـلـّم أمـر بنـاء قبـة جـامع « آيـا صوفيـا » الى بنـّاء ماهر فانه يقوم به بكل سهولة ويسر ، ولكن ان سلم الأمر الى احجارها ، للزم أن يكون لكل حجر من تلك الاحجار من المهارة والهندسة كالبنـّاء الماهر نفسه كي تأخذ القبة المعلقة الشامخة شكلها ، ويكون كل حجر حاكماً على سائر الاحجار ومحكوما له في الوقت نفسه !! •• فبينما كان يقوم البنـّاء الماهر بالأمر بسهولة يقوم به الآن مئات من البنائين وباضعاف اضعاف ذلك الجهد من دون الحصول على نتيجة !!

المثـال الثـالث :

ان الكرة الارضية مأمورة وموظفة من لدن الفرد الواحـد سبحانه ، وهي كالجندي المطيع لله الواحد الاحد • فحينما تأخذ الامر الواحد من آمره الاحد فانها تهب كالمولوى العاشق المجذوب الذى يـدور على انغـام الناي وتدور ، فتكون وسيلة لحصول المواسم الاربعة ، وحصول اوقـات الليـل والنهـار ، وكشف مناظر القبة السماوية المهيبة الخلابة ، وتبدلها المستمر كالشاشة السينمائية ، وهكذا يقوم جندى واحد بأمر واحد صادر من آمر واحد بهذا الدوران ويكون سبباً لحصول تلك النتائج وامثالها فكأن الارض قائـد في اظهار تلك المناورة الهائلة في الكون ••

ولكن ان لم يسند الأمر الى الفـرد الاحـد ، والى حاكميته المطلقة ، وربوبيته المحيطة للكون ، وحكمه النافذ في كل صغيرة وكبيرة في الوجود ،

لابد من ملايين النجوم الاخرى التي تكبر الارض بالوف المرات وتسير في مدار أضخم بملايين المرات من الارض · لكي تظهر تلك المناورة السماوية والأرضية وتلك النتائج نفسها من حركتي الارض وتقطعها في كل سنة وفي كل اربع وعشرين ساعة !!

فهذا مثال يظهر لنا ان الاحدية والفردية كم هي سهلة وفطرية وبسيطة بينما حصول النتائج نفسها في طريق الشرك والكفر مملوءة بالمحالات التي لا حد لها والامور الباطلة وغير المعقولة ·
فالآن ··

لاحظ بمنظار المثال الآتي الى المتشدقين بالطبيعة وعبّاد الاسباب كي تعلم في أي درك يتمرغون في وحل الوهم والحماقة ، وكيف انهم بعيدون كل البعد عن المنطق والعقل السليم :–

– معمل عظيم·· كتاب رائع·· قصر مشيد·· ساعة دقيقة·· لاشك ان الذي صنع كل هذا ورتّبه بدقة يجيد ادارته ، بما يملك من مهارة فائقة ·· ولاشك كذلك في أنه يرغب في اظهار محاسن وبدائع صنعته ومعمله ، أو كتابه.

فان أحال أحدهم ادارة المعمل العظيم والقصر المنيف ، ومعاني الكتاب الجميلة الى دواليب المعمل نفسه والى اجزاء القصر والى الحروف ذاتها ، فكأنه يجعل كل جزء من (المعمل) ماكنة عظيمة تعمل بنفسها وتنظم غيرها اي أن روعة الانتظام في (المعمل) ، أو جمال المعنى في (الكتاب) تأتي من عمل الدواليب نفسها ومن توافق الحروف من نفسها !!

أي هذر وأي وهم هذا !! أليس الذي يتفوه بهذا المنطق بعيداً كل البعد عن سلامة العقل ؟!

فان الذين يحيلون الخلق والايجاد في هذا الكون الرائع الى الطبيعة وقوانينها يهوون في جهل مركب سحيق كهذا ، وذلك لان آثار الابداع ظاهرة على جميع القوانين الطبيعية الفطرية ، فهي مخلوقة أيضاً كسائر المخلوقات

الاخرى ، وان الذي خلقها هو الذي يخلق آثارها ونتائجها معا فيظهرهما معاً فالذي خلق البذرة هو الذي أنشأ عليها شجرتها وهو الذي يزينها بالازهار والاثمار ... فالخالق والمدبر واحد أحد .

أما الذين لا يؤمنون بالتوحيد فقد أصبحوا أمام قبول سلسلة غير متناهية وغير معقولة بل مستحيلة في الاوهام ... اذ ان كل جزء له حاجته وقوانينه الخاصة به وهذا بدوره في حاجة الى قوانين اخرى لتكملة الجزء الآخر وهكذا يستمرون في سلسلة لا معنى لها ولا نهاية وهذا من أعجب الجهل وأتعسه !! ..

الاشارة السادسة (البلسم الشافي)

كما ان انفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية ، وتوحيده بالالوهية هو اساس جميع الكمالات ، ومنشأ المقاصد السامية كافة ، ومنبع كل الحكم المودعة في خلق الكون ، كذلك هو الغاية القصوى ، والبلسم الشافي لحصول رغبات ومطالب كل ذي شعور ـ وخاصة الانسان ـ .

فمن لا يؤمن بالتوحيد ، لابد أن تنطفئ شعلة رغباته ومطالبه كلها ، ولابد أن تنمحي عنده جميع الحكم المودعة في خلقة الكون ، وتتلاشى امامه اكثر الكمالات الموجودة والحقيقية .

فمثلاً : ان رغبة (حب البقاء) الشديدة التي لا تتزعزع في الانسان ، لا يحققها أو يطمئنها له الا من هو مالك لمقاليد الكون بأسره حيث يفتح باب الخلود امامه على مصراعيه في الآخرة ، بعد أن أنهى الدنيا الفانية ، كمن يفتح منزلا ويغلق آخراً بكل سهولة .

ومثل هذه الرغبة والحب رغبات اخرى كثيرة وكثيرة جداً ، ممتدة الى غير نهاية معلومة ومتشعبة في ثنايا الكائنات جميعاً . وجميعها مرتبطة بحقيقة التوحيد وأنواره وسر الفردية الواحدة وفيضها . اذ من لا يؤمن بانفراده سبحانه بالتوحيد ، لاشك في بقاء جميع تلك الرغبات عقيمة عنده قاصرة مبتورة ، فلا يمكن ان يشفي غليل حاجاته ابداً إلا هو .

لذا فالايمان بالوحدانية ، وبقدرته المطلقة سبحانه وتعالى ، هو وحده الكفيل باحلال الطمأنينة والسكينة في تلك الرغبات المتأججة ٠ ٠

من أجل هذا السر العظيم نرى القرآن الحكيم يذكر التوحيد والوحدانية بكل حرارة وشوق ويكررها بكل حلاوة ولذة ، وان الانبياء عليهم السلام والاصفياء والأولياء يجدون بغيتهم ، وذوقهم السامي بل منتهى سعادتهم في افضل ما قالوه وهو :

« لا إله إلا الله »

الاشارة السابعة : (السراج المنير)

وهكذا فان هذا التوحيد الحقيقي بجميع مراتبه ، وبأتم صورته الكاملة ، قد أثبته واعلنه وفهّمه ، وبلّغه محمد صلى الله عليه وسلم ٠ فلابد أن رسالته ثابتة وقطعية كقطعية ثبوت التوحيد لأنه :

لما كان التوحيد هو أعظم حقيقة في الوجود ، وان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم هو الذي تولى تبليغه وتعليمه بجميع حقائقه ، فلابد ان جميع البراهين التي تثبت التوحيد تكون بدورها براهين وأدلة لاثبات رسالته وصدق نبوته ودعوته صلى الله عليه وسلم ٠ ولاشك انه ضروري، ومبرر شديد وقوي لذلك التوحيد اذ هو الذي جمع ما لا يعد من هذه الحقائق السامية ، وعلّم وكشف عن التوحيد بكل نصاعته وحقيقته ، لذا فهو البرهان الساطع للتوحيد ، كما ان التوحيد برهان باهر له ٠

وسنذكر ثلاثة نماذج ، مثالاً لتلك الادلة والاسباب الكثيرة جداً التي تشهد بعظمة ورفعة وعلو منزلة الشخصية المعنوية لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكيف انه سراج منير وشمس الكائنات بادائه الامانة وتبليغه الرسالة بأتم صورة ٠

الاول :

اذا تأملنا في : ثواب جميع الحسنات التي ينالها جميع أفراد الامة ، وعلى مدى جميع العصور ، انه مكتوب مثله في صحيفة حسناته صلى الله عليه

وسلم ، اذ هو السبب في نيل كل ثواب الى يوم القيامة ، وفكرنا مع ذلك في : المقام المعظم اللائق الذي يقتضيه مجموع الادعية غير النهائية، والصلوات المقبولة المرفوعة يوميا من قبل الامة كافة ... عندئذ ندرك جيدا درجته العالية الرفيعة التي لا يمكن أن يصلها أحد ، وكيف أن الشخصية المعنوية المحمدية شمس الكائنات والسراج المنير للخلق أجمعين .

الثـاني :

ان بذرة الشجرة الوارفة للاسلام ومنشأها وحياتها ومنبعها هي حقيقة الماهية المحمدية . بما تملك من فطرة سامية . وخلقة كاملة.. فتذكر دائما ، رقيه الروحي النابع من استشعاره الكامل الاتم لجميع معاني ومراتب عباداته ، واذكاره ، وكلماته الشريفة ، والذي بمجموعه يمثل روح الاسلام وحقيقته .

واعلم كذلك ان منزلته صلى الله عليه وسلم كانت « المحبة » في العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى وذلك بمضمون قوله الشريف « أفلا أكون عبداً شكوراً » . ثم قس عليها ، مدى علو منزلته ورفعة درجته على سائر الولايات والمراتب والدرجات الاخرى .

ولقد فتح الله عليّ يوماً في سجدة في صلاة ، بعض معاني وأنوار كلمة « سبحان ربي الاعلى » بما يقرب من تلقي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من هذه الكلمة المقدسة فتبين لي يقينا أنها خير من عبادة شهر ، فقلت في نفسي : ان كانت جميع هذه الانوار والفيوضات في كلمة واحدة ، في صلاة واحدة ، فكيف بمن يعيش طيلة حياته في تلك الانوار والفيوضات ؟ فأدركت المنزلة العظيمة ، والدرجة العالية للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

نعم ان الانوار التي تشعها الكلمات المقدسة وفيوضاتها في بدء الاسلام لها مزايا خاصة ، ولذائذ راقية جدا ، وذلك لجدتها ، ولطافتها ، وطراوتها التي قد تتناقص بمرور الزمن ، وتتستر تحت ستار الغفلة .

والآن تأمل مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تناول الكلام المقدس ورشفه من المنبع الاقدس واستوعب أنواره بالوحي ، مع كامل جدته وطراوته ولطافته مع استعداده الفطري الكامل ٠٠ فالانوار والفيوضات الكامنة في تسبيحة واحدة منه صلى الله عليه وسلم هي خير وأعم من جميع الانوار التي تملأ أرجاء عبادة سنة كاملة عند غيره ٠٠!!

قس هكذا حتى تعلم كم بلغ رسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم من درجات الكمال التي لا حد لها ٠

الثالث :

لاشك ان أفضل وأكرم مخلوق على الله سبحانه هو الانسان ، اذ هو المطلوب والمراد من الخلق ، لانه المخاطب الاكثر ادراكاً للخطاب الرباني ٠ وقد اختار سبحانه وتعالى من هو أشهر وأعظم وأكمل انسان بأعماله وآثاره الكاملة ، فجعله مخاطبا له باسم النوع الانساني كافة ، بل باسم المخلوقات جميعـا ٠

فـلا ريب أن الله سـبحانه الـذي هيّأ رسـوله الحبيب صلى الله عليه وسلم لهذه المرتبة قد جعله مظهراً لانوار كمالاته التي لا تحد ٠٠

ومثل هذه النقاط الثلاث هناك نقاط اخرى كثيرة تثبت لنا بقطعية كاملـة :

ان الشخصية المعنوية للرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أنهـا شمس معنوية للكائنات والسراج المنير لها كذلك هو : آية عظمى في قرآن الكون والاسم الاعظم للفرقان الاعظم ، ومرآة صافية لتجليات أنوار الفرد الاحد الصمد جل وعلا ٠

فاللهم يا أحد ، يا فرد ، يا صمد ، أنزل من بركات خزينة رحمتك التي لا تنفد صلوات وسلاما على تلك الذات النبوية الشريفة بعدد ذرات الكون مضروبا بعدد دقائق الزمان ٠٠

(سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ٠)

[النافـلة التاسعة عشرة ـ رسـالة النوافـذ]

نافذة إلى التوحيد

[تسبح لـه السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده]

نعم مثلما أودع الصانع الجليل حكماً لا تعد ومعاني سامية لا تحصى في الاجرام السماوية، فزيّن تلك السموات بكلمات الشموس والاقمار والنجوم لتعبر عن جلاله وجماله سبحانه ٠ كذلك فانه ـ جلّ وعلا ـ قد ركّب ما في جو السماء من موجودات حكماً عالية ، وعلّق عليها معاني سامية ومقاصد عظمى بحيث أنطق جو السماء بكلمات الرعود والبروق وقطرات الامطـار ليعلّم بها ويعرّف كمال حكمته وجمال رحمته ٠

ومثلما جعل سبحانه وتعالى كرة الارض تتكلم بكلمات ذات مغزى ، وأنطقها بما بث فيها من الحيوانات والنباتات التي ما هي الا كلمات بليغة، مبيناً كمال صنعته للوجود ، كذلك جعل النباتات والاشجار نفسها تنطق بكلمات اوراقها ، وازهارها ، وثمارها ، معلنة كمال صنعته سبحانه وجمال رحمته جل جلاله ٠

وجعل الزهرة ايضاً ، والثمرة كذلك التي ما هي الا كلمة واحدة من تلك الكلمات ، جعلها البارىء المصوّر تتكلم بكلمات بذيراتها الدقيقـة ، فعلّم بها سبحانه دقائق صنعته ، وكمال ربوبيته لجميع من له شعور ٠

فدونك ما لا يحد من كلمات التسبيح والاذكار في الكون ٠

وسنستمع الآن الى ذلك النمط من كلام زهرة واحدة ، وسنصغي الى إفادة سنبلة واحدة ، لنتعلم كيف ان هذا كله يشهد شهادة صادقة بالتوحيد:

نعم ؛ ان كل نبات ، وكل شجر ، دليل واضح على صانعه ، وشاهد صدق بمختلف الألسنة العديدة لوحدانية خالقه ، بحيث أن تلك الشهادة تجعل المدقق والمتمعّن فيه في حيرة وذهول يقول : يا سبحان الله ، ما اجمل شهادة هذا للتوحيد ! ٠

نعم انه واضح جلي كوضوح النبات نفسه وجميل كذلك كجمال النبات نفسه ، تلك التسبيحات التي يرددها كل نبات ضمن تكلمه المعنوى في تبسمه المشرق عند تفتح الازهار وحين نضوج الاثمار والسنابل ٠ ذلك لأن بالثغر الباسم لكل زهرة ، وباللسان الدقيق للسنبل المنتظم ، وبكلمات البذور الموزونة والحبوب المنتظمة ، يظهر ويبين (النظام) الذي يدل على (الحكمة) ٠٠ وهذا النظام ـ كما هو مشاهد ـ في ثنايا (ميزان) دقيق حساس يدل على (العلم) ويبينه ويبرزه ٠ وذلك (الميزان) هو ضمن (الصنعة الدقيقة) التي تدل على (المهارة الفائقة) ٠ وتلك الصنعة الدقيقة والنقوش البديعة هي الاخرى ضمن الزينة الرائعة التي تبين (اللطف والكرم) ٠ وتلك الزينة البهيجة هي بدورها معبقة بالروائح الطيبة الفواحة والعطر الزكي اللطيف التي تظهر (الرحمة والاحسان) ٠

فتلك الاوضاع والحالات ، التي لها معاني عميقة متداخلة ومكتنفة بعضها ببعض هي لسان شهادة عظمى للتوحيد ، بحيث تعرّف الصانع ذا الجلال باسمائه المقدسة الحسنى ، وتصفه بأوصافه الجليلة السامية ٠ وتشرح وتفسر أنوار تجليات اسمائه الحسنى ، وتعبّر عن تودّده وتحببه سبحانه وتعالى ٠

فلئن استمعت الى شهادة كهذه من زهرة واحدة فقط ، وتمكنت ان تصغي الى الشهادة العظمى الصادرة من جميع الازهار في جميع البساتين

الربانية على سطح الارض ، واستمعت الى ذلك الاعلان المدوي الهائل الذي تعلنه تلك الازهار في وجوب وجوده سبحانه ووحدانينته ، فهل تبقى لديك ثمة غفلة ! أو أية شبهة ؟ . وان بقيت لديك غفلة .. فهل يمكن ان يطلق عليك بانك انسان ذو شعور ؟ .

فتعال لنتأمل شجرة .. نحن أمام نشوء الاوراق ونموها ـ في الربيع ـ بانتظام ودقة متناهية ، وأمام تفتح الازهار وخروجها من اكمامها بشكل موزون ، وأمام نمو الثمار بحكمة ورحمة ..

فهلاّ امعنت في منظر تلاعب الاغصان الرقيقة بهبة من نسيم رقيق وكأنه طفل بريء !!

فشاهد ذلك المنظر اللطيف في فم الشجرة كيف يعبّر كلاً من :

لسان الاوراق ـ المخضرة بيد الكرم ـ ولسان الازهار ـ المتبسمة بنشوة اللطف ـ وكلمات الاثمار ـ الفرحة من تجلي الرحمة..كل منه يعبّر عن ذلك (الميزان) الدقيق العادل الذى هو ضمن (النظام) البديع المحكم. وفي هذا الميزان الدقيق الذي يدل على (العدل)، نقوش صنعةٍ دقيقة

بديعة وزينة فائقة تضم مذاقات متنوعة وروائح مختلفة طيبة لطيفة تدل على الرحمة والاحسان ، وفي تلك المذاقات اللطيفة بذور ونوى هي بحد ذاتها معجزة من معجزات القدرة الالهية .. كل ذلك يدل بوضوح ، ويظهر بجلاء ، وجوب وجود خالق كريم ، رحيم ، محسن ، منعم ، مجمّل ، مفضّل واحد أحد ، ويشهد كذلك على جمال رحمته سبحانه وكمال ربوبيته ..

فان استطعت أن تسمع هذا من لسان حال جميع الاشجار على سطح الارض معاً فستفهم بل سترى : كم من الجواهر الجميلة النفيسة الرائعة في خزينة الآية الكريمة « يسبّح لله ما في السموات والارض » ؟ .

فيها أيها الغافل المسكين ، ويا من يظن نفسه هملا دون حساب ، ويا من يغرق في نكران الجميل والكفران ··

ان الكريم ذا الجمال يعرّف نفسه ويحببها اليك بهذا الحشد من الألسنة التي لا تعد ولا تحصى ، وإن اردت ان تصرف نفسك عن ذلك التعريف · فما عليك الاّ أن تكم جميع تلك الافواه ، وتسكت تلك الألسنة كافة ·· وانّى لك هـذا !!

فما دام لا يمكن اسكات تلك الالسنة الناطقة بالتوحيد · فما عليك الا الاصغاء والانصات اليها · والا فلن تنجـو بمجـرد سـد الاذن بأصابع الغفلة · لان عملك هذا لا يسكت الكون · فالكون جميعـا ، والموجـودات كافة ناطقة بالتوحيد · فدلائل التوحيد واصداؤه شواهد عدل لا تنقطع ولا تنتهي أبدا · فلابد أنها ستدينك ··

من بستان الآخرة

- درس للعبرة
- النشأة الاخرى
- عبودية محمد صلى الله عليه وسلم دليل على الآخرة
- باب الى حقيقة الحشر
- أمثلة مشهودة عن الحشر
- من ثمرات الايمان بالآخرة
- اعظم قضية للبشرية

[خاتمة الكلمة الرابعة عشرة]

درس للعبرة

بسم الله الرحمن الرحيم [وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور] ·

يا نفسي ·· ايتها السادرة في الغفلة ·

يا من ترين هذه الحياة حلوة لذيذة فتطلبين الدنيا وتنسين الآخرة··
هل تدرين بمَ تشبهين ؟

انك لتشبهين النعامة ··· تلك التى اذا رأت الصياد فلا تطير ، بل تقحم رأسها في الرمال تاركة جسمها الضخم في الخارج ظناً منها ان الصياد لا يراها · إلا أن الصياد يرى ، ولكنها هي وحدها التي اطبقت جفنيها تحت الرمال فلم تعد ترى(١) !

فيا نفسي ! انظرى الى هذا المثال وتأملى وابصرى ، كيف ان حصر النظر كله في الدنيا يحوّل لذة حلوة الى ألم أليم مرير ! ·

هب أنه في هذه القرية (بارلا) رجلان اثنان :

أما أحدهما فقد رحل تسعة وتسعون بالمئة من أحبته الى استانبول وهم يعيشون هناك عيشة طيبة جميلة ، ولم يبق منهم هنا سوى شخص واحد فقط وهو أيضاً في طريقه الى الالتحاق بهم ، لذا فان هذا الرجل مشتاق الى استانبول أشد الاشتياق بل يفكر بها ، ويرغب ان يلتقي بالأحباب دائماً ·

فلو قيل له في أي وقت من الاوقات :

ـ هيا اذهب الى هناك ، فانه سيذهب فرحاً باسماً ·

---

(١)نعم ان صياد الأجل يرى فلم يعد ينفع غمر الرأس وطمسه في رمل الغفلة (م) ·

أما الرجل الثاني فقد رحل من احبته تسعة وتسعون بالمئة فيظن ان فني بعضهم ، ومنهم ان انزوى في اماكن لا ترى · فهلكوا وتفرقوا حسب ظنــــه ·

فهذا الرجل المسكين ذو داء عضال يبحث عن أنيس وعن ســلوان حتى في سائح واحد ، بدلاً عن اولئك جميعاً ، ويريد ان يغطي به على ألم الفراق الأليم · فيا نفسي :

ان أحبتك كلهم ، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم (حبيب الله) صلى الله عليه وسلم ، هم الآن في الطرف الآخر من القبر · فلم يبق هنا الا واحد أو اثنان وهم ايضاً متأهبون للرحيل ·

فلا تديرن رأسك جفلة من المـوت ، خائفة من القبر ، بل حدقي في القبر وانظري الى حفرته بشهامة واستمعي الى ما يطلب ·

وابتسمي بوجه الموت برجولة ، وانظري ماذا يريد ؟

وإياك ان تغفلي فتكوني أشبه بالرجل الثاني ! ·

يا نفسي : لا تقولي ابداً بأن الزمان قد تغير ، وان العصر قد تبدل ، وان الناس قد انغمسوا في الدنيــا وافتتنوا بحياتها ، فهم سكارى بهموم العيش ، ·· ذلك لأن الموت لا يتغير ، وان الفراق لا ينقلب الى البقاء فلا يتغير ايضاً ، وان العجــز الانساني والفقر البشــري هما ايضاً لا يتغــيران بل يزدادان ، وان رحلة البشرية لا تنقطع ، بل تحث السير وتمضي ·

ثم لا تقولي كذلك : « أنا مثل كل الناس » · ذلك لأن كل واحد من الناس لن يصاحبك الا على عتبة باب القبر ·· لا غير ·

ولو ذهبت تنشدين السلوان فيما يقال من مشاركة الآخرين معك · في المصيبة ومعيتهم لك ، فان هذا ايضاً لا حقيقة له ولا أساس مطلقاً في الطرف الآخر من القبر ! ·

ولا تظني نفسك سارحة مفلوتة الزمام ، ذلك لأنك اذا ما نظرت الى دار ضيافة الدنيا هذه نظر الحكمة والروية ٠٠ فلن تجدي شيئاً بلا نظام ولا غاية ، فكيف اذن تبقين أنت وحدك بلا نظام ولا غاية ؟!

فحتى الحوادث الكونية والوقائع الشبيهة بالزلازل ليست هي ألعوبة بيد الصدفة فمثلاً : في الوقت الذي تشاهدين فيه بأن الأرض قد ألبست حللاً مزركشة بعضها فوق بعض مكتنفة بعضها في البعض من انواع النباتات والحيوانات في منتهى النظام وفي غاية النقش والجمال ، وترينها مجهزة كلها من قمة الرأس الى أخمص القدم بالحكم ، ومزينة بالغايات ٠ وفي الوقت الذي تدور بما يشبه جذبة حب وشوق مولوية بكمال الدقة والنظام ضمن غايات سامية ٠

ففي الوقت الذي تشهدين هذا ، وتعلمين ذلك ، فكيف يسوغ اذن أن تكون الزلزلة الشبيهة بهزّ عطف كرة الارض(١) مظهراً عدم رضاها عن التضييقات المعنوية وثقلها الناشيء من اعمال البشر ، ولاسيما أهل الايمان منهم ، كيف يمكن أن تكون تلك الحادثة المليئة بالموت ، دون قصد ولا غاية ـ كما نشره ملحد ـ ظناً منه أنها مجرد صدفة ، مرتكباً بذلك خطأ فاحشاً ومقترفاً ظلماً قبيحاً ، اذ صيّر جميع ما فقده المصابون من أموال وارواح هباءً منثوراً قاذفاً بهم في يأس أليم ٠

والحال أن مثل هذه الحوادث تدخر ـ دائمياً ـ أموال أهل الايمان محولة إياها ـ بأمر الحكيم الرحيم ـ الى صدقة لهم ٠ وهي كفّارة للذنوب الناشئة من كفران النعم ٠

فلسوف يأتي ذلك اليوم الذي تجد الارض المسخرة وجهها دميمة قبيحة بما لطخ زينتها شرك اعمال البشر ولوثها كفرانه ، فتمسح عندئذ وجهها بزلزلة عظيمة بأمر الخالق ، وتطهره مفرغة أهل الشرك ـ بأمر الله ـ في جهنم ، وداعية أهل الشكر : « هيا تفضلوا الى الجنة » ٠

(١) كتبت هذه بمناسبة الزلزال الذي حدث في أزمير ٠

النشأة الأخرى

ان إخبار القرآن الكريم نفسه للحشر الجسماني تنوير كافٍ، وكشف بين له . اذ هو المفتاح للحكمة المودعة في الكائنات ، وللسر المغلق للعالم .

فالقرآن الكريم قد دعا مراراً الى التفكر ، ولفت الانظار الى آلاف من البراهين العقلية القطعية فالآيات الكريمة مثلاً [قل يحييها الذي أنشأها اول مرة] و [وقد خلقكم اطواراً] ، انما هي نماذج (للقياس التمثيلي) .

وأن الآية الكريمة [وما ربك بظلام للعبيد] نموذج آخر يشير الى (دليل العدالة) في الكون . وآيات كثيرة أخرى قد وضع فيها نظارات ذات عدسات مكبرة كثيرة كي تنظر من خلالها الى السعادة الابدية في الحشر الجسماني .

وقد اوضحنا (القياس التمثيلي) الموجود في الآيتين الاوليين مع سائر الآيات الاخرى في رسالة « النقطة »(١) وخلاصته :

ان الانسان كلما انتقل من طور الى طور مرّ بانقلابات منتظمة عجيبة، فمن النطفة الى العلقة ، ومن العلقة الى المضغة ، ومن المضغة الى العظم ثم اللحم ، ومن ثم الى خلق جديد .. أي أن انقلابه الى صورة انسان ، يتبع دساتير دقيقة ؛ فكل طور منها له قوانين خاصة ، وانظمة معينة ، وحركات مطردة ؛ بحيث يشف عما تحته أنوار : القصد والارادة والاختيار والحكمة .

وعلى الطريقة نفسها فان الخالق الحكيم الذي خلق الجسد يبدّله سنوياً بسهولة تامة كتبديل الثياب ، فيكون هذا الجسد بحاجة الى تركيب جديد كي يتبدل ويبقى حياً ، وبحاجة الى احلال ذرات فعالة جديدة محل

---

(١) (نقطة من نور معرفة الله جل جلاله) : رسالة في غاية الأهمية تثبت اركان الايمان الستة ببراهين قاطعة . وهي مطبوعة ضمن كتاب « المثنوي العربي النوري » /م .

ما انحل من الاجزاء· لذا فكما ان الجسد تنهدم حجيراته بقانون آلهى منتظم كذلك يحتاج الى مادة لطيفة ـ ـ باسم الرزق ـ كي يعمّر من جديد بقانون آلهي رباني دقيق ·

فالرزاق الحقيقي سبحانه يوزع ويقسم ـ بقانون خاص ـ لكل عضو من اعضاء الجسد المتباينة ، وبنسبة معينة ـ ما يحتاجه من المواد المتنوعة

فتأمل الآن في أطوار تلك المادة اللطيفة المرسلة من قبل الرزاق الحكيم :

ان ذرات تلك المادة كأنها قافلة منتشرة في الغلاف الجوي ·· في الارض ·· في الماء ··· فبينما هي مبعثرة هنا وهناك ، اذا بها تستنفر فتتجمع بكيفية خاصة ، وكأن كل ذرة منها هي مسؤولة عن وظيفة أُرسلت الى مكان معين بواجب رسمي، فتجتمع مع بعضها في غاية الانتظام·· مما يوحي بانها حركة مقصودة · فسلوكها هذا يبين :

ان فاعلاً ذا ارادة واختيار يسوق تلك الذرات ـ بقانونه الخاص ـ من عالم الجمادات الى عالم الاحياء ، وهنا بعد ان دخلت جسماً معيناً ـ رزقاً له ـ تسير وفق نظم معينة وحركات مطردة ، وحسب دساتير خاصة · اذ بعد أن تنضج في أربع مطابخ ، وتمر بأربع انقلابات عجيبة ، وتصفّى بأربعة مصاف ، تهيأ للتوزيع الى أقطار الجسم وأعضائه المختلفة ، حسب حاجات كل عضو ، وتحت رعاية الرزاق الحقيقي وعنايته وبقوانينه المنتظمة ··· فاذا تأملت بعين الحكمة أية ذرة كانت من تلك الذرات فانك ستري :

ان الذي يسوق تلك الذرة ويسيّرها ، انما يسوقها بكل بصيرة ، وبكل نظام ، وبملء السمع والعلم المحيط ·· فلا يمكن بحال من الاحوال ان يتدخل فيه (الاتفاق الاعمى) و (الصدفة العشوائية) و (الطبيعة الصماء) و (الاسباب غير الواعية) · لان كل ذرة من الذرات عندما دخلت الى طور من الاطوار ـ ابتداءً من المحيط الخارجي وانتهاءً الى داخل الخلية

الصغيرة من الجسم – انما تعمل بارادة ، وباختيار ، وحسب القوانين المعينة في كل طور من تلك الاطوار ٠٠ اذ حينما تدخل فانها تدخل بنظام ، وعندما تسير في اية مرتبة من المراتب فانما تسير بخطوات منتظمة الى حد تظهر جلياً انها تساق بأمر سائق حكيم ٠

وهكذا ، وبكل انتظام ، كلما سارت الذرة من طور الى طور ، ومن مرتبة الى اخرى لا تحيد عن الهدف المقصود حتى تصل الى المقام المخصص لها بأمر رباني ، في الخلية المعينة في قزحية عين (توفيق)(١) مثلا ٠ وهناك تقف لتنجز وظائفها الخاصة ، وتؤدي ما انيط بها من اعمال ٠

وهكذا تتجلى الربوبية في الارزاق ، بأن تلك الذرات – منذ البداية – كانت معيّنة ، ومأمورة ، وكانت مسؤولة عن وظيفة ، وكانت مستعدة للوصول الى تلك المراتب المخصصة لها ، وكأن كل ذرة مكتوب على جبينها ما ستؤول اليه ، اي ستكون رزقاً للخلية الفلانية ، مما يشير لنا – هذا النظام الرائع – أن اسم كل انسان مكتوب على ذرات رزقه ، كما أن رزقه مكتوب على جبينه بقلم القدرة الالهية ٠٠

فهل من الممكن ان الرب الرحيم ذا القدرة المطلقة والحكمة المحيطة الاّ ينشىء « النشأة الاخرى » ؟ أو يعجز عنها ؟؟ ٠ وهو الذي لـه ملك السموات والارض وهنّ مطويات بيمينه من الذرات الى المجرات ويديرها جميعاً ضمن نظام محكم دقيق بديع ! حاشاه ٠٠

لذلك فان كثيراً من آيات القرآن الكريم تلفت نظر الانسان الى « النشأة الاولى » الحكيمة ، كمثل قياسي « للنشأة الاخرى » في الحشر والقيامة ، وذلك كي تستبعد انكارها من ذهن الانسان فتقول : [قل يحييها الذي أنشأها أول مرة] أي ان الذي أنشأكم على هذه الصورة الحكيمة هو الذي يحييكم في الآخرة ، وتقول [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه]«الروم/٢٧»٠ اي ان اعادتكم واحياءكم في الآخرة اسهل من خلقكم

---

(١) اسم أحد تلامذة الاستاذ النورسي وأحد كتّاب رسائل النور ٠

في الدنيا؛ اذ كما ان الجنود اذا ما انتشروا وتفرقوا للاستراحة، يمكن ارجاعهم الى أماكنهم تحت راية الفرقة بنفخة من البوق العسكري · فجمعهم هكذا من الاستراحة في مكان معين أسهل بكثير من تكوين فرقة جديدة من الجنود ، كذلك فان الذرات الاساس التي استأنست وارتبط بعضها ببعض بامتزاجها في جسم معين ، عندها ينفخ (اسرافيل) عليه السلام في (صُوره) نفخة واحدة ، تهبّ قائلة « لبيك » لامر الخالق العظيم · فان اجتماعها بعضها مع بعض مرة اخرى ـ لا ريب ـ أسهل وأهون عقلا ، من ايجاد تلك الذرات أول مرة · هذا وقد لا يكون ضرورياً اجتماع الذرات جميعاً ، وانما تكفي الذرات الاساس التي هي بمثابة البذور والنوى للاجسام ، كما عبّر عنها الحديث الشريف [عُجبي الذنب] التي هي الاجزاء الاساس والذرات الاصلية الكافية وحدها ان تكون اساساً لانشاء النشأة الاخرى عليها · فالخالق الحكيم يبني من جديد جسد الانسان على ذلك الاساس ·

وأما القياس العدلي الذي تشير اليه الآية الكريمة [وما ربك بظلام للعبيد] · « فصلت / ٤٦ » فخلاصته :

اننا نرى كثيراً في عالمنا : ان الظالمين والفجّار يقضون حياتهم في رفاه وراحة تامة ، أما المظلومون والمتدينون فيقضونها في شظف من العيش ، وبكل مشقة ورهق ·· ومن ثم يأتي الموت فيحصد الاثنين معاً دون تمييز · فان لم تكن هناك نهاية مقصودة ومعينة لظهر الظلم اذن في المسألة · فلابد من الاجتماع الاخروي بينهما حتى ينال الاول عقابه والثاني ثوابه · اذ المنزّه عن الظلم سبحانه وتعالى وهو العادل الحكيم ـ بشهادة الكائنات قاطبة ـ لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تقبل عدالته وحكمته بهذا الظلم ، ولا يمكن ان ترضيا به · فالنهاية المقصودة اذن حتمية · لأن رؤية هذا الانسان الكادح المنهوك جزاءه وثوابه حسب استعداده ، يجعله رمزاً للعدالة المحضة ومداراً لها ، ومظهراً للحكمة الربانية ، ومنسجماً مع

الموجودات الحكيمة في الكون واخا كبيراً لها ·

نعم ان دار الدنيا القصيرة هذه لا تكفي ، ولا تلائم لاظهار ما لا تحد من الاستعدادات والمواهب المندمجة في روح الانسان ولا لا ثمارها · فلابد اذن أن يرسل هذا الانسان الى عالم آخر ·

نعم ان جوهر الانسان عظيم ، لذا فهو رمز للابدية ، وأن ماهيته عالية راقية ، لذا أصبحت جنايته عظيمة ، فلا يشبه الكائنات الاخرى · وان نظامه دقيق ورائع ، فلا يمكن ان تكون نهايته بدون نظام · ولن يهمل ، ولن يترك عبثاً · ولن يحكم عليه بالفناء المطلق ، ولن يذهب الى العدم ·

وانما تفتح جهنم أفوهاها فاغرة تنتظره ·

والجنة باسطة ذراعيها لاحتضانه ·

عبودية محمد ﷺ دليل على الآخرة

هل من الممكن لرب ذي رحمة واسعة وشفقة غير متناهية يبصر أخفى حاجة لأدنى مخلوق ويسعفه من حيث لا يحتسب برأفة متناهية ورحمة سابغة ويسمع أخفت صوتٍ لأخفى مخلوق فيغيثه ، ويجيب كل داع بلسان الحال والمقال ، هل من الممكن يا ترى لهذا الرب المجيب الرحيم ألاّ يقضي أهم حاجة لأعظم عباده(١) وأحب خلقه اليه ، ولا يسعفه بما يرجوه منه ؟

نعم خذ مثلاً لذلك : السهولة واللطف الظاهران في اعاشة وتربية صغار الحيوانات وضعافها • انهما تبينان لنا : ان مالك هذه الكائنات يسيّر هذا الكون بربوبية لاحدّ لرحمتها • فهل يعقل لهذه الربوبية

---

(١) نعم ان الذي حكم ودام سلطان حكمه الفاً وثلاثمائة وخمسين سنة والذي عدد امته اكثر من ثلثمائة وخمسين مليوناً ـ في اغلب الاوقات ـ وهم يجددون معه البيعة يومياً ، ويشهدون بعلو مكانته وينقادون لأوامره انقياداً تاماً عن رغبة وطواعية ••• هذا الذي تسربل نصف الأرض وخمس البشرية بسرباله المبارك ، وانطبع بطابعه المعنوي ، واصبحت ذاته الشريفة محبوبة قلوبهم ، ومربية ارواحهم ، ومزكية نفوسهم ••• لا ريب انه العبد الاعظم لرب الكون سبحانه ••• هذا العبد الكريم الذي اصاب اغلب انواع الكائنات ثمرة من ثمرات معجزاته ، ونتيجة من نتاجها مرحباً بما أتى به من مهمات ، لا ريب انه احب المخلوقات عند خالق هذا الكون ، وان البشرية بكل مالها من استعداد ترجو البقاء وتطلب هذه الحاجة الملحة التي تنقذها من التردي الى دركات اسفل سافلين وترفعها الى درجات أعلى عليين ، وهي حاجة عظمى ، فلا ريب أن من يتقدم بها ويرفعها الى قاضي الحاجات لهو أعظم العباد •

المتصفة بكمال الشفقة والرأفة ان لا تستجيب لاجمل دعاء لافضل مخلوق ؟.
وكما قد بينت هذه الحقيقة في « الكلمة التاسعة عشرة » أعيد بيانها هنا :

فيا صديقي الذي يسمعني مع نفسي ! لقد ذكرنا في الحكاية : ان هناك اجتماعاً في جزيرة ، وان مبعوثاً كريماً يلقى خطبة هناك ، فحقيقة ما أشارت اليه الحكاية هي ما يأتي :

تعال لنتجرد من قيود الزمان ، ولنذهب بأفكارنا الى عصر النبوة ، وبخيالنا الى تلك الجزيرة العربية كي نحظى بزيارته صلى الله عليه وسلم وهو يزاول وظيفته بكامل عبوديته . انظر ! كيف انه ـ بما أتى به من رسالة وهداية ـ سبب السعادة الابدية ووسيلة الوصول اليها ، فانه صلى الله عليه وسلم ـ بدعائه وبعبوديته ـ هو الداعي لايجاد تلك السعادة وخلق الجنة .

انظر الى الذات النبوية المباركة إلام تدعو ... انها تدعو الى السعادة الابدية في صلاة كبرى شاملة ، وفي عبادة رفيعة مستغرقة ، حتى أن الجزيرة العربية ، بل الارض برمتها ، كأنها تصلي مع صلاة هذا الكريم ، وتبتهل الى الله بابتهاله الجميل ، ذلك لان عبوديته صلى الله عليه وسلم كما انها تتضمن عبودية جميع أمته الذين اتبعوه ، فهي تتضمن كذلك ـ بسر الموافقة في الاصول ـ سرّ العبودية لجميع الانبياء عليهم السلام . فهو يؤم صلاة كبرى ـ ايّما صلاة ـ ويتضرع بدعاء ـ ويا له من تضرع رقيق ـ في خلق عظيم كأن الذين تنوروا بنور الايمان من لدن آدم عليه السلام الى الآن ، والى يوم القيامة اقتدوا به ، وأمّنوا بدعائه(١) .

---

(١) نعم ان جميع الصلوات التي تقيمها الامة كلها ، منذ المناجاة الاحمدية ـ عليه الصلاة والسلام ـ والصلوات والتسليمات التي تبعثها الى النبي صلى الله عليه وسلم ان هي الا تأمين دائم لدعائه ، ومشاركة عامة معه ، حتى أن كل صلاة وسلام عليه هو تأمين على ذلك الدعاء. وكذا فكل ما يأتيه فرد من أفراد الأمة من الصلوات في الصلاة ومن

انظر ! كيف يدعو من الله حاجة عامة مثل حاجة البقاء والخلود ! هذه الدعوة التي لا يشترك فيها معه أهل الارض وحدهم، بل أهل السموات أيضاً ، لا بل الموجودات كافة · وتقول بلسان الحال : آمين اللهم آمين استجب يا ربنا دعاءه ، فنحن نتوسل بك ونتضرع اليك مثله ··· انظر ! انه يطلب تلك السعادة والخلود بكل رقة وحزن ، وبكل حب وود ، وبكل شوق والحاح ، وبكل تضرع ورجاء ، يحزن الكون بأجمعه ويبكيه فيشترك في دعائـه ·

ثم انظر وتأمل ! انه يدعو طالباً السعادة لقصد عظيم ، ولغاية سامية ·· يطلبها لينقذ الانسان ، والمخلوقات جميعاً من التردي الى هاوية أسفل سافلين ، وهو الفناء المطلق والضياع والعبث ، ويرفعه الى أعلى عليين ، وهو الرفعة والبقاء ، وتقلد الواجبات وتسلم المسؤوليات ليكون أهلاً لهـا ويرقى الى مرتبة المكتوبات الصمدانية ·

انظر ! كيف انه يطلب الاستعانة مستغيثاً ببكاء ، متضرعاً راجياً من الاعماق ، متوسلاً بالحاح ·· حتى كأنه يسمع الموجودات جميعاً ، بـل السموات ، بل العرش ، فيهزّهم وجداً وشوقاً الى دعائه ويجعلهم يرددون: آمين اللهم آمين(١) ·

الدعاء عقب الاقامة – حسب المذهب الشافعي – انما هو تأمين عـام على ذلك الدعاء الذى يدعو به للسعادة الابدية · فالنبي صلى الله عليه وسلم يطلب في دعائه البقاء والسعادة الابدية ، وهـذا هو ما يريده الانسان ويطلبه بكل ما أوتي من قوة بلسان حال فطرتـه ، لذا يؤمّن خلفه جميع الذين تنوّروا بنور الايمان ، فهل يمكن الاّ يقرن هذا الدعاء بالقبول والاستجابة ؟!

(١) نعم انه لا يمكن بحال من الاحوال الا يطلع المتصرف بهذا العالم الى افعال من هو بالمنزلة الرفيعة من خلقه ، في الوقت الذي يتصرف في الكون بكل علم وبصيرة وحكمة ، كما هو مشاهد · ولا يمكن أيضاً بحال من الاحوال الا يبالي ذلك المتصرف العليم بدعاء هذا العبـد المختار من عباده ، وهو المطلع على كل افعاله ودعواته · كذلـك لا يمكن بحال من الاحوال ان لا يستجيب ذلك المتصرف القدير الرحيم

وانظر ! انه يطلب السعادة والبقاء الابدي ، ويرجوهما من قدير سميع كريم ، ومن عليم بصير رحيم يرى ويسمع أخفى حاجـة لأضعف مخلوق فيدركه برحمته ، ويستجيب له حتى ان كان دعاءً بلسان الحال ٠

نعم انـه يستجيب له ويغيثه بحكمة وبصيرة ورحمة بحيث لا تبقى شبهة أو وهم ، بأن تلك الرعاية الفائقة ليست الا من لدن سميع بصير ، وان ذلك التدبير الدقيق ليس الا من عند كريم رحيم ٠

فيا ترى ان الذي يقود جميع بني آدم في مسيرة الحياة على الارض متوجهاً الى العرش الاعظم ، رافعاً يديه ، داعياً بدعاء شامل لحقيقة العبودية الأحمدية التي هي خلاصة عبودية البشـرية ماذا يريد ؟ ماذا يريد شـرف الانسانية ، وفخر الكائنات ، وفريـد الازمـان والاكوان ؟! ٠ لننصت اليه ٠٠ انظر ! ، انه يطلب السـعادة الابدية لنفسـه ولامته ، انه يطلب الخلود في دار البقاء ، انه يطلب الجنة ونعيمها ٠٠ نعم يطلبها ويرجوها مع تلك الاسماء الالهية المتجلية بجمالها في مرآة الموجودات ٠٠٠ نعم انـه يستشفع تلك الاسماء الحسنى ٠٠

لتلك الدعوات وهو يرى من صاحبها كل التجرد والافتقار اليه ٠

نعم لقد تبدل وضع العالم بنور النبي صلى الله عليه وسلم ، وتبينت حقيقة الانسان والكون وماهيتهما بذلـك النـور وانكشفت بذلـك الضياء فظهر ان موجودات هذا الكون مكتوبات صمدانية تستقرىء الاسماء الحسنى ومأمورات موظفات ؛ فهي موجودات نفيسة ذات معنى ومغزى تليق بالبقاء ٠ فلولا ذلك النور لظل الكون مستوراً تحت ظلام الأوهام ، محكوماً عليه بالفناء المطلق والعدم ، تافهاً دون معنى ودون نفع ، بل كان عبثاً وسدى ووليدة الصدفة ٠ ولهذا السر فان كل شيء في الارض والسماء ـ من الثرى الى الثريا ـ يستضيء بنوره ويبدي علاقته به مثلما يؤمّن الانسان لدعائه ، ولا غرو ان روح العبودية المحمدية ومخها انما هو الدعاء ، فحركات الكون ووظائفه جميعاً ما هي إلا نوع من الدعاء ، ونمو البذرة وتحولاتها مثلاً مـا هو إلا نوع من دعاء لها لبارئها لتصبح شجرة ٠

أرأيت ان لم يكن هناك شيء من الاسباب الموجبة التي لاتعد ولاتحصى للآخرة ولا شيء من الدلائل لوجودها ، أليس دعاء واحد من هذه الذات النبوية المباركة يكون سبباً كافياً لايجاد الجنة(١) التي لا تخرج عن نطاق قدرة خالقنا الرحيم ، وسهلة عليه سهولة اعادة الحياة الى الارض في أيام الربيع ؟ نعم ان الذى جعل سطح الارض مثالاً للحشر ، فاوجد فيه مئة الف نموذج من نماذجه بقدرته المطلقة ، كيف يصعب عليه ايجاد الجنة ؟٠٠ اذاً فكما ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت سبباً لايجاد دار الامتحان هذه ، وصارت بياناً وايضاحاً لسر « لولاك لولاك لما خلقت الافلاك » كذلك فان عبوديته اصبحت سبباً لخلق تلك الدار السعيدة الابدية٠ فهل من الممكن يا ترى لانتظام العالم البديع الذي حيّر العقول والصنعة المتقنة ، وجمال الربوبية الشاملة في اطار رحمته الواسعة ، ان يقبل ـ بعدم استجابة ذلك الدعاء ـ انقطاع اسباب النظام ، وانطفاء جذوة الجمال ، وانحسار الشفقة، واحلال عدم الرحمة محلها ؟ اي لا يراعي ولا يسمع ولا ينجز اكثر الرغبات اهمية ، واشدها ضرورة في حين انه يراعي بكل اهتمام ابسط الرغبات

---

(١) نعم ان ابداء نماذج الصنعة الدقيقة البديعة التي لا تعد ولا تحصى على وجه الارض الذي هو بمثابة صحيفة صغيرة بالنسبة الى عالم الآخرة الفسيح، وكذا اراءة نماذج الحشر والقيامة في ثلثمائة الف نوع من مخلوقات ذات الموازنة والانتظام وكتابتها في تلك الصحيفة الواحدة بهذا النظام البديع، لاشك أنها أعقد من تهيئة الجنة الموسومة بالفخامة والرفعة في عالم البقاء الرحب ٠ نعم يمكن القول : ان خلق حدائق الربيع بما فيها من الازهار والرياحين امر يبعث على الحيرة والدهشة اكثر مما يبعثهما خلق الجنة وبنسبة علو درجة الجنة ورفعة مكانتها على الربيع ٠

وأصغرها ويسمع أخفت الاصوات ويقضي لكل ذى حاجة حاجته ! كلا ثم كلا ألف ألف مرة ان مثل هذا الجمال يأبى التشوه ولن يكون قبيحاً(١) ٠

فالرسول صلى الله عليه وسلم اذن كما انه قد فتح برسالته باب الحياة الدنيا ، فانه صلوات الله وسلامه عليه قد فتح ايضاً بعبوديته باب الآخرة عليه صلوات الرحمن ملء الدنيا ودار الجنان ٠

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك ، ذلك الحبيب الذي هو سيد الكونين ، وفخر العالمين ، وحياة الدارين ، ووسيلة السعادتين ، وذو الجناحين ورسول الثقلين وعلى آله وصحبه اجمعين وعلى اخوانه من النبيين المرسلين ٠ آمين ٠

---

(١) نعم ان انقلاب الحقائق محال بالاتفاق ٠ واشد المحال مُحالاً هو انقلاب للضد الى ضده ٠ وضمن عدم امكان انقلاب الحقائق الى اضدادها حقيقة لا تقبل الضد قطعاً وهي انقلاب الشيء مع احتفاظه بماهيته الى عين ضده ، كأن ينقلب الجمال المطلق – مع احتفاظه بهذا الجمال – الى القبح الحقيقي ! فتحول جمال الربوبية الواضح والظاهر ظهوراً قطعياً الى ضده مع بقائه على ماهيته هو أشد محالاً واكثر عجباً في احكام العقل ٠

[الحقيقة التاسعة من رسالة الحشر]

باب إلى حقيقة الحشر

هل من الممكن لمن أحيا الارض الضخمة بعد موتها وجفافها واظهر قدرته ضمن هذا الاحياء ، بحشره لاكثر من ثلاثمائة الف نوع من أنواع المخلوقات ونشره لها مع ان بعث كل نوع وحشره عجيب كأعجوبة بعث البشر وحشره • والذي اظهر بمنتهى التمييز وغاية التمايز بين المخلوقات احاطة علمه ضمن ذلك الحشر والنشور وضمن ذلك الامتزاج والتشابك • والذي وجه أنظار جميع عباده الى السعادة الأبدية بما وعدهم الحشر في جميع أوامره السماوية • والذي أظهر عظمة ربوبيته بجعله جميع الموجودات متكاتفة متفقة فادارها ضمن دائرة أمره وارادته ، مسخراً أفرادها ، معاوناً بعضها بعضاً • والذي منح الاهمية القصوى للبشر بجعله أجمع ثمرة في شجرة الكائنات ، وألطفها وأشدها رقةً ودلالاً واكثرها مستجاباً للدعاء ، مسخراً له كل شيء ، متخذاً إياه مخاطباً • أفمن الممكن لمثل هذا القدير الرحيم وهل يمكن لمثل هذا العليم الحكيم الذي أعطى هذه الأهمية للانسان ان لا يأتي بالقيامة ؟ ولا يحدث الحشر أو يعجز عنه ! حاشا لله !! وان لا يبعث البشر أو يعجز عنه ؟ وهل يمكن ان لا يفتح أبواب المحكمة الكبرى فلا يخلق الجنة والنار ؟؟! ••• تعالى الله عن ذلك علواً كبير •

نعم ؛ ان المتصرف العظيم في هذا العالم جلَّ جلاله يحدث في هذه الارض المؤقتة الضيقة ، في كل عصر ، وفي كل سنة ، وفي كل يوم نماذج وأمثلة كثيرة واشارات عديدة للحشر الاكبر •

فنرى مثلاً انه يحشر في بضعة ايام في حشر الربيع ويبعث اكثر من ثلاثمائة ألف نوع من أنواع النباتات والحيوانات من صغير وكبير فيحيي جذور الاشجار والاعشاب ، ويعيد بعض الحيوانات بعينها كما يعيد أمثال

بعضها الآخر • ومع أن الفروق المادية بين البذيرات المتناهية في الصغر جزئية جداً ، فانها تبعث وتحيا بكل تميّز ، وتشخص في منتهى السرعة في ستة أيام أو ستة أسابيع وفي منتهى السهولة والوفرة وبانتظام كامل وميزان دقيق رغم اختلاطها وامتزاجها • فهل يمكن لمن يقوم بمثل هذه الاعمال ان يصعب عليه أمر ؛ أو يعجز عن خلق السموات والارض في ستة أيام ، أو لا يستطيع ان يحشر الارض بصيحة واحدة ؟ •• سبحان الله عما يصفون •

فيا ترى ان كان ثمة كاتب صاحب خوارق يكتب ثلاثمائة الف كتاب مسحت حروفها ومسخت ، يكتبها في صحيفة واحدة دون اختلاط ولا سهو ولا نقص وفي غاية الجمال ، ويكتبها جميعاً معاً خلال ساعة واحدة!! فان قال لك احدهم : ان هذا الكاتب سيكتب من حفظه في دقيقة واحدة كتابك الذي هو من تأليفه والذي وقع في الماء ، فهل يمكنك أن ترد عليه وتقول : لا يستطيع • لا أصدق ؟! •

أو أن سلطاناً ذا معجزات يرفع الجبال وينسفها ويغيّر المدن بكاملها ويحول البحر الى البر ، باشارة منه ، ليظهر قدرته ويجعلها آية للناس•• فينما ترى منه هذه الاعمال اذا بصخرة عظيمة تتدحرج الى واد وتسد الطريق على ضيوفه ، فان قال لك أحدهم : ان هذا السلطان سيرفع حتماً تلك الصخرة من على الطريق ويحطمها مهما كانت كبيرة ، حيث لا يمكن ان يترك ضيوفه في الطريق •• كم يكون جوابك هذياناً أو جنوناً اذا ما أجبته بقولك : لا ، لا يستطيع أن يرفع ، أو لن يرفع ؟!! ••

أو أن عظيماً يمكنه ان يجمع من جديد افراد جيشه الذي شكله بنفسه في يوم واحد • وقيل لك ان هذا سيجمع افراد تلك الفرق وستنضوي تحت لوائه أولئك الذين سرّحوا وتفرّقوا ، بنفخة من بوق ، فأجبته : لا ، لا أصدق ! عندها تفهم أن جوابك هذا كم يكون جواباً جنونياً ايّ جنون !!

فاذا كنت قد فهمت هذه الامثلة الثلاثة فتأمل في : البارىء المصور

الخلاق سبحانه وتعالى الذي يكتب امام انظارنا بأحسن صورة وأتمها بقلم القدرة والقدر اكثر من ثلاثمائة ألف نوع من الانواع على صحيفة الارض ، مبدلاً صحيفة الشتاء البيضاء الى الاوراق المتفتحة للربيع والصيف ، يكتبها متداخلة دون اختلاط ، يكتبها معاً دون مزاحمة ولا التباس ، رغم تباين بعضها مع البعض في التركيب والشكل • فلا يكتب خطأ مطلقاً • نعم ، أيمكن أن يُسأل الحفيظ الحكيم الذي أدرج خطة روح الشجرة الضخمة ومنهاجها في بذرة متناهية في الصغر ـ كأنها نقطة ـ محافظاً عليها : كيف سيحافظ على أرواح الاموات ؟•

أم هل يمكن أن يُسأل القدير ذو الجلال الذي يُجري الارض في دورتها بسرعة فائقة ، كيف سيرفعها من على طريق الاخرة ، وكيف سيدمّرها ؟؟

أم هل يمكن أن يُسأل ذو الجلال والاكرام الذي أوجد الذرات من العدم ونسقها بأمر « كن فيكون » في أجساد جنود الاحياء ، فأنشأ منها الجيوش الهائلة ، كيف سيجمع ـ بصيحة واحدة ـ تلك الذرات الاساس التي تعارفت فيما بينها ، وتلك الاجزاء الاساس التي انضوت تحت لواء فرقة الجسد ونظامه ؟؟

فها أنت ذا ترى بعينيك كم من نقوش ونماذج وأمثلة وامارات للحشر شبيهة بحشر الربيع ، قد أبدعها الباري سبحانه وتعالى في كل موسم ، وفي كل عصر ، حتى ان تبديل الليل والنهار ، وانشاء السحاب الثقال وافناءها من الجو نماذج للحشر وأمثلة وامارات عليه •

واذا تصورت نفسك قبل ألف سنة مثلاً ، وقابلت بين جناحي الزمان الماضي والمستقبل ، ترى أمثلة الحشر والقيامة ونماذجها بعدد العصور والايام •

فلو ذهبت الى استبعاد الحشر الجسماني ـ متوهماً أنه بعيد عن العقل ـ بعد ما شاهدت هذا العدد الهائل من الامثلة والنماذج فستفهم مدى ما ترتكبه من حماقة •

تأمل ماذا يقول الدستور الاعظم حول هذه الحقيقة : [فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى]«الروم/٥٠»

الخلاصة : ليس هناك شيء يحول دون حدوث الحشر ، بل كل شيء يقتضيه ويستدعيه .

نعم ! ان الذي يحيي هذه الارض الهائلة ـ وهي معرض العجائب ـ ويميتها كأدنى حيوان ، والذي جعلها مهداً مريحاً وسفينة جميلة للانسان والحيوان ... وجعل الشمس ضياء وموقداً لهذا المضيف ... وجعل الكواكب السيّارة والنجوم اللامعة مساكن طائرات للملائكة ...

ان ربوبية خالدة جليلة الى هذا الحد ، وحاكمية محيطة عظيمة الى هذه الدرجة ، لا تستقران ولا تنحصران في أمور الدنيا الفانية الزائلة الواهية السيالة التافهة المتغيرة . فهنالك إذاً دار اخرى باقية دائمة ، جليلة ، عظيمة مستقرة . فهو ـ سبحانه ـ يدعونا ويسوقنا الى السعي الدائب لأجل تلك الممالك والديار . يشهد على ذلك اصحاب الارواح النيرة وأقطاب القلوب المنورة وأرباب العقول النورانية جميعهم ، الذين نفذوا من الظاهر الى الحقيقة ، والذين نالوا شرف التقرب اليه سبحانه . ويخبرون ـ متفقين ـ انه سبحانه قد أعد ثواباً وجزاءاً ، ويروون أنه يعد وعداً قاطعاً ويوعد وعيداً جازماً ..

فاخلاف الوعد لا يمكن أن يدنو الى جلاله المقدّس ؛ لانه ذلّة وتذلل. وأما اخلاف الوعيد فهو ناشيء إما عن العفو أو العجز .. والحال أن الكفر جناية مطلقة(١) لا يستحق المغفرة . أما القدير المطلق فهو قدوس منزّه عن

---

(١) نعم ان الكفر اهانة وتحقير للكائنات جميعاً حيث يتهمها بالعبثية وانتفاء النفع . وهو تزييف تجاه اسماء الله الحسنى ، لأنه ينكر تجلي تلك الاسماء على الموجودات . وهو تكذيب للمخلوقات جميعاً حيث يردّ شهادة الموجودات على الوحدانية . لذا فانه يفسد قوى الانسان واستعداداته الى درجة يسلب منه القدرة على تقبل الخير والصلاح . فالكفر اذاً ظلم عظيم جداً اذ هو تجاوز لحقوق جميع المخلوقات ولجميع

العجز ، أما المخبرون والشهود فهم متفقون اتفاقاً كاملاً على اساس هذه المسألة رغم اختلاف مسالكهم ومناهجهم ومشاربهم • فهم من حيث الكثرة بلغوا درجة التواتر ، ومن حيث النوعية بلغوا قوة الاجماع ، ومن حيث المنزلة فهم نجوم البشرية وهداتها وأعزة القوم وعيون الطوائف • ومن حيث الاهمية فهم في هذه المسألة أهل اختصاص وأهل اثبات • ومن المعلوم ان حكم اثنين من أهل الاختصاص ـ في علم أو صنعة ـ يرجح على آلاف من المنكرين ، كما في اثبات رؤية هلال رمضان ؛ حيث يرجح شاهدان مثبتان بينما يضرب بكلام آلاف من المنكرين عرض الحائط •

والخلاصة : ليس في العالم خبر أصدق من هذا ، ولا قضية أصوب منها ، ولا حقيقة أظهر منها ولا أوضح • فلا شك اذن ان الدنيا مزرعة ، والمحشر بيدر ، والجنة والنار مخزنان •

الاسماء الحسنى ؛ لذا فحفاظاً على هذه الحقوق ، ولعدم تمكن نفس الكافر من قبول الخير ، اقتضى حرمانه من العفو • والآية الكريمة : (ان الشرك لظلم عظيم) تفيد هذا المعنى •

[القطعة الثالثة من ذيل رسالة الحشر]

امثلة مشهودة عن الحشر

سؤال يرد بمناسبة مبحث الحشر :

ان ما ورد في القرآن الكريم مراراً (ان كانت إلا صيحة واحدة) « يس/١٩ » (وما أمرُ السّاعة إلاّ كلمح البصر) « النحل/٧٧» يبين لنا ان الحشر الاعظم سيظهر فجأة الى الوجود ، في آن واحد بلا زمان ٠ ولكن العقول الضيقة تطلب أمثلة واقعية مشهودة كي تقبل وتذعن لهذا الحدث الخارق جداً والمسألة التي لا مثيل لها ٠؛

الجـــواب :

ان في الحشر ثلاث مسائل هي : عودة الارواح الى الاجساد ، واحياء الاجساد ، وانشاء الاجساد وبناؤها ٠

المسـألة الأولى :

مثـال مجيء الارواح وعودتهـا الى اجســادها هو : اجتماع الجنود المنتشرين في فترة الاستراحة والمتفرقين في شتى الجهات على الصوت المدوي للبوق العسـكري ٠

نعـم ، ان الصور الذي هو بوق اسرافيل عليه السلام ، كما أنه ليس قاصراً عن البوق العسكري ، فان الارواح التي هي في جهة الأبـد وعـالم الذرات والتي أجابت بـ « قالوا : بلى » عندما سمعت نداء « ألست بربكم » المقبل من اعماق الازل لاشك ان نظامها وطاعتها هذه تفوق أضعاف ما عند أفراد الجيش المنظم ٠ وقد اثبتت « الكلمة الثلاثون »(١) ببراهين دامغة انه ليست الارواح وحدها جيش سبحاني فحسب وانما جميـع الـذرات هي جنوده المتأهبون للنفير العام ٠

المسـألة الثـانية :

أما المثال لاحياء الاجساد فهو :

مثلما يمكن إناره مئات الآلاف من المصابيح الكهربائية ليلة مهرجان مدينة عظيمة من مركز واحد ، في لحظة واحدة ، كأنها بلا زمان . كذلك يمكن انارة مئات الملايين من المصابيح وبعثها على سطح الارض من مركز واحد . فما دامت الكهرباء وهي مخلوقة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى وخادمة إضاءة في دار ضيافته لها هذه الخصائص والقدرة على القيام بأعمالها حسب ما تتلقاه من تعليمات وتبليغات ونظام من خالقها ، فلابد أن الحشر الاعظم سيحدث كلمح البصر ضمن القوانين المنظمة الآلهية التي يمثلها آلاف الخدم المنوّرين ـ كالكهرباء ـ ..

المسألة الثالثة :

التي هي انشاء الاجساد فورا فمثالها هو :

انشاء جميع الاشجار والاوراق ـ التي يزيد عددها ألف مرة على مجموع البشرية ـ دفعة واحدة في غضون بضعة أيام في الربيع ، وبشكل كامل ، وبالهيئة نفسها التي كانت عليه في الربيع السابق ... وكذلك ايجاد جميع الازهار والثمار والاوراق للاشجار كافة ـ بسرعة كالبرق ـ كما كانت في الربيع الماضي وكذلك تنبه البذيرات والنوى والبذور التي لا تحصى ولا تعد ـ وهي منشأ ذلك الربيع ـ في آن واحد معاً وانكشافها واحياؤها .. وكذلك نشور الجثث المنتصبة والهياكل العظمية للاشجار ، وامتثالها فوراً لأمر « البعث بعد الموت » ... وكذلك احياء افراد انواع الحيوانات الدقيقة وطوائفها التي لا حصر لها بمنتهى الدقة والاتقان ... وكذلك حشر أمم الحشرات ولا سيما الذباب (الماثل امام عيني والذي يذكرنا بالوضوء والنظافة لقيامه بتنظيف أيديه وعيونه وجناحيه باستمرار وملاطفته وجوهنا) الذي يفوق عدد ما ينشر منه في سنة واحدة عدد بني آدم جميعهم من لدن آدم عليه السلام ، فحشر هذه الحشرة في كل ربيع مع سائر الحشرات الاخرى واحياؤها في بضعة أيام ، لابد انه لا يعطي مثالاً

واحداً بل آلاف الامثلة على انشاء الاجساد البشرية فوراً يوم القيامة ٠

نعم ؛ لما كانت الدنيا هي دار « الحكمة » والدار الآخرة هي دار « القدرة » فان ايجاد الاشياء في الدنيا صار بشيء من التدريج ومع الزمن ، وذلك بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب أغلب الاسماء الحسنى أمثال« الحكيم المرتب ، المدبر ، المربي » ٠ أما في الآخرة فان « القدرة » و « الرحمة » تتظاهران اكثر من « الحكمة » فلا حاجة الى المادة والمدة والزمن ولا الى الانتظار ٠ فالاشياء تنشأ هناك نشأة آنية ٠ وما يشير اليه القرآن الكريم بـ « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب » ، هو : ان ما ينشأ هنا من الاشياء في يوم واحد وفي سنة واحدة ينشأ في لمحة واحدة ـ كلمح البصر ـ في الآخرة ٠

واذا كنت ترغب ان تفهم ان مجيء الحشر أمر قطعي كقطعية مجيء الربيع المقبل وحتميته فانعم النظر في (الكلمة العاشرة) و (الكلمة التاسعة والعشرين) (٢) وان لم تصدق به كمجيء هذا الربيع ، فلك أن تحاسبني حساباً عسيراً ٠

المسألة الرابعة :

وهي موت البشر وقيام الساعة ، فمثاله : انه لو اصطدم كوكب سيار أو مذنب ـ بأمر رباني ـ بكرتنا الارضية التي هي دار ضيافتنا ، لدمّر مأوانا ومسكننا (أي الأرض) ، كما يُدمّر في دقيقة واحدة ـ قصر بُنيَ في عشر سنوات ٠

---

(١) وهي « الكلمة » التي تبحث في المقصد الثاني منها اللغز المحيّر في الذرات وتظهر بجلاء الحكمة الكامنة في حركاتها وتقيم الادلة القاطعة على ان تلك الذرات التي تملأ الوجود جيش عظيم منسق مسخر لاوامر الله سبحانه ٠/م

(٢) رسالة « الملائكة والروح والحشر » فيها من الادلة الدامغة والامثلة الواضحة بحيث يكون وجود الملائكة وبقاء الروح وحقيقة الحشر مسلّمات عقلية كما هي مسلّمات نقلية بالآيات الكريمة والاحاديث الشريفة ٠ نرجو الله ان نوفق في نشرها /م

[من المسألة الثامنة من رسالة الثمرة وهي الشعاع الحادي عشر]

مؤثرات الايمان بالآخرة

سنبين هنا بشكل موجز بضع نتائج فقط - من بين المئات منها - التي يحققها (الايمان بالآخرة) في اسعاد الحياة الدنيا ·

أولاهـا :- كما ان الانسان - خلافاً للحيوان - ذو علاقة مـع بيته ، فهو ايضاً ذو ارتباط وثيق مع الدنيا · ومثلما انـه مرتبط باقاربـه بروابط ووشائج ، فهو كذلك ذو نسب فطري بالجنس البشري ، وكما أنه يحب البقاء في الدنيا الفانية فهو يتوق الى بقائه في الـدار الباقية · وكما أنـه يسعى دائماً لتأمين حاجات معدتـه الى الغذاء فهو مضطر بفطرتـه - بل يسعى - لتأمين الأغذية لعقله وقلبه وروحه وانسانيته ، من الموائد الممتدة على سعة الدنيا ، بل الممتدة الى الأبد ، لما له من آمال ومطاليب لا يشبعها سـوى السـعادة الابديـة ·

نعم ، كنت قد حدّثت خيالي في عهـد صباي : أيّ الأمرين تفضل ؟ قضاء عمر سعيد مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك الى العدم ، أم وجوداً باقياً مع حياة اعتيادية ذات مشـقة ؟ فرأيته يرغب في الثانيـة ويتأفف من الاولى ، قائلاً : انني لا أريد العدم بل البقاء ·

فما دام جميع لذائذ الدنيا لا تشبع الخيال ، الذي هو احـد خـدام الماهية الانسانية ، فلابد ان حقيقة الماهية الانسانية الجامعة الشاملة جداً مرتبطة فطرة بالخلود والبقاء ·

فكم يكون الايمان بالآخرة اذاً كنزاً عظيماً لهذا الانسان الوثيق الصلة بهذه الرغبات والآمال التي لا تنتهي وهو لا يملك سوى جزء من الاختيار الجزئي ويتقلب في الفقر المطلق ؟ وكم يكون هذا الايمان محوراً للسـعادة المطلوبة واللذة المبتغاة ؟ وكم يكون مرجعاً ومدار استمداد وسلوة له تجاه

هموم الدنيا غير المحصورة ؟ فلو ضحى هذا الانسان بكل حياته الدنيا في سبيل الفوز بهذه الثمرات والفوائد لكانت اذن زهيدة !

الذروة الثانية للايمان بالآخرة ٠

نعم ان ما يقلق الانسان دوماً وينغّص حياته ، هو تفكيره الدائم في مصيره ، وكيفية دخوله القبر ، مثلما انتهى اليه مصير أحبته وأقاربه ، فتوهم الانسان المسكين – الذي يضحي بروحه لأجل صديق عزيز – وتصوره من ان آلافاً بل ملايين الملايين من اخوانه البشر ينتهون الى العدم بالموت – ذلك الفراق الابدي الذي لا لقاء وراءه – سيذيقه ألماً شديداً أشد من آلام جهنم ٠ ففي هذا الوقت الذي يتلوى هذا الانسان من ألم ذلك العذاب الأليم النابع من ذلك التفكير يأتي الايمان بالآخرة ، فاتحاً بصيرته ، ومزيلاً الغشاوة عن عينيه ، قائلاً له :– انظر ٠٠٠ فينظر حينها بنور الايمان ، فاذا به يكسب لذة روحية عميقة تنبىء بلذة الجنة ، بما يشاهد من نجاة أحبته وخلاصهم عن الموت النهائي والفناء والبلى والاندثار ومن بقائهم خالدين في عالم النور الابدي ينتظرونه ٠

الفائدة الثالثة التي تعود للحياة الشخصية :–

ان مقام الانسان الراقي وتفوقه على سائر الحيوانات وامتيازه عليها انما هي لسجاياه السامية ، ولاستعداداته الفطرية الجامعة ، ولعبوديته الكلية ، ولسعة دوائر وجوده ٠ لذا فالانسان المنحصر في الحاضر فقط المنسلخ من الماضي والمبتوت الصلة بالمستقبل – فهما معدومان ميتان مظلمان بالنسبة له – ٠٠ هذا الانسان يكسب سجايا المروءة والمحبة والاخوة والانسانية – وتتحدد عنده – على أساس حاضره ووفق مقاييسه وموازينه، فيولي المحبة لأبيه أو أخيه أو زوجته أو أمته ، ويقوم بخدمتهم ، وفق تلك المقاييس الضيقة للحاضر ، وكأنه لا يعرفهم سابقاً ولن يراهم مستقبلاً ، فلا يرقى أبداً الى مرتبة الصدق في الوفاء ، ولا الى مكانة الاخلاص في

الصداقة ، ولا الى درجة الـودّ المصفى من الشـوائب في المحبة ، ولا الى الاحترام المبرأ من الغرض في الخدمة ؛ لأن سعة تلك السجايـا والكمالات قد تضاءلت وصغرت بالنسبة نفسها ، وحينها يتردى الانسان الى درك أدنى الحيوانات عقلاً • ولكن ما ان يأتي الايمان بالآخرة عند هذا الانسان لينقذه ويمده ويغيثه ، حتى يحول ذلك الزمن الضيق ــ الشبيه بالقبر ــ الى زمان فسيح واسع جداً بحيث يستوعب الماضي والمستقبل معـاً ، فيريه وجـوداً واسعاً بسعة الدنيا ، بل بسعة تمتد من الازل الى الابد ، وعندئذٍ يقـوم هذا الانسان باحترام والده وتوقيره بمقتضى الابوة الممتدة الى دار السعادة وعالم الأرواح ويساعد اخاه ويعاونه ــ بذلك التفكير ــ بالاخوة الممتدة الى الابد ، ويحب زوجته ــ لمعرفته ــ أنها أجمل رفيقة حياة له حتى في الجنة ، ولا يجعل هذه الدائرة الحياتية الواسعة الفسيحة ــ وما فيها من علاقـات وخدمات مهمة ــ وسيلة لأمور تافهة دنيوية ولا لاغراضها الجزئية ومنافعها الزهيدة • لذا يظفر بالصداقة التامة ، والوفاء الخالص ، والاخلاص الأتم ، في علاقاته وخدماته ، فتبدأ كمالاته وخصاله بالسمو والـرقي بالنسـبة نفسها ، وتتعالى انسانيته ، ولكل حسب درجته •• فذلك الانسان الذي ما كان له ان يرقي الى مستوى عصفور في تذوقه الحياة ، اصبح الآن ــ بفضل الايمان بالآخرة ــ ضيفاً مرموقاً في الدنيا وكائنا سعيداً ، ومخلوقاً ممتازاً فيها يرقى فوق جميع الحيوانات ، بل يصبح احب مخلوق ، وأكرم عبـد ، عند صاحب الكون ومالكه •

الفائدة الرابعة التي تنظر الى الحياة الاجتماعية :ــ

وخلاصتها هي :ــ ان الاطفال الذين يمثلون ربع البشرية ، لا يمكنهم ان يعيشوا عيشة انسان سـوي ينطوي على نـوازع انسانية الا بالايمان بالآخرة • اذ لولا هذا الايمان لاضطروا ان يقضوا حياة ملؤها الاضطراب والهموم الأليمة • فلا يهنئون بألعابهم ولا يتسلون بلعبهم ، لان الموت الذي يصيب من حولهم من الاطفال يؤثر بالغ التأثير في نفس الطفل ، وفي شعوره

المرهف الرقيق ، وفي قلبه الذي سينطوي في المستقبل على آمال ورغبات كثيرة ، وفي روحه التي لا تستطيع الصمود فتصاب بالقلق والحيرة ، حتى تصبح حياته ، وعقله ، وسيلتي عذاب له ، فلا يجدى اللهو واللعب نفعاً قبل ان يجد لتساؤله وحيرته جواباً ٠٠ الا أن الارشاد الايماني بالآخرة يجعله يحاور نفسه هكذا :ـ

« إن صديقي ـ أو أخي ـ الذي توفي قد اصبح الآن طيراً من طيور الجنة ، فهو اكثر منا اذاً أنساً وانطلاقاً وتجوالاً ٠ وان والدتي ـ وان توفيت ـ الا أنها مضت الى الرحمة الآلهية الواسعة ، وستضمنى ايضاً الى صدرها الحنون في الجنة ، وأرى تلك الوالدة الشفيقة » ٠ وبهذا يمكنه ان يعيش هادئاً مطمئناً ٠

وهكذا الشيوخ الذين يمثلون ربع البشرية ، لا يرون السلوان حيال انطفاء حياتهم قريباً ، ودخولهم تحت التراب ، وقد أوصدت الدنيا الجميلة الحلوة ابوابها في وجوههم الا الايمان بالآخرة ٠ اذ لولا هذا الايمان لتجرع أولئك الآباء المحترمون الرحماء ، وتلك الامهات الفدائيات الشفيقات الويل تلو الويل ، ولباتوا في حالة نفسية تعسة جداً ، وفي قلق قلبي عنيف ، ولأصبحت الدنيا تضيق عليهم كالسجن ولغدت الحياة نفسها عذاباً مقيماً لا يطاق ٠ فالايمان بالآخرة يهتف بهم قائلاً :

لا تغتموا أيها الشيوخ ولا تبالوا كثيراً ، فان لكم شباباً خالداً وهو امامكم وسيأتي حتماً ٠ وان حياة ساطعة بهيجة ، وعمراً مديداً أبدياً في انتظاركم ، وستلتقون بأولادكم واقاربكم الذين فقدتموهم ، وجميع حسناتكم محفوظة وستأخذون ثوابها ٠٠ » ٠ وهكذا يمنح ـ الايمان بالآخرة ـ سلواناً وانشراحاً لهم بحيث لو حمل احدهم اثقال مئة شيخوخة لتحملها صابراً في انتظار ما سيعقبها من حياة اخروية سعيدة ٠

وكذا الشباب الذين يمثلون ثلث البشرية ، قد لا يصغون لصوت عقولهم الجريئة ٠ فرغباتهم وهواهم في ثورة وجيشان وهم مغلوبون على أمر

حواسهم ونوازعهم ، فاذا ما فقد هؤلاء الشباب الايمان بالآخرة ولم يتذكروا عذاب جهنم ، فان أموال الناس وأعراضهم وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ تصبح مهددة بالخطر اذ قد يدمر احدهم سعادة بيت آمن هنيىء لأجل لـذة طارئة في دقيقة واحدة ومن ثم يذوق وبال أمره عذاباً لسنين عديدة في مثل هـذه السجون ٠

ولكن اذا أمده الايمان بالآخرة واغاثه ، فسرعان ما يسترجع صوابه ويسترشد بعقله ، ويخاطب نفسه قائلاً :ـ « ٠٠ على الرغم ان جواسيس الحكومة وعيونها لا يمكنهم رؤيتي لـكوني في خفـاء عنهـم ، فان ملائكة السلطان الاعظم ذي الجلال الذي يملـك السجن الاكبر الدائمي ـ وهـو جهنم ـ يسجلون علي سيئاتي ٠٠ فأنا اذن لست طليقاً مفلوت الزمام ، بل أنا ضيف عابر ذو مهمة ٠٠ وسأكون ـ لا محالة ـ في يوم ما ضعيفاً وشيخاً ايضاً ٠٠٠ » فتترشح قطرات الرحمة والرأفة والشفقة ، عندئذٍ من اعماق قلبه ، ويشعر بالاحترام لأولئك الذين كان يريد أن يتعدى على حقوقهـم ظلمـاً ٠

وكذلـك المـرضى والمظلومون وامثالنـا مـن ذوي المصائب والفقراء والمساجين الذين حوكموا بعقوبات مشددة ، كل هؤلاء يمثلون الجزء الأهم من البشرية ، فان لم يعنهم الايمان بالآخرة وان لم يتسلوا به ، فان المـوت الذي يجدونه امامهم دائماً ، بما عندهم من مرض ، وأن الاهانة التي يرونها مـن الظلمة دون ان يتمكنوا من الاقتصاص منهـم ولا مـن انقـاذ شـرفهم وكرامتهم من بين مخالبهم ، وان اليأس الأليم النابع مما اصاب أموالهـم وأولادهم من الضياع في الكوارث ، وان الضيق الشديد الناشىء من آلام السجن وعذابه لسنوات عديدة نتيجة لـذة طارئة لا تسـتغرق دقائق أو ساعات ٠٠٠ كل ذلك يصيّر الدنيا ـ بلا ريب ـ سجناً لهؤلاء المنكوبين ، ويجعل الحياة نفسها عذاباً أليماً لهم ٠ ولكن ما ان يمدهم الايمان بالآخرة الا وينشـرحون فـوراً ، ويتنفسون الصعداء ، لما يزيل عنهم مـن الضيق

واليأس والقلق والاضطراب وحدة الغضب والانتقـام سـواء كان كلياً أو جزئياً كل حسب درجات ايمانه .

وكذلك فان بيت أي انسان كان ، هو دنيـاه الصغـيرة ، بل جنته المصغرة ، لئن لم يكن الايمان بالآخرة حاكماً ومهيمناً في سعادة هذا البيت، فان كل فرد من أفراد تلك العائلة يجد اضطراباً أليماً ، وعذاباً شديداً ، في علاقة بعضهم ببعض ، وحسب درجات رأفته ومحبته لهم ، تتحول تلك الجنة الى جحيم لا يطاق ، أو ان يخدر عقله باللهو والسفه المؤقت . مثلـه في هذا كمثل النعامة اذا رأت الصياد تخفي رأسها في الرمل كيلا يراهـا الصياد ، وهي عاجزة عن الطيران ، فهو كذلك يغمر رأسه في الغفلة ، لئلا يراه الموت والزوال والفراق ملغياً شعوره موقتاً ، ببلاهة ، كأنه وجد علاجاً لما يعانيه . فالوالدة مثلاً ـ التي تضحي بنفسها لاجل ولدها ـ كلما رأت ابنها يتعرض للخطر ارتعشت هلعـاً وخـوفاً عليه . والاولاد كذلك عندما لا يستطيعون انقاذ ابائهم أو اخوانهم من المصائب التي لا تنقطع ، يظلون في قلق دائم يحسون خوفاً مستمراً . فقياساً على هذا فان حياة تلك العائلة ، التي يظن انها حياة سعيدة ، تفقد سعادتها في هذه الدنيا ، المضطربة دوماً ؛ والتي لا قرار لها ولا سكون . حيث لا تعطي الرابطة بين الافراد ، ولا علاقة القربى فيما بينهم ، ضمن حياة قصيرة جداً ، حقها من الصداقة الحقيقة ، ولا من الوفاء الخالص ولا من الاخلاص الكامل ، والخدمة والمحبة الصافيين، بل تتصاغر الاخلاق وتنكمش بنسبة قصر الحيـاة نفسـها وربما تسقط وتنعـدم كليـاً .

ولكن ما ان يحل الايمان بالآخرة في ذلك البيت حتى ينـور ارجـاءه مباشرة ويستضيء ، لان علاقات القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لاتقاس ضمن زمن قصير جداً بل تقاس وفق علاقات تمتد الى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الابدية ، فيقوم ـ عندئذٍ ـ كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين ، ويوليهم محبة صافية ، ويظهر رأفة صادقة ، ويبدي صداقة

ـوفية ، صارفاً النظر عن التقصيرات • فتتعالى الاخلاق وتسمو ، وتبدأ السعادة الانسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت •

وهكذا فان كل مدينة هي بحد ذاتها بيت واسع لسكنتها • فان لم يكن الايمان بالآخرة مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة ، استولى عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والانانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع ، بدلاً من أسس الاخلاق الحميدة التي هي الأدب والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى الله والثواب الاخروي ، وكانت معاني الارهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والامن والانسانية التي يظهرونها ، وحينئذٍ تتسمم حياة تلك المدينة ، فيتصف الأطفال بالوقاحة والاهمال ، والشباب بالسكر والعربدة ، والاقوياء بالظلم، والشيوخ بالبكاء والأنين •

وقياساً على هذا فان البلاد بأكملها ما هي الا بيت واسع جداً • والوطن بيت عائلة الامة ، فاذا ما حكم الايمان بالآخرة هذه البيوت وسيطر ، فان الفضائل تتكشف وتنبسط وتتوضح فيها كالاحترام المتبادل والرحمة الجادة ، والمحبة الخالصة بلا عوض ، والمعاونة مع الخدمة الحقة بلا احتيال، والمعاشرة والاحسان بلا رياء ، والفضيلة والتوقير بلا استكبار ، وتشيع الفضائل الاخرى جميعاً ؛ حيث يهتف الايمان بأولئك الاطفال قائلاً لهم :

دعوا الوقاحة والاهمال فقدامكم جنة النعيم فلا تشغلوا انفسكم عنها بالألاعيب ، فيمكّن الاخلاق عندهم بارشاد القرآن الكريم • ويخاطب الشباب : « ان امامكم نار جهنم فانتهوا من السكر والعربدة » • ويجعلهم يثوبون الى رشدهم • ويخاطب الظالم :

« احذر فان عذاباً شديداً سيحل بك » فيردعه عن الظلم ويرضخه الى العدالة • ويخاطب الشيوخ :

« أبشروا فان امامكم شباباً خالداً ذا نضارة ، وفي انتظاركم سعادة اخروية دائمة باقية ، هي اسمى مما فقدتموه من أنواع السعادة واعلى

منها ، فهلموا واسعوا للفوز بها · فيحول بكاءهم الى بهجة وفرح ·
وقياساً على هذا ، فان الايمان بالآخرة يبين تأثيره الطيب ويرسل شعاع نوره الى كل طائفة جزئيها وكليها عامها وخاصها قليلها وكثيرها · فلترن أذان الاجتماعيين والاخلاقيين من المعنيين بشؤون الانسان !!

واذا ما قيس الذي ذكرناه آنفاً من فوائد الايمان بالآخرة على ما بقي من الفوائد · فسيفهم بوضوح وبشكل قاطع :

ان محور السعادة في الدارين وفي كلتا الحياتين انما هو الايمان وحده·

[من المسألة الثامنة من رسالة الثمرة وهي الشعاع الحادي عشر]

إعظم قضية للبشرية

ان بيان القرآن الكريم فيما يخص جهنم واضح جلي لا يدع مجالاً لأي ايضاح آخر ، الا أننا سنبين باختصار شديد ما يزيل بضع شبهات تافهة في نكتتين ، محيلين تفاصيلها الى رسائل النور :ـ

النكتة الاولى :

ان التفكير في « جهنم » والخوف منها لا يزيل لذائذ ثمرات الايمان ولا يفوّتها ، لأن الرحمة الربانية الواسعة تهتف بذلك الخائف : « تعال اليّ فدونك باب التوبة ادخل منه » . بل ان وجود جهنم ليس هو للتخويف فحسب ، وانما ليعرّفك لذائذ الجنة معرفة كاملة ، وليذيقك إياها تذوقاً كاملاً ، وليأخذ لك وللمخلوقات غير المحدودة الثأر والانتقام ممن انتهك حقوق الجميع واعتدى عليها ـ وليفرح الجميع بهذا ويدخل السرور اليهم جميعاً .

فيا غارقاً في الضلالة ـ وليس بمستطيع ان يخرج منها ـ ان وجود جهنم فيه شيء من الرحمة حتى للكفار أنفسهم ، لأن الانسان ـ وحتى
جهنم فيه شيء من الرحمة حتى للكفار أنفسهم ، لأن الانسان ـ وحتى
الحيوانات الولودة ـ يتلذذ بلذائذ اقاربه واولاده واحبابه ويسعد ـ من جهة ـ بسعادتهم . فيا ايها الملحد إما أن ترضى ـ من هذه الزاوية ـ وبناءً على ضلالتك ـ بالسقوط في هاوية العدم ـ بالاعدام الابدي ـ أو ان ترضى بالدخول في نار جهنم . لانه : لما كان العدم شرّاً محضاً ، فان الاعدام النهائي لاحبابك جميعاً ، ولمن تسعد بسعادتهم ، ولأقاربك ولأهلك ولنسلك ، سيحرق روحك ويعذب قلبك ويؤلم ماهيتك الانسانية اكثر من

عذاب جهنم بألف مرة ؛ لانه لو لم تكن جهنم لما كانت هنـاك جنة ايضاً ٠ فيسقط كل شيء اذن بكفرك الى العدم ٠ ولـكن اذا دخلت جهنـم وبقيت ضمن دائرة الوجود فان احبابك واقاربك اما إنهم سيسعدون في الجنة أو انهم يكونون ضمن دوائر وجود تحت رحمة الله سبحانه ـ من جهة ـ !٠٠ فلا مناص لك اذن الا ان تقبل بوجود جهنم ، اذ العداء لوجودها ـورفضه ـ يعني الانحياز الى العدم المحض ، الذي هو إبادة سعادة جميـع الأحبـة والأصدقاء غير المحدودين وافناؤهم ! ٠

نعم ان جهنم دار تؤدي مهمة السجن ـ بحكمة وعدالة ـ للحكيم ذي الجلال ، ضمن دائرة الوجود الذي هو الخير المحض ، ولها وظائف اخـرى عدة ، وخدمات جليلة ، وحكم شتى في عالم البقاء ٠ فهي مسكن ذو جلال وهيبة لكثير من ذوي الحياة أمثـال الزبانيـة ٠٠

النكتـة الثانيـة :

ان وجود جهنم وعذابها الشديد لا ينافي مطلقاً الرحمة غير المحدودة ، ولا العدالة الحقيقية ، ولا الحكمة الموزونة التي لا إسراف فيهـا ، بل ان الرحمة والعدالة والحكمة تتطلب وجود جهنم وتقتضيه ، لأن انزال العقاب بظالم هتك حرمات ألفٍ من الابرياء ، أو قتل حيوانٍ وحشي افترس مئة من الحيوانات ، انما هو رحمة بآلاف الاضعاف للمظلومين من خلال العدالة٠ وان إعفاء ذلك الظالم من العقاب ، أو التجاوز عنه ، وترك ذلـك الحيوان الوحشي طليقاً ، فيه عدم الرحمة لمئـات المساكين بمئـات الاضعـاف ٠

ومثل هذا ايضاً : الكافر المطلق ـ الذي هو ممن يدخل سجن جهنم فانه بكفره ينـكر حقوق الاسـماء الآلهية الحسنى ، أي يتعدى على تلـك الحقوق ، وبتكذيبه لشهادة الموجودات ـ الشـاهدة على تلك الاسـماء ـ يتعدى على حقوقها ايضاً ، وبانكاره للوظيفة السامية للمخلوقات ـ وهي تسبيحاتها تجاه تلـك الاسماء ـ يتجاوز على حقوقهـا ، وبتكذيبه لانواع العبادات التي تؤديها المخلوقات تجاه تظاهر الربوبية والالوهية التي هي

غاية الخلق وسبب من اسباب وجودها ، وبتكذيبه قيام تلك المخلوقات بمهمة المرايا لتجليات الاسماء الحسنى ، يتعدى تعدياً صارخاً على حقوق المخلوقات ؛ لذا فان الكفر جناية عظيمة وظلم شنيع يتجاوز بشناعته كل حدود العفو والمغفرة فيحق عليه اذن تهديد الآية الكريمة [إن الله لا يغفر أن يُشرك به ..] بل إن عدم إلقاء مثل هذا الشخص في جهنم انما هو أمر ينافي الرحمة في حق هذه الأعداد الهائلة من المخلوقات والكائنات التي انتهكت حقوقها .

وهكذا مثلما يطلب اصحاب الدعاوي ـ ممن لم ينصفوا في الدنيا ـ وجود جهنم ، فان عزة الجلال وعظمة الكمال تطلبانها قطعاً .

نعم ، اذا قال سفيه أو شقي عاصٍ لحاكم عزيز للبلاد :

« إنك لا تستطيع ان تقذفني في السجن ولن تقدر على ذلك ابداً » . متجاوزاً حدّه ومتعدياً على عزة ذلك الحاكم وعظمته ، فلابد أن ذلك الحاكم سينشيء سجناً لذلك السفيه المتعدي حتى لو لم يكن هناك سجن في البلاد

كذلك الأمر في الكافر المطلق ، فانه بكفره يتعدى بشدة على عزّة جلاله سبحانه ، وبانكاره يتحدى عظمة قدرته ، وبتجاوزه يتنكر لكمال ربوبيته ، فان لم يكن هناك حتى تلك الاسباب الموجبة وتلك المبررات الكثيرة والحكم العديدة والوظائف الكثيرة لجهنم ؛ فان خلق جهنم لمثل هؤلاء الكفار والقاءهم فيها هو من شأن تلك العزة وذلك الجلال .

وكذلك فان ماهية الكفر نفسها توحي بجهنم :

نعم ! أن ماهية الايمان اذا تجسمت يمكن ان تبني بلذائذها ونعيم جمالها جنة خاصة في وجدان الانسان وقلبه ، هي جنة مصغرة من جنة الخلد التي تنتظره في الآخرة ، وكذلك فان الكفر ـ ولاسيما الكفر المطلق ـ والنفاق والردّة لها من الآلام والأعذبة والظلمات المرعبة بحيث لو تجسمت وتأصلت في نفس صاحبها كونت له جهنمه الخاصة به التي تشير الى ما سيفضي اليه في آخرته من جهنم هي أشد هولاً وأشد عذاباً مما عاناه في

دنياه · ولما كانت الدنيا هذه مزرعة الآخرة ، فالحقائق الصغيرة التي فيها تثمر وتتسنبل في الآخرة ، فهذه البذرة السامة (الكفر) تشير من هذه الزاوية الى شجرة الزقوم تلك ، وتقول: « أنا اصل تلك الشجرة وجوهرها·· فمن يحملني في قلبه من المنكوبين فسأكون ثمرة خاصة له من تلك الشجرة الملعونة » ·

وما دام الكفر تعدياً على حقوق غير محدودة ، وتجاوزاً عليها ، فهو اذن جناية غير محدودة ، لذا يجعل صاحبه مستحقاً لعذاب غير محدود · فلئن كان القتل الذي يحدث في دقيقة واحدة يذيق القاتل خمس عشرة سنة من العذاب (ما يقارب ثمانية ملايين دقيقة) ويعتبر ذلك موافقاً للعدالة البشرية ، وعدّته موافقاً للمصلحة العامة وحقوقها ، فلا جرم أن دقيقة واحدة من الكفر المطلق – على اعتبار الكفر يقابل ألف قتل – تقابل اذن بعذاب يقرب من ثمانية مليارات من الدقائق ، وفق تلك العدالة الانسانية ، فالذي يقضي سنة كاملة من عمره في الكفر اذاً يستحق عذاب ترليونين وثمانمئة وثمانين ملياراً من الدقائق اي يكون اهلاً لـ « خالدين فيها أبداً »·

هذا وان الاسلوب المعجز للقرآن الكريم في بيانه الجنة ، والنار وما في رسائل النور التي هي فيض منه وتفسيره الحقيقي من حجج حول وجودهما، لم يتركا مجالاً لأي ايضاح آخر · فآيات كثيرة جداً أمثال : [ويتفكرون في خلق السموات والأرض · ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار] · [ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً · انها ساءت مستقراً ومقاماً] · واغلب ما كان يردده الرسول الاكرم عليه الصلاة والسلام في ادعيته في كل وقت ، والانبياء عليهم السلام واهل الحقيقة من مثل : (أجرنا من النار)···(نجّنا من النار)···(خلصنا من النار) · الذي حاز عندهم قطعية تامة بناء على الوحي المشهود ··· كل ذلك يبين لنا ان اعظم قضية للبشرية على الأرض انما هي النجاة من النار ، وان اعظم حقيقة وأدهشها من حقائق الكائنات ، بل اكثرها اهمية انما هي « جهنم »

التي يشهدها قسم من اولئك المحققين واهل الشهود والكشف ، ويرى آخرون ألسنه لهيبها وظلمة سوادها، ويسمع بعضهم أزيز تضرمها وفورانها فيصرخون من هولها « أجرنا من النار » ..

نعم ! ان تقابل الخير والشر في هذا الكون ، واللذة والألم ، والنور والظلام ، والحرارة والبرودة ، والجمال والقبح ، والهداية والضلالة ، وتداخل بعضها ببعض ، انما هي لحكمة كبرى . ذلك ؛ ما لم يكن هناك الشر فلا يفهم الخير ، وما لم يكن هناك الألم فلا تعرف اللذة ، والضياء من دون ظلام ازاءه لا يبين جماله . ودرجات الحرارة تتحقق بوجود البرودة . وتصبح حقيقة واحدة من الجمال ألفاً من الحقائق بوجود القبح ، بل يكتسب آلافاً من انواع الجمال ومراتب الحسن . ويختفي الكثير من لذائذ الجنة بعدم وجود جهنم . فقياساً على هذا يمكن ان يعرف كل شيء ـ من جهة ـ بضده ، وبوجود الضد يمكن ان تثمر حقيقة واحدة حقائق عدة .

فما دامت هذه الموجودات المختلطة تسيل سيلاً من دار الفناء الى دار البقاء . فلابد ان الخير واللذة والنور والجمال والايمان وامثالها تسيل الى الجنة ، ويتساقط الشر والألم والظلام والقبح والكفر وأمثالها من الامور المضرة الى جهنم . فتسيل سيول هذه الكائنات المتلاطمة دائماً الى ذينك الحوضين وتهدأ ساكنة عندهما في نهاية المطاف .

من رياحين العبادة

- شوقاً الى الصلاة .
- حكمة اوقات الصلاة .
- اياك نعبد
- حكمة الاعداد غير المتناهية في الاذكار .
- الدعاء مفتاح خزينة الرحمة .

شوقاً الى الصلاة

[ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً] « النساء/١٠٢ »

قال لي احدهم يوماً وهو يكبرني سناً وجسماً ورتبة :

ان اداء الصلاة حسن وجميل ، ولكن تكرارها كل يوم ، وفي خمسة اوقات كثير جداً فكثرتها هذه تجعلها مملّة ! ..

وبعد مرور فترة طويلة على هذا القول ، استمعت الى نفسي فاذا هي ايضاً تردد الكلام نفسه !! . فتأملت فيها ملياً ، واذا بها قد أخذت بطريق الكسل الدرس نفسه من الشيطان ، فعلمت عندئذٍ ان ذلك الرجل كأنه قد نطق بتلك الكلمات بلسان جميع النفوس الامّارة بالسوء ، أو اُنطق هكذا ... فقلت : ما دامت نفسي التي بين جنبيّ امارة بالسوء فلابد أن ابدأ بها أولاً لان « من عجز عن اصلاح نفسه فهو عن غيره اعجز » .. فخاطبتها :

يا نفسي ... اسمعيها مني « خمسة تنبيهات » مقابل ما تفوهت به ، وانتِ منغمسة في الجهل المركب ، سادرة في نوم الغفلة ، على فراش الكسل ..

« التنبيه الاول »

يا نفسي الشقية ..

ترى هل ان عمرك ابدي ؟؟ وهل عندكِ عهد قطعي بالبقاء الى السنة القادمة بل الى الغد ؟؟ فالذي جعلكِ تملّين وتسأمين من تكرار الصلاة هو توهمك الابدية والخلود ، فتظهرين الدلال والتغنج وكأنك مخلدة في هذه الدنيا للترف .

فان كنت تفهمين :

ان عمركِ قصير ، وانه يمضي هباءً دون فائدة ، فلا ريب أن صرف جزء من اربعة وعشرين منه في اداء خدمة جميلة ووظيفة مريحة لطيفة ، وهي رحمة ووسيلة لحياة سعيدة خالدة ، لا تكون مدعاة للملل والسأم ، بل وسيلة مثيرة لشوق جاد ، وذوق رائع رفيـع ٠

« التنبيـه الثاني »

يا نفسـي الشـرهة ٠٠

انكِ يومياً تأكلين الخبز ، وتشربين الماء ، وتتنفسين الهواء ، أمـا يورث هذا التكرار مللاً وضجراً ؟؟ ٠٠٠ لاشك لا ٠٠٠ لان تكرار الحاجة لا يجلب الملل بل يجدّد اللذة ، لهذا : فالصلاة التي تجلب الغذاء لقلبي ، وماء الحياة لروحي ، ونسيم الهواء للّطيفة الربانية الكامنة في جسمي ، لابد انها لا تجعلك تملّين ولا تسأمين ابـداً ٠

نعم ! ٠ ان القلب المتعرض لاحزانٍ وآلام لا حدّ لها ، المفتون بآمال ولذائذ لا نهاية لها ٠٠ لا يمكنه ان يكسب قوةً و لاغذاءً الاّ بطرق بـاب الرحيم الكريم ، القادر على كل شيء بكل تضرع وتوسل ٠

وان الروح المتعلقة مع اغلب الموجودات الآتية والراحلة سريعاً في هذه الدنيـا الفانية ، لا تشرب ماء الحياة الاّ بالتوجه بالصلاة الى ينبوع رحمة المعبود الباقي ، والمحبوب السرمدي ٠٠ وهو حسبها ٠

وان السر الانساني الشاعر الرقيق اللطيف ، وهو اللطيفة الربانية النورانية ، وهو المخلوق للخلود ، والمشتاق له فطرةً ، وهو المرآة العاكسة لتجليات الذات الجليلة ٠٠٠ لابد انه محتاج أشد الحاجة الى التنفس ، في زحمة وقساوة وضغوط هذه الاحوال الدنيوية الساحقة الخانقة العـابرة المظلمة ، وليس له ذلك الاّ بالاستنشاق من نافذة الصلاة ٠

« التنبيـه الثالث »

يا نفسي الجزعة ٠٠

انك تضطربين (اليوم) من تذكر عناء العبادات التي قمت بهـا في

(الأيام الماضية) ومن صعوبات الصلاة ، وزحمة المصائب السابقة ، ومن ثم تتفكرين في واجبات العبادات في (الايام المقبلة) وخدمات اداء الصلوات، وآلام المصائب ، فتظهرين الجزع ، وقلة الصبر وفروغه ، هل هذا أمرٌ يصدر ممَّن له مسكة من عقل ؟؟ ٠

ان مثلكِ في عدم الصبر هذا مثل ذلك القائد الاحمق الذي وجّه قوة عظيمة من جيشه الى الجناح الأيمن للعدو ، في الوقت الذي التحق ذلك الجناح من صفوف العدو الى صفه ، فاصبح له ظهيراً ٠ ووجّه قوته الباقية الى الجناح الايسر للعدو في الوقت الذي لم يكن هناك أحدٌ من الجنود ٠ ثم أعلن بدء المعركة ٠ فأدرك العدو نقطة ضعفه فسدد هجومه الى القلب ، فدمّره هو وجيشه تدميراً كاملاً ٠

نعم انك تشبهين هذا القائد الطائش ، لان :

صعوبات الايام الماضية وأتعابها قد ذهبت آلامهـا وظلت لذتهـا ، وانقلبت مشقتها ثواباً ، لذا فلا تولد مللاً بل : شـوقاً جديداً ، وذوقـاً ندّياً ، وسعياً جاداً دائماً للمضي والاقدام ٠

أما الايام المقبلة ، فلانها لم تأتِ بعد ، فان صرف التفكير فيها مـن الآن نوع من الحماقة والبله ؛ اذ يشبه ذلك : البكاء والصراخ من الآن ، لما قد يحتمل ان يكون من العطش والجوع في المستقبل ٠

فما دام الامر هكذا ، فان كان لك شيء من العقل ، ففكري من حيث العبادة بهذا اليوم ، وبهذا اليوم بالذات ٠ وقولي سـاصرف ساعة منه في واجب مهم لذيذ جميل ، وفي خدمة سامية رفيعة ذات اجر عظيم وكلفـة ضئيلة ٠٠٠ وعندها تشعرين : أن فتورك المؤلم قد تحوّل الى همة حلوة ، ونشاط لذيـذ ٠

فيا نفسي الفارغة من الصبر ٠٠
انك مكلفة بثلاثة انواع من الصبر

الأول : الصبر على الطاعة ·

الثاني : الصبر عن المعصية ·

الثالث : الصبر عند البلاء ·

فان كنت فطنة خذى الحقيقة الجلية في مثـال القائد في هـذا التنبيه عبرةً ودليلاً ، وقولي بكل همة ورجولة : يا صبور ثم خذي على عاتقك الانواع الثلاثة من الصبر ·

واستندي الى قوة الصبر المودعة فيـك وتجملى بهـا ، فانهـا تكفي للمشقات كلها ، وللمصائب جميعها ما لم تبعثريها خطأً الى امور جانبية ··

« التنبيـه الـرابع »

يا نفسي الطائشة ···

يا تُرى هل أن اداء هذه العبودية دون نتيجة وجدوى ؟!

وهل ان أجرتها قليلة ضئيلة حتى تجعلك تسأمين منها ؟ · مع ان احدنا يعمل الى المساء ويكدّ دون فتور ان اعطاه احـد شيئاً من المـال او شيئاً من الخوف ·

ان الصلاة التي : هي قوت لقلبك العاجز الفقير وسكينة له في هـذا المضيف الموقت وهو الدنيا ···

وهي غذاء وضياء لمنزلك الذي لابد انك صائرة اليه وهو القبر ···

وهي سند وبراءة في محكمتك التي لاشك انك تحشرين اليها ·

وهي التي ستكون نوراً وبراقاً على الصراط المستقيم الذي لابد انك سائرة عليـه ···

فصلاة هذه نتائجها ··· هل تكون بدون نتيجة وجدوى ؟ أو انهـا قليلة الاجرة ؟ ·

واذا وعدك أحدٌ بهدية مقدارها مائة ليرة ، فسوف يستخدمك مائـة يوم وانت تسعين وتعملين معتمدة على وعده دون ملل وفتور ، رغم انه قد يخلف الوعـد ·

فكيف بمن وعدك ، وهو لا يخلف الوعد مطلقاً ؟؟ فخلف الوعد عنده محـال ! وعدك اجرة وثمناً هي الجنة ، وهدية عظيمة هي السعادة الخالدة، لتؤدي له واجباً ووظيفة لطيفة مريحة وفي فترة قصيرة جداً ٠

الا تفكرين ان لم تقومي بتلك الوظيفة والخدمة الضئيلة ، او قمت بها بدون رغبة أو بشكل متقطع ، فانك اذاً تستخفين بهديته ، وتتهمينه بوعده ! ، الا تستحقين تأديباً شديداً وتعذيباً اليماً ؟؟ ٠

الا يثير همتك ، لتؤدي تلك الوظيفة التي هي في غاية اليسر واللطف، خوف السجن الابدى وهو جهنم ، علماً انك تقومين باعمال مرهقة وصعبة وبدون فتور خوفا من سجن الدنيا ، واين هذا من سجن جهنم الابدى ؟!

« التنبيـه الخامس »

يا نفسي المغرمة بالدنيا ٠٠٠

هـل ان فتورك في العبـادة وتقصيرك في الصلاة ناشـئان مـن كثرة مشاغلك الدنيوية ؟ أم انك لا تجدين الفرصة لغلبة هموم العيش ؟!

فيا عجباً هل انتِ مخلوقة للدنيا فحسب حتى تبذلي كل وقتك لها؟؟٠

تأملي !! انك لا تبلغين اصغر عصفور من حيث القـدرة على تدارك لوازم الحياة الدنيوية رغم انك ارقى من جميع الحيوانات فطرةً ٠

لِمَ لا تفهمين من هذا ان وظيفتك الاصليـة ليست هي الانهمـاك بالحياة الدنيا والاهتمام بها كالحيوانات، وانما السعي والدأب لحياة حقيقية خالدة كالانسان الحقيقي ٠

مع هذا فان اغلب ما تذكرينه من المشاغل الدنيوية ، هي مشـاغل ما لا يعنيك من الامور ، وهي التي تتدخلين فيها بفضول ، فتهدرين وقتك الثمين جداً بما لا قيمة له ولا ضرورة ولا فائدة منه ٠٠٠ كأن تعلمي عـدد الدجاج في امريكا أو نوع الحلقات حول زحل ٠٠ وكأنك تكسبين شيئاً من الفلك والاحصاء !! ، فتدعين الضروري والأهـم الالزم من الامـور كأنك ستعمرين آلاف السنين ؟ ٠

فان قلت : ان الذي يصرفني ويفترني عن الصلاة والعبادة ليس مثل هذه الامور التافهة ، وانما هي امور ضرورية لمطالب العيش ٠

اذن فاسمعي مني هذا المثل :

ان كانت الاجرة اليومية لشخص مائة فلس وقال له أحد : تعال واحفر لعشر دقائق هذا المكان فانك ستجد حجراً كريماً كالزمرد قيمته (١٠٠) دينار ، كم يكون عذراً تافهاً ـ بل جنوناً ـ ان رفض ذلك بقوله : لا ٠٠ لا أعمل ٠٠ لأن اجرتي اليومية ستنقص ! ٠٠

وكذلك حالك ، فان تركت الصلاة المفروضة ، فان جميع ثمار سعيك وعملك في هذا البستان ستنحصر في نفقةٍ دنيوية تافهة دون ان تجنى فائدتها وبركتها ٠

ولكن ان صرفت وقت راحتك بين فترات العمل في اداء الصلاة ، التي هي وسيلة لراحة الروح ، ولتنفس القلب ، يضاف عندئذٍ الى نفقتك الآخروية وزاد آخرتك ـ مع نفقتك الدنيوية المباركة ـ ما تجدينه من منبع عظيم لكنزين معنويين دائمين وهما :

الكنز الأول :

ستأخذ(١) حظك ونصيبك من « تسبيحات » كل ما هيأته ـ بنية خالصة ـ من ازهار وثمار ونباتات في بستانك ٠

الكنز الثاني :

ان كل من يأكل من محاصيل بستانك ـ سواء أكان حيواناً أم انساناً أو شارياً أو سارقاً ـ يكون بحكم « صدقة جارية » لك ، فيما اذا نظرت الى نفسك كأنك وكيل وموظف لتوزيع ماله سبحانه وتعالى على مخلوقاته٠

---

(١) المخاطب هنا هو السائل الذي كان يعمل في بستان في (بارلا) وهي قرية نائية على جبال طوروس ٠ ظل فيها الاستاذ النورسي ثماني سنوات ونصف السنة تحت الاقامة الجبرية ٠

اي تتصر فباسم الرزاق الحقيقي وضمن مرضاته ·

والآن تأمل في الذي ترك الصلاة ، كم هو خاسر خسراناً عظيماً ؟ · وكم هو فاقد من تلك الثروة الهائلة ؟ · وكيف انه سيبقى محروماً ومفلساً من ذينك الكنزين الدائمين اللذين يمدان الانسان بالقوة المعنوية العظيمة للعمل ويشوقانه للسعي والنشاط ؟ ·· حتى اذا بلغ ارذل عمره ، فانه لاشك سوف يملّ ويضجر مخاطباً نفسه : وماذا عليّ ؟! لِمَ أتعب نفسي؟ لأجل مَن أعمل ؟ · فانني راحل من هذه الدنيا غداً !·· فيلقي نفسه في احضان الكسل ··

بينما الرجل الأول يقول :

سأسعى سعياً حثيثاً في العمل الحلال بجانب عبادتي المتزايدة كيما أرسل الى قبري ضياءاً أكثر وادّخر لآخرتي ذخيرة أزيد ·

والخلاصة :

اعلمي ايتها النفس ··· ان الامس قد فاتكِ · أما الغد فلم يأت بعد ، وليس لديك عهد أنك ستملكينه ، لهذا فاحسبي عمرك الحقيقي هو هذا اليوم ·

وأقل التقليل ان تلقي ساعة منه في صندوق الادّخار الآخروي ، وهو المسجد أو السجادة ، لتضمني المستقبل الحقيقي الخالد ·

واعلمي كذلك أن كل يوم جديد هو باب ينفتح لعالم جديد ــ لك ولغيرك ــ ، فان لم تؤد فيه الصلاة فان عالم ذلك اليوم يرحل الى عالم الغيب مظلماً شاكياً محزوناً ، وسيشهد عليك ··

وان لكلٍ منا عالمه الخاص من ذلك العالم ، وان نوعيته تتبع عملنا وقلبنا ، مثله في ذلك مثل المرآة ، تظهر فيها الصورة تبعاً للونها ونوعيتها، فان كانت مسودة فستظهر الصورة مسودة ·· وان كانت صقيلة فستظهر الصورة واضحة ، وإلا فستظهر مشوهة ، وتضخم أتفه شيء واصغره ··

كذلك أنت ، فبقلبك وبعقلك وبعملك يمكنك ان تغـيري صور عالمـك ، وباختيارك وطوع ارادتك يمكنك ان تجعلي ذلك العالم يشهد لك أو عليك .

وهكذا ان اديت الصلاة وتوجهت بصلاتك الى خالق ذلك العالم ذي الجلال ، فسيتنور ذلك العالم المتوجه اليك حالاً ، وكأنك قد فتحت بنيـة الصلاة مفتاح النور فاضاءه مصباح صلاتك ، وبدّد الظلمات فيـه ... وعندها تتحول وتتبدل جميع الاضطرابات والأحزان التي حولك في الدنيا فتراها نظاماً حكيماً ، وكتابة ذات معنى بقـلم القـدرة الربانية ، فينساب نورٌ من انوار [الله نور السموات والارض] الى قلبك ، فيتنور عالم يومك ذاك ، وسيشهد بنورانيته لك عند الله ...

وحذار ان تقول : أين صلاتي من حقيقة تلك الصلاة ؟ . اذ كما تحمل نواة التمر في طياتها صفات النخلة الباسـقة ـ الفرق فقط في التفاصيل والاجمال ـ كذلك صلاة العوام ـ ممن هم امثالي وامثالك ـ فيها حظٌ من ذلك النور وسرٌ من اسرار تلك الحقيقة ، كما هي في صلاة وليٍّ من أولياء الله الصالحين ولو لم يتعلق بذلك شـعوره . أمـا تنورهـا فهي بدرجات متفاوتة ، كتفاوت المراتب الكثيرة التي بين نواة التمر الى النخلة . ورغم أن الصلاة فيها مراتب أكثر إلاّ أن جميع تلك المراتب فيها اساس من تلـك الحقيقة النورانية .

اللهم صل وسلم على من قـال [الصلاة عماد الديـن] وعلى آلـه وصحبـه أجمعـين .

[الكلمة التاسعة]

حكمة أوقات الصلاة

[بسم الله الرحمن الرحيم : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون • وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون] • (سورة الروم/١٨)

ايها الأخ : تسألني عن حكمة تخصيص الصلاة في هذه الاوقات الخمسة المعينة ، فنحن سنشير الى حكمة واحدة فقط من بين حِكمها الكثيرة العديدة •

نعم ، ان وقت كل صلاة ، كما انه بداية انقلاب زمني عظيم ومهم ، فهو كذلك مرآة لتصرف الهي عظيم ، تعكس الآلاء الالهية الكلية – كالمرآة – في ذات الوقت ، لهذا فقد اُمر – في تلك الاوقات – بالصلاة ، اي : الزيادة من التسبيح والتعظيم للقدير ذى الجلال ، والاكثار من الحمد والشكر لنعمه التي لا تحصى والتي تجمعت بين الوقتين • ولأجل فهم بعض من هذا المعنى العميق الدقيق ، ينبغي الاصغاء – مع نفسي – الى خمس نكات •

النكتة الاولى :

ان معنى الصلاة هو : التسبيح والتعظيم والشكر لله تعالى • اي تقديسه جل وعلا تجاه جلاله قولاً وفعلاً بقول : « سبحان الله » • وتعظيمه تجاه كماله لفظاً وعملاً بقول : « الله اكبر » • وشكره تجاه جماله قلباً ولساناً وجسماً بقول : « الحمد لله » • اي أن التسبيح والتكبير والحمد انما هو بمثابة نوى الصلاة وبذورها ، لذا وجدت هذه الثلاثة في جميع حركات الصلاة واذكارها • ولهذا – ايضاً – تكرّر هذه الكلمات الطيبة الثلاث ثلاثاً وثلاثين مرة عقب الصلاة ، وذلك للتأكيد على معنى الصلاة وترسيخه ؛ اذ بهذه الكلمات الموجزة المجملة يؤكّد معنى الصلاة ومغزاها •

النكتـة الثانيـة :

ان معنى العبادة هو : سجود العبد بمحبة خالصة ، وبتقدير واعجاب في الحضرة الالهية وامام كمال الربوبية والقدرة الصمدانية والرحمة الالهية مشاهداً ـ في نفسه ـ تقصيره وعجزه وفقره ٠

نعم ، كما ان سلطنة الربوبية تتطلب العبودية والطاعة ، فان قدسيتها ونزاهتها هي الاخرى تتطلب أن يعلن العبد ـ مع استغفاره برؤية تقصيره ـ بأن ربّه منزّه من اي نقص ، وانه متعال على جميـع الافكار الباطلة لأهل الضلالة ، وانه مقدّس من جميع تقصيرات الكائنات ونقائصها ٠ اي يعلن ذلك كله بتسبيحه بقوله « سبحان الله » ٠

ثم ان كمال القدرة للربوبية تطلب من العبد كذلك ان يلتجيء اليه ، ويتوكل عليه ـ لرؤيته ضعف نفسه الشديد وعجز المخلوقات ـ قائلاً : « الله اكبر » باعجاب وتقدير واستحسان تجاه عظمة آثار القدرة الصمدانية ماضياً الى الركوع بكل خضوع وخشوع ٠

ثم ان خزينة الرحمة غير النهائية للربوبية تطلب ايضاً ان يُظهر العبد حاجاته الخاصة وحاجات جميع المخلوقات وفقرها بلسان السؤال والدعاء ، وان يعلن احسان ربه وآلاءه العميمة بالشكر والثناء والحمد بقوله : « الحمد لله » ٠ أي أن افعال واقوال الصلاة تتضمن هذه المعاني ؛ ولأجل هذه المعاني فرضت الصلاة من لدن سبحانه وتعالى ٠

النكتـة الثالثـة :

كما أن الانسان هو مثال مصغر لهذا العالم الـكبير ، وان سـورة الفاتحة مثال منوّر للقرآن العظيم ، فالصلاة كذلك فهرس نوراني شـامل لجميع العبادات ، وخريطة سامية تشير الى أنماط العبـادات للمخلوقات جميعـاً ٠

النكتـة الرابعـة :

ان عقارب الساعة التي تعد الثواني والدقائق والساعات والايـام ،

كل منها يناظر الآخر ، ويمثل الآخر ، ويأخذ كل منها حكم الآخر ٠

كذلك في عالم الدنيا الذى هو ساعة إلهية كبرى ، فان دوران الليل والنهار الذى هو بحكم الثواني للساعة ، والسنوات التي تعدّ الدقائق ، وطبقات عمر الانسان التي تعد الساعات ، وأدوار عمر العالم التى تعد الأيام ، كل منها يناظر الآخر ، ويتشابه معه ، ويماثله ، ويذكّر كل منها الآخر ، ويأخذ حكمه ٠ فمثلاً :

وقت الفجر الى طلوع الشمس : فانه يشبه ويذكّر ببداية الربيع وأوله ، وبأوان سقوط الانسان في رحم الأم ، وباليوم الأول من الايام الستة في خلق السموات والارض ، فينبّه الانسان الى ما في تلك الاوقات من الشؤون الالهية العظيمة ٠

اما وقت الظهر : فهو يشبه ويشير الى منتصف الصيف ، والى عنفوان الشباب ، والى فترة خلق الانسان في عمر الدنيا ، ويذكّر ما في ذلك من تجليات الرحمة ، وفيوضات النعمة ٠

اما وقت العصر : فهو يشبه موسم الخريف ، وزمن الشيخوخة ، وعصر السعادة الذى هو عصر خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام ، ويذكّر ما في ذلك من الشؤون الالهية والآلاء الرحمانية ٠

اما وقت المغرب : فانه يذكّر بغروب أغلب المخلوقات وأفولها نهاية الخريف ، ويذكّر أيضاً بوفاة الانسان ، وبدمار الدنيا عند قيام الساعة ، ومع ذلك فهو يعلّم التجليات الجلالية ، ويوقظ الانسان من نوم الغفلة وينبهه ٠

اما وقت العشاء : فيذكر بغشيان عالم الظلام وستره لآثار عالم النهار بكفنه الاسود ، ويذكّر ايضاً بتغطية الكفن الابيض للشتاء وجه الارض الميتة ، وبوفاة حتى آثار الانسان المتوفى ودخولها تحت ستار النسيان ، وبانسداد ابواب دار الامتحان الدنيوية نهائياً ، ويعلن التصرفات الجلالية للقهّار ذى الجلال ٠

اما وقت الليل : فانه يذكّر بالشتاء ، وبالقبر ، وبعالم البرزخ ، فضلاً عن انه يذكّر روح الانسان بمدى حاجتها الى رحمة الرحمن ·

اما التهجد في الليل : فانه يعلّم مدى ضرورته ضياءً لليل القبر ، ولظلمات عالم البرزخ، وينبّه ويذكّر بالنعم غير النهائية للمنعم الحقيقي عبر هذه الانقلابات ، ويعلن ايضاً مدى أهلية المنعم الحقيقي للحمد والثناء ·

اما الصباح الثاني : فانه يذكّر بصباح الحشر · نعم ، كما ان مجيء الصبح لهذا الليل ، ومجيء الربيع لهذا الشتاء معقول وضروري وحتمي ، فان مجيء صباح الحشر وربيع البرزخ هما بالقطعية والثبوت نفسها ·

فكل وقت ـ اذن ـ من هذه الاوقات الخمسة هو بداية لانقلاب عظيم، وهو يذكّر بانقلابات عظيمة ، ويذكّر بمعجزات القدرة كذلك وبهدايا الرحمة ، سواء منها السنوية أو العصرية أو الدهرية ، وذلك بما تشير اليه التصرفات اليومية العظيمة للقدرة الصمدانية ·

اي أن الصلاة المفروضة ـ التي هي وظيفة الفطرة وأساس العبودية والدّين المفروض ـ لائقة جداً ومناسبة جداً في ان تكون في هذه الاوقات حقاً ·

النكتة الخامسة :

ان الانسان ـ بفطرته ـ ضعيف جداً ، ومع ذلك فما اكثر المنغصات التي تورثه الحزن والالم ، وهو في الوقت نفسه عاجز جداً ، مع ان اعداءه ومصائبه كثيرة جداً ، وهو فقير جداً مع ان حاجاته كثيرة وشديدة ، وهو كسول وبلا اقتدار مع ان تكاليف الحياة ثقيلة عليه ، فانسانيته جعلته يرتبط بالكون جميعاً مع ان فراق ما يحبه وزوال ما يستأنس به يؤلمانه ، وان عقله يريه مقاصد سامية ، وثماراً باقية مع ان يده قصيرة ، وعمره قصير ، وقدرته محدودة ، وصبره محدود ·

لذا فان روح الانسان في هذه الحالة (في وقت الفجر) ، ما اشد ما تكون الضرورة لها أن تطرق ـ بالدعاء والصلاة ـ باب القدير ذي الجلال،

وباب الرحيم ذي الجمال ، عارضةً حالها أمامه ، طالبة التوفيق والعون منه ـ سبحانه ـ وما اشد افتقار تلك الروح الى نقطة استناد كي تتحمل ما سيأتي أمامها من اعمال ، وما ستحمل على كاهلها من وظائف في عالم النهار الذى يعقبه ··· ألا يفهم ذلك بداهةً ؟

(وعند وقت الظهر) : ذلك الوقت الذي هو ذروة كمال النهار وميلانه الى الزوال ، وهو أوان تكامل الاعمال اليومية ، وفترة استراحة موقتة من عناء المشاغل ، وهو وقت حاجة الروح الى التنفس والاسترواح مما تعطيه هذه الدنيا الفانية والاشغال المرهقة الموقتة من غفلة وحيرة واضطراب فضلاً عن انه أوان تظاهر الآلاء الالهية ·

فخلاص روح الانسان من تلك المضايقات ، وانسلالها من تلك الغفلة والحيرة وخروجها من تلك الامور التافهة الزائلة ، لا يكون الاّ بالالتجاء الى باب القيوم الباقي وهو المنعم الحقيقي ، بالتضرع والتوسل امامه مكتوف اليدين شاكراً حامداً لمحصلة نعمه المتجمعة ، مستعيناً به وحده ، مع اظهار العجز امام جلاله وعظمته بالركوع ، واعلان الذل والخضوع ـ باعجاب وتعظيم وهيام ـ بالسجود امام كماله الذى لا يزول ، وأمام جماله الذى لا يحول ، وهذا هو اداء صلاة الظهر ، فما اجملها ، وما ألذها ، وما أجدرها، وما اعظم ضرورتها ·· ومن ثم فلا يحسبن الانسان نفسه انساناً إن كان لا يفهم هذا ·

(وعند وقت العصر) : الذى يذكّر بالموسم الحزين للخريف ، وبالحالة المحزنة للشيخوخة ، وبالايام الأليمة لآخر الزمان ، وبوقت ظهور نتائج الاعمال اليومية · فهو فترة حصول المجموع الكلى الهائل للنعم الالهية ، أمثال التمتع بالصحة والتنعم بالعافية ، والقيام بخدمات طيبة ؛ وهو كذلك وقت الاعلان بان الانسان ضيف مأمور ، وبان كل شيء يزول وهو بلا ثبات ولا قرار ، وذلك بما يشير اليه انحناء الشمس الضخمة الى الافول · ـ

نعم ان روح الانسان التي تنشد الابدية والخلود ، وهي التي خلقت للبقاء والابد ، وتعشق الاحسان وتتألم من الفراق ، ان هذا الانسان يقوم ـ وقت العصر يتوضأ ـ لاداء صلاة العصر ليناجي متضرعاً امام باب الحضرة الصمدانية للقديم الباقي وللقيوم السرمدي ، وليلتجىء الى فضل رحمته الواسعة ، وليقدم الشكر والحمد على نعمه التي لا تحصى ، فيركع بكل ذل وخضوع أمام عزة ربوبيته سبحانه ويهوي الى السجود بكل تواضع وفناء امام سرمدية الوهيته ، ويجد السلوان الحقيقي والراحة التامة لروحه بوقوفه ـ بعبودية تامة وباستعداد كامل ـ امام عظمة كبريائه جل وعلا • فما اسماها من وظيفة تأدية صلاة العصر بهذا المعنى ! وما أليقها من خدمة !، بل ما احقه من وقت لقضاء دين الفطرة ، وما اعظمه من فوز للسعادة في منتهى اللذة • فمن كان انساناً حقاً فسيفهم هذا •

(وعند وقت المغرب) الذي يذكّر بوقت غروب المخلوقات اللطيفة الجميلة لعالم الصيف والخريف في خزينة الودائع منذ ابتداء الشتاء ، ويذكّر بوقت دخول الانسان القبر عند وفاته وفراقه الأليم لجميع محبوباته ، وبوفاة الدنيا كلها بزلزلة سكراتها وانتقال ساكنيها جميعاً الى عوالم اخرى ، ويذكر كذلك باطفاء مصباح دار الامتحان هذه ، فهو وقت ايقاظ وانذار لاولئك الذين يعشقون ـ لحد العبادة ـ المحبوبات التي تغرب وراء افق الزوال • لذا فان الانسان الذى يملك روحاً صافية كالمرآة المجلوة تشتاق ـفطرةـ الى تجليات الجمال الباقي • ولأجل اداء صلاة المغرب في مثل هذا الوقت يولّي وجهه الى عرش عظمة مَن هو قديم لم يزل ، ومَن هو باقٍ لا يزال ، ومَن هو يقوم باعمال عظيمة ويدير هذه العوالم الجسيمة ويبدلها ، فيدوى بصوته قائلاً : « الله اكبر » فوق رؤوس هذه المخلوقات الفانية ، مطلقاً يده منها ، منتصباً مكتوفاً في خدمة مولاه الحق ، قائماً عند مَن هو دائم باق جل وعلا ليقول : « الحمد لله » أمام كماله الذي لا نقص فيه ، وامام جماله الذي لا مثيل له ، مثنياً امام رحمته الواسعة ليقول

« اياك نعبد واياك نستعين » . ليعرض عبوديته واستعانته تجاه ربوبيته التي لا معين لها وتجاه الوهيته التي لا شريك لها ، وتجاه سلطنته التي لا وزير لها . فيركع اظهاراً لعجزه وضعفه وفقره مع الكائنات جميعاً امام كبريائه التي لا منتهى لها ، وامام قدرته التي لا حدّ لها وامام عزته التي لا عجز فيها مسبحاً ربه العظيم قائلاً « سبحان ربي العظيم » ثم يهوي الى السجود امام جمال ذاته الذى لا زوال له ، وامام صفاته المقدسة التي لا تتغير ، وامام كمال سرمديته الذى لا يتبدل ، معلنا بذلك حبّه وعبوديته في اعجاب وإفناء وذل ، تاركا ما سواه سبحانه قائلاً « سبحان ربي الاعلى » واجدا جميلاً باقياً ورحيماً سرمدياً بدلاً عن كل فان . فيقدس ربه الاعلى المنزّه عن الزوال والمبرّأ عن التقصير ويجلس للتشهد ، فيقدم التحيات والصلوات الطيبات لجميع المخلوقات هدية باسمه الى ذلك الجميل الذى لم يزل والى ذلك الجليل الذى لا يزال ، مجدداً بيعته مع رسوله الاكرم بالسلام عليه مظهراً بها طاعته لأوامره ، فيرى الانتظام الحكيم لقصر الكائنات هذا ، ويشهده على وحدانية الصانع ذي الجلال ، فيجدد ايمانه وينوره ، ثم يشهد على دلال الربوبية ومبلغ مرضياتها وترجمان آيات كتاب الكون الكبير ألا وهو محمد العربي صلى الله عليه وسلم . فما ألطف وما أنزه أداء صلاة المغرب – بهذا المضمون – من وظيفة ، وما اعزّها واحلاها من وظيفة، وما اجملها وألذها من عبودية ، وما اعظمها من حقيقة اصيلة . وهكذا نرى كيف انها صحبة كريمة وجلسة مباركة وسعادة خالدة في مثل هذه الضيافة الفانية .. أفيحسب من لم يفهم هذا نفسه انساناً .

(وعند وقت العشاء) ذلك الوقت الذى تغيب – في الافق – حتى تلك البقية الباقية من آثار النهار ، ويخيم الليل فيه على العالم ، فيذكّر بالتصرفات الربانية لـ (مقلب الليل والنهار) وهو القدير ذو الجلال في تقليبه تلك الصحيفة البيضاء الى هذه الصحيفة السوداء ، ويذكّر كذلك بالاجراءات الالهية لـ (مسخر الشمس والقمر) وهو الحكيم ذو الكمال في

تقليبه الصحيفة الخضـراء المزينـة للصيف الى الصحيفة البيضاء الباردة للشتاء ، ويذكّر كذلك بالشؤون الالهية لـ (خالق الموت والحياة) وبانقطاع الآثار الباقية ـ بمرور الزمن ـ لأهل القبور من هذه الدنيا وانتقالها كليا الى عالم آخر ٠ فهو وقت يذكّر بالتصرفات الجلالية ، وبالتجليات الجمالية لخالق الارض والسموات ، وبانكشاف عالم الآخرة الواسع الفسيح الخالد العظيم ، وبموت الدنيـا الضيقة الفانيـة الحقيرة ، ودمارهـا دماراً تامـاً بسكراتهـا الهائلـة ٠ وهو فترة ـ أو حالـة ـ تثبت ان المالك الحقيقي لهذا الكون بل المعبود الحقيقي والمحبوب الحقيقي فيه لا يمكن ان يكون الا من يستطيع ان يقلّب الليل والنهار والشتاء والصيف والدنيـا والآخـرة بسهولة كسهولة تقليب صفحات الكتاب ، فيكتب ويثبت ويمحو ويبدّل ، وليس هذا الا القدير المطلق النافذ حكمه على الجميع جلّ جلاله ٠

وهكذا فروح البشر التي هي في منتهى العجز وفي غاية الفقر والحاجة، والتي هي في حيرة من ظلمات المستقبل وفي وجل مما تخفيه ايامه ولياليه٠٠ هـذا الانسان عنـد ادائه لصلاة العشاء ـ بهـذا المضمون ـ لـن يتردد في أن يردد على غرار سـيدنا ابراهيم عليه السـلام [لا احب الآفلين] ٠ فيلتجى ـ بالصلاة ـ بباب مَن هو المعبود الذى لم يزل ومَن هو المحبوب الذى لا يزال ، مناجياً ذلك الباقي السرمدي في هذه الدنيا الفانية ، وفي هذا العالم الفاني ، وفي هذه الدنيا المظلمة والمستقبل المظلم ، لينشر على ارجاء دنياه النور م نخلال صحبة خاطفة ومناجاة موقتة ، ولينور مستقبله ويضمد جراح الزوال والفراق عما يحبه من أشياء وموجودات ومن اشخاص واصدقاء وأحباب ، بمشاهدة توجـه رحمـة الرحمن الرحيم ، وطلب نور هدايته ٠ فينسى ـ بدوره ـ تلك الدنيا التي أنسته ، والتي اختفت وراء العشاء ، فيسكب عبرات قلبه ، ولوعة صدره ، على عتبة باب تلك الرحمة ، ليقوم بوظيفة العبودية النهائية قبل الدخول فيما هو مجهول العاقبة ، ولا يعرف ما يفعل به بعده ، من النوم الشبيه بالموت ، وليختم دفتر اعماله اليومية بحسن الخاتمة ٠ ولأجل ذلك كله يقوم باداء الصلاة ، فيتشرف بالمثول امام

من هو المعبود والمحبوب الباقي بدلاً من المحبوبات الفانية ، وينتصب قائماً أمام مَن هو القدير الكريم بدلاً من جميع العجزة المتسـولين ، وليسـمو بالمثول في حضرة من هو الحفيظ الرحيم لينجو من شر من يرتعد منهم مـن المخلوقات الضارة . فيستهل الصلاة بالفاتحة ، اي بالمدح والثناء لـرب العالمين الكريم الرحيم الذى هو الكامل المطلق والغنى المطلق بدلاً من مدح مخلوقات لا طائل وراءها وغير جديرة بالمدح وهي ناقصة وفقيرة وبدلاً من البقاء تحت ذل المنة والأذى فيرقى الى مقام الضيف الكريم في هذا الكون ، والى مقام الموظف المرموق فيه رغم انه ضئيل وصغير ولا شيء بل معـدوم ، وذلك بسموه الى مرتبة خطاب « اياك نعبد » اي انتسابه لمالك يوم الدين ولسلطان الازل والابد . فيقدم بقوله « اياك نعبد واياك نستعين » عبادات واستعانات الجماعة الكبرى والمجتمع الاعظم لجميع المخلوقات طالباً الهداية الى الصراط المستقيم الذى هو طريقه المنـور الموصل الى السـعادة الابدية عبر ظلمات المستقبل بقوله : « أهدنا الصراط المستقيم » ويتفكر في كبريائه سبحانه وتعالى ويتأمل في أن هذه الشموس المستترة التي هي كالنباتات والحيوانات النائمة الآن هـذه النجـوم المنتبهة ليست الاّ جنـود مطيعة مسخرة لأمره جل وعلا ، وان كل واحـد منهـا ما هي الاّ مصباح في دار ضيافته هذه ، وكل واحـد منهـا ليس الاّ خادماً عاملاً ، فليكبّر قائلاً « الله اكبر » ليبلغ الركوع .

ثم يتأمل بالسجدة الكبرى لجميـع المخلوقـات ، حيث أن انـواع الموجودات في كل سنة ، وفي كل عصر ، كالمخلوقات النائمة في هذا الليل ، بل حتى الارض نفسها وحتى العالم كله ، انما هي كالجيش المنظم ، بـل كالجندي المطيع ، عندما تسرّح من وظيفته الدنيوية بأمر كن فيكون ، اي عندما ترسل الى عالم الغيب ، تسجد في منتهى النظام مع الزوال على سجادة الغروب مكبّرة « الله اكبر » وهذه المخلوقات تبعث وتحشر كذلك في الربيع ، بنفسها أو بمثلها ، بصيحة احيـاء وايقاظ صادر من أمـر « كن فيكون »

فيتأهب الجميع في خضوع وخشوع لأمر مولاهم الحق ·

نعم فهذا الانسان الضعيف - اقتداء بتلك المخلوقات - يهوي الى السجود امام ديوان الرحمن ذى الكمال والرحيم ذي الجمال قائلاً : « الله اكبر » في حب غامر الأعجاب وفي ثنائية مفعمة بالبقاء وفي ذلّ مكلل بالعز·

فلاشك يا أخي قد فهمت ان اداء صلاة العشاء سمو وصعود فيما يشبه المعراج ، فما اجملها من وظيفة وما احلاه من واجب وما اسماها من خدمة وما اعزها والذّها من عبودية وما أليقها من حقيقة اصيلة ! ·

أي أن كل وقت من هذه الاوقات إشارات لانقلاب زمني عظيم ، وإمارات لاجراءات ربانية جسيمة ، وعلامات لانعامات الهية كلية ، لذا فان تخصيص صلاة الفرض - التي هي دين الفطرة - في تلك الاوقات هو منتهى الحكمة ·

(سبحانك لا علم لنا الاّ ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) ، اللهم صل وسلم على من ارسلته معلماً لعبادك، ليعلمهم كيفية معرفتك، والعبودية لك ، ومعرّفاً لكنوز اسمائك ، وترجماناً لآيات كتاب كائناتك ، ومرآة - بعبوديته - لجمال ربوبيتك ، وعلى آله وصحبه اجمعين وارحمنا وارحم المؤمنين والمؤمنات · آمين برحمتك يا ارحم الراحمين ·

[من كتاب ختم التصديق الغيبي وسكته]

إِيَّاكَ نَعْبُدُ

سأذكر لكم ما جرى عليّ من حالة نورانية خاصة ومن خيال ذي حقيقة ، توضيحاً لمعنى كلمة « ... نعبد » وتبياناً لجانب خفي من سرها .

تأملت ذات يوم في « ن » المتكلم مع الغير في : [إِيّاك نعبد وإِيّاك نستعين] ، وتحرّى قلبي وبحث عن سبب انتقال صيغة المتكلم الواحد الى صيغة الجمع (نعبد) ... فبرزت فجأة فضيلة صلاة الجماعة وحكمتها من ذلك « النون » ، اذ رأيت :

أن مشاركتي للجماعة في الصلاة التي أدّيتها في جامع « بايزيد » هي شافعة لي .

ورأيت :

أن كل فرد من أفراد تلك الجماعة .. شاهدٌ ومؤيدٌ لما أظهرته من أحكام وقضايا في قراءتي . فولّد ذلك عندي الشجاعة الكافية لكي أقدم عبادتي الناقصة ، وارفعها مضمومة مع العبادة الهائلة لتلك الجماعة الى الحضرة الألهية المقدسة .

وبينما كنت أتأمل في هذا ؛ اذا بستار آخر يرفع ، ورأيت أن جميع « مساجد استانبول » قد اتصلت وترابط بعضها ببعض ؛ فأصبحت تلك المدينة ـ في مرآة خيالي ـ كهذا الجامع ، واستشعرت بشرف أدعيتهم جميعاً بل تصديقهم كذلك .

وهناك رأيت نفسي محشوراً في تلك الصفوف الدائرية على مسجد سطح الارض المتحلقة حلقات حول الكعبة المشرفة فحمدت الله كثيراً وقلت : « الحمد لله رب العالمين » .. هل لي كل هذه الكثرة الكاثرة من الشفعاء ، ومن الذين يرددون معي ، ويصدقونني في كل ما أقوله في الصلاة ؟! » .

وقلت : ما دام الستار قد رفع هكذا خيالاً ·· وأصبحت الكعبة المشرفة بحكم محراب لأهل الارض ، فلاغتنم اذن هذه الفرصة ، ولأدع فيها خلاصة الأيمان التي أذكرها في التشهد وهي ، [أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله] وأسلمها أمانة عند الحجر الأسود ·

وهنا انكشفت حالة اخرى ، إذ رأيت :

أن الجماعة التي انضممت اليها قد أصبحت ثلاث جماعات ودوائر :

(الاولى) : هي الجماعة الكبرى المؤلفة من المؤمنين الموحدين على وجه الأرض قاطبة ·

(الثانية) : هي جماعة الموجودات كافة حيث [كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه] فرأيت نفسي مع صلاتها الكبرى وفي تسبيحاتها العظمى ··

وأن ما يسمّى من الوظائف والأعمال للأشياء ، إن هي إلاّ عناوين عباداتها وعبوديتها ··

فطأطأت رأسي حائراً أمام هذه العظمة قائلاً : « الله اكبر » ·

وتأملت في نفسي وفي الدائرة :

(الثالثة) ورأيت عالماً يبدأ من ذرات وجودي ، وينتهي الى حواسي الظاهرة ؛ فهو عالم صغير وصغير ·· إلاّ أنه عظيم جداً يدعو الى الحيرة والاعجاب · وهو عالم ظاهره متناهٍ في الصغر إلاّ أن حقيقته عظيمة ، ووظائفه جليلة ·

نعم ، رأيت أن كل جماعة من جماعات هذا العالم منهمكة بوظائف عبوديتها وواجبات شكرها · ورأيت ان اللطيفة الربانية التي هي في قلبي· ، تردد : [إيّاك نعبد وإيّاك نستعين] باسم هذه الجماعة ، مثلما ردّدها لساني باسم الجماعتين العظيمتين الأوليين ·

والخلاصة :

أن (نون) « نعبد » يشير الى تلك الجماعات الثلاث ويدل عليها ·

وبينما أنا في هذه الحالة ؛ إذا بالشخصية المعنوية المباركة لمبلّغ القرآن الكريم قد تمثلت أمامي بعظمته ووقاره ·· وهو صلى الله عليه وسلم

على منبره المعنوي (المدينة المنوّره) • وأسمع منه - كما سمع غيري - خطاباً إلهياً موجهاً ••

[يا أيها الناس اعبدوا ربكم ••] ، فرأيت خيالاً أن كل مَن في تلك الجماعات الثلاث يتجاوب مثلي مع ذلك الخطاب الرباني العظيم قائلاً : [إيّاك نعبد] •

وهناك تمثلت حقيقة أخرى أمام الفكر ، حسب قاعدة : « إذا ثبت الشيء ثبت بلوازمه » وهي :

ما دام رب العالمين قد اتخذ الانسان مخاطباً له ، فيتكلم مع جميع الموجودات ، وان هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد قام بتبليغ ذلك الخطاب الرباني الى جميع البشر بل الى جميع ذوي الشعور ، والى جميع ذوي الارواح ، فلابد ان الماضي والمستقبل معاً قد اصبحا بحكم الزمن الحاضر ، وغدت البشرية كافة مجلساً واحداً وجماعة واحدة في صفوف مختلفة متنوعة ، حيث الخطاب موجه اليهم جميعاً •

هناك بدا لي أن كل آية من آيات القرآن الكريم في قمة البلاغة ومنتهى الجزالة ، وفي غاية الاعجاز الذي يشع نوره الساطع ، حيث أن الآية تكسب علوّها وسموّها وقوتها من :

صدورها من ذلك المقام السامي الرفيع الذي لا نهاية لعظمته ، ولا غاية لسعته ولا منتهى لسموه ، من ذي الجلال والعظمة المطلقة ، من المتكلم الازلي جل جلاله •

ومن توجهها الى مَن هو في مقام المحبوبية العظمى - رغم كثرة المخاطبين ، وتنوعهم ، ومكانتهم - فهو المبلّغ المكرّم صلى الله عليه وسلم ، وهو صاحب المنزلة الرفيعة والدرجة العالية •

لذا ، تحقق عندي : انه ليس القرآن كله معجزة فحسب ، بل كل سورة من سوره معجزة ، وكل آية من آياته معجزة بل حتى كل كلمة فيه بحكم معجزة :

لذا قلت « الحمد لله على نعمة الايمان والقرآن » ٠

وبهذا خرجت من ذلك الخيال الذي هو عين الحقيقة ، كما دخلت فيه من (ن) نعبد ، وفهمت أن :

ليست آيات القرآن وحدها ، ولا كلماتها معجزة فحسب وانما حتى حروف القرآن ـ كما في (ن) نعبد ـ هي مفاتيح نورانية لحقائق عظمى ٠

وبعدما خرج القلب والخيال من (ن) نعبد قابلهما العقل قائلاً :

ـ انني أطالب بحظي ونصيبي مما انتم فيه ، فلا اتمكن من التحليق مثلكم ، ولا استطيع السير الا باقدام الادلة والحجج ٠٠ اروني ما في (نعبد) و (نستعين) من الطريق الموصل الى (المعبود الحقيقي) و (المستعان الحقيقي) حتى أتمكن من مرافقتكم ٠

وعندها خطر للقلب أن :

ـ قل لذلك العقل الحائر أن : يتأمل في جميع موجودات العالم سواء منها الحي وغير الحي ٠ فلكلٍ منها عبودية على شكل وظيفة من الوظائف وفق نظام دقيق ، وضمن اطاعة تامة ٠

ومع أن قسماً من تلك الموجودات دون شعور واحساس ؛ فانه ينجز أعماله ووظائفه في غاية العبودية والنظام والشعور ٠

اذاً لابدّ أن هناك معبوداً حقيقياً وآمراً مطلقاً ، يسخّر هذه الموجودات ويسوقها الى العبودية ٠

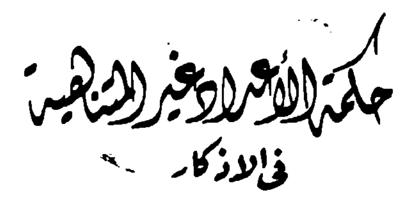
وقل له ليتأمل ـ كذلك ـ في جميع الموجودات ولاسيما الاحياء منها ، فلكل منها حاجات كثيرة متنوعة ، ولكلٍ منها مطاليب عدة ومختلفة لأدامة حياتها وبقاء نوعها وبينما لا تصل أيديها الى أبسط تلك الحاجات والمطاليب ، وليست هي في طوقها ٠٠ إذا بنا نشاهد أن تلك المطاليب التي لا تحد ، تأتيها رغداً من كل مكان ، بل تأتيها في أفضل وقت مناسب ٠ فهذا الافتقار والحاجة غير المتناهيتين للموجودات ، وهذه الاعانات الغيبية والامدادات الرحمانية تدل بوضوح على أن : هناك رزاقاً لها يحميها ٠

وهو غني مطلق .. كريم مطلق .. قدير مطلق .. بحيث يستعين بـه كل شيء ، وكل حيّ ، طالباً منه العون والمدد . أي أن كل شيء في الوجـود يقول ضمناً ومعنىً :

[وإيّاك نستعين] .

وهنا استسلم العقل وقال :

ـ آمنـا وصدّقنـا .



يـا نفس ؛

ان وظائف العبودية وتكاليفها ليست مقدمة لثواب لاحق ، بل انهـا نتيجة لنعمة سابقة ٠

نعم ؛ نحن قد اخذنا أجرتنا من قبـل ، وأصبحنا ـ بحسب تلـك الاجرة المقدمة لنا ـ مكلفين للخدمة والعبودية ؛ ذلك :

لان الخـالق ذا الجـلال والاكرام الذي ألبسك ـ ايتهـا النفس ـ (الوجود) ـ وهو الخير المحض ـ قد أعطاك باسمه « الرزاق » معدة ذات تذوق وتلذذ بجميـع ما فرشـه أمامك على مائـدة النعمة من مأكولات ٠ ثم انه وهب لك (حياة) حساسة ، فهي كالمعدة تطلب رزقاً لها ، فوضع امام حواسك من عين وأذن ـ التي هي كالايدي ـ مائدة نعمة واسعة سعة سطح الارض ٠ ثم وهب لك (انسانية) فهي تطلب بدورها أرزاقا معنوية كثيرة ، ففتح أمام معدة الانسانية آفاق الملك والملكوت بمقدار ما يصل اليه العقـل ٠

وبما وهب لك من (الاسلام والايمان) الذي هو « الانسانية الكبرى » والذي يطلب نعماً لا نهاية لها ، ويتغذى على ثمار الرحمة التي لا تنفـد ، فتح لك مائدة النعمة والسعادة واللذة الشاملة للاسماء الحسنى ، والصفات الربانية المقدسة ، ضمن دائرة الممكنات ٠ ثم أعطاك (المحبة) التي هي نور من أنوار الايمان ، فأحسن اليك بمائدة نعمة وسعادة ولذة لا تنتهي أبداً ٠

بمعنى انك قد اصبحت ـ باحسانه سبحانه وتعالى ـ بحسب جسمك الصغير المحدودة المقيد الذليل العاجز الضعيف من جـزء الى كلّي ، والى كلّ نوراني ، اذ قد رفعك من الجزئية الى نوع من الـكلية ، بما أعطـاك

« الحياة » ، ومن ثم الى الكلية الحقيقية ، بما وهب لك « الانسانية » ، ومن ثم الى الكلية النورانية السامية بما أحسن اليك « الايمان » ومنها رفعك الى النور المحيط الشامل بما أنعم عليك من « المعرفة والمحبة » ·

فيـا نفسـ ؛

لقد قبضت ـ مقدماً ـ كل هذه الاجور والاثمان؛ ثم كلّفت بالعبودية، وهي خدمة لذيذة وطاعة طيبة بل مريحة خفيفة ؛ أفبعد هذا تتكاسلين عن أداء هذه الخدمة العظيمة المشرفة ؟ وتقولين بدلال : لِمَ لا يقبل دعائي · حتى اذا ما قمت بالخدمة ـ بشكل مهلهل ـ تطالبين باجرة عظيمة اخرى ، وكأنك لم تكتفي بالاجرة السابقة ؟

نعم ؛ انه ليس من حقك الـدلال أبـداً ، وانما من واجبك التضرع والدعاء ، فالله سبحانه وتعالى يمنحك (الجنة والسعادة الابدية) بمحض فضله وكرمه ، لذا فالتجئى الى رحمته ، واعتمدى عليها ، ورددى هذا النداء العـلوي الرباني :

[قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون] ·

« يونس/٥٨ » ·

واذا قلت : كيف يمكنني أن أقابل تلك النعم الكلية التي لا تحـد بشكري المحدود الجزئي ؟

فالجواب : بالنية الكلية ، وبالاعتقاد الجازم الذي لاحدّ له ·

فمثلا : ان رجلا يدخل الى ديوان السلطان بهدية قليلة متواضعة بقيمة خمسة فلوس ، ويشاهد هنـاك هدايـا مرصوصة تقدر أثمانها بالملايين أرسلت الى السلطان من قبل ذوات مرموقين · فعندها يناجي نفسه : ماذا اعمل ؟ ·· ان هديتي زهيدة ولا شيء ! · الا انه يستدرك ويقول فجأة :

ـ يا سيدي ؛ انني اقدم لك جميع هذه الهدايا باسمي ، فانك اهـل لها ، ويا سيدي العظيم ، لو كان باستطاعتي ان اقدّم لك أمثال هذه الهدايا الثمينة لما ترددت ·

وهكذا فالسلطان الذي لا حاجة له بأحد والذي يقبل هدايـا رعايـاه رمزاً يشير الى مدى اخلاصهم وتعظيمهم له ، يقبل تلك الهدية المتواضعة جداً

من ذلك الرجل المسكين كأنها أعظم هدية ، وذلك بسبب تلك النية الخالصة منه ، والرغبة الصادقة ، واليقين الجازم الجميل السامي ٠

وهكذا ، فالعبد العاجز عندما يقول في الصلاة : (التحيات لله) ينوى بها :

انني ارفع اليك يا إلهي باسمي هدايا العبودية لجميع المخلوقات - التي هي حياتها - فلو كنت استطيع ان اقدم التحيات اليك - يا ربي - بعددهم لما احجمت ولا ترددت ، فانك أهلٌ لذاك ، بل اكثر ٠

فهذه النية الصادقة والاعتقاد الجازم ، هي الشكر الكلي الواسع ٠

ولنأخذ مثلاً من النباتات حيث النوى والبذور فيها بمثابة نيّاتها ٠ فالبطيخ مثلاً يقول - بما ينوى من آلاف النوى التي في جوفه - : يا خالقي انني على شوق ورغبة أن اعلن نقوش اسمائك الحسنى في ارجاء الارض كلها ٠

وحيث أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما يحدث وكيف يحدث ، فانه يقبل النية الصادقة كأنها عبادة فعلية ، اي كأنها حدثت ٠ ومن هنا تعلم كيف ان نية المؤمن خير من عمله ، وتفهم كذلك (حكمة التسبيح) باعداد غير نهائية حيث ورد :

سبحانك وبحمدك عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ونسبحك بجميع تسبيحات أنبيائك وأوليائك وملائكتك ٠

فكما ان الضابط المسؤول عن الجنود يقدم اعمالهم وانجازاتهم الى السلطان باسمه ، كذلك هذا الانسان الذي هو ضابط على المخلوقات ، وقائد للنباتات والحيوانات ، ومؤهل ليكون خليفة على موجودات الارض ، ويعدّ نفسه مسؤولاً ووكيلاً عمّا يحدث في عالمه الخاص ٠٠ يقول بلسان الجميع (وبصيغة الجمع) :

(اياك نعبد واياك نستعين) فيقدّم الى المعبود ذي الجلال جميع عبادات الخلق واستعاناتهم ، ٠٠ ويجعل الموجودات قاطبة كذلك تتكلم باسمه وذلك عند قوله :

سبحانك بجميع تسبيحات جميع مخلوقاتك ، وبألسنة جميع مصنوعاتك ٠

ثم انه يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم باسم جميع الاشياء على الارض :

(اللهم صلّ على محمد بعدد ذرات الكائنات ومركباتها) ٠٠ اذ أن كل شيء في الوجود له علاقة مع النور المحمدي عليه الصلاة والسلام ٠

وهكذا افهم : حكمة الاعداد غير النهائية في التسبيحات والصلوات ٠ فيا نفس !

ان كنت حقاً تريدين ان تنالي عملاً أخروياً خالداً في عمر قصير ؟

وان كنت حقاً تريدين ان تري : فائدة في كل دقيقة من دقائق عمرك كالعمر الطويل ؟

وان كنت حقاً تريدين أن تحوّلي العادة الى العبادة وتبدلي غفلتك الى طمأنينة وسكينة ٠ فاتبعي ـ اذن ـ السنّة النبوية الشريفة ٠٠٠ ذلك :

لان تطبيق السنّة والشرع في معاملةٍ ما ، يورث الطمأنينة والسكينة، ويصبح نوعاً من العبادة ، بما يثمر من ثمرات اخروية كثيرة ٠

فمثلاً : اذا ابتعت شيئاً ، ففي اللحظة التي تطبق الامر الشرعي ـ الايجاب والقبول ـ فان جميع هذا البيع والشراء يأخذ حكم العبادة ، حيث تذكرك بالحكم الشرعي ، مما يعطي تصوّراً روحياً ، وهذا التصور يذكرك بالشارع الجليل سبحانه ، اي يعطي توجهاً آلهياً ٠ وهذا هو الذي يسكب السكينة والطمأنينة في القلب ٠

اي ان انجاز الاعمال وفق السنة الشريفة يجعل هذا العمر الفاني القصير مداراً للحياة الابدية ، ذات ثمار خالدة ٠

لذا فانصتي جيداً الى قوله تعالى :

[فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون] « الاعراف/١٥٨ » واسعي ان تكوني مظهراً جامعاً شاملاً لفيض تجلٍ لكل اسم من تجليات الاسماء الحسنى المنتشرة في احكام السنة الشريفة والشرع ٠

ولقد(١) قلت لأحد اخواننا الذي اظهر تكاسلاً وفتوراً فيقراءة الاذكار بعد الصلاة :

أن تلك الاذكار الواردة عقب الصلاة هي سنة نبوية مطهرة وطريقة محمدية شريفة ، وهي أوراد الولاية الأحمدية ، فأصبحت أهميتها ـ اذن ـ من هذه الزاوية عظيمة ·

ثم وضحت حقيقة هذا القول بهذا الشكل :

نعم ، مثلما أن الولاية الاحمدية التي انقلبت الى (الرسالة) هي فوق جميع الولايات قاطبةً ، كذلك فان طريقة تلك الولاية الكبرى وأذكارها عقب الصلاة هي فوق سائر الطرق والاوراد بالدرجة نفسها ثم انكشف هذا السر كما يأتي :

كما ان كل ذاكر في حلقة الذكر ، أو في ختمة الذكر في المسجد ، يشعر برابطة روحية ، تربطه بمن حوله ، فيحسون جميعا بحالة روحية نورانية ، كذلك فان ذا القلب اليقظ يحس روحيا كلما سبح بـ « سبحان الله ··· سبحان الله ··· سبحان الله ··· » بعد الصلاة ، أنه في حلقة ذكر مع مائة مليون من المسبحين الذاكرين ، كأنهم بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي يترأس تلك الحلقة الذاكرة المترامية الاطراف ·

فبهذه الاحاسيس الشاعرة بالعظمة والهيبة والرفعة والعلو يكرر المؤمن : « سبحان الله ··· سبحان الله » ·

ثم انه عندما يردد « الحمد لله ·· الحمد لله ·· » بأمر معنوي صادر من ذلك السيد الكريم صلى الله عليه وسلم ، فانه يتأمل ويفكر في عظمة تلك الكلمة « الحمد لله » المنطلقة من صدور مائة مليون من المرددين في تلك الحلقة الواسعة الشاسعة ، فيشترك معهم بقوله : الحمد لله ·· الحمد لله ·· الحمد لله ··

وهكذا ، مع كلمة « الله أكبر ·· الله اكبر ·· » ومع « لا إله إلا الله·· لا إله إلاّ الله » بثلاث وثلاثين مرة · حيث يختم الذكر ··

(١) من ملحق قسطموني ص٦٨ ·

وبعد اتمام هذه الاذكار اللطيفة بتلك المعاني والتأمل الاخوي يتوجه الى « سيد » الحلقة الذاكرة وهو : الذات الاحمدية عليه الصلاة والسلام حاملاً معه تلك المعاني المذكورة مع اخوانه في حلقة الذكر قائلاً :

ــ ألف ألف صلاة وألف ألف سلام عليك يا رسول الله ٠

أجل ، هكذا أحسست ، وهكذا فهمت ، بل هكذا رأيت خيالا ، لذلك أقول :

ــ ان الاذكار عقب الصلاة ، اذن ، لها أهمية كبرى ٠

* * *

واليك يا أخي هذه الخاطرة الجميلة(١) :

حينما كنت أقرأ جملة « ألف ألف صلاة وألف ألف سلام عليك يا سول الله » عقب الصلاة ، تراءت لي من بعيد خاطرة لطيفة انكشفت من تلك الصلوات ، الا انني لم أتمكن من اقتناصها كاملة ، ولكن سأشير الى بعض جملها :

رأيت ان عالم الليل شبيه بمنزل جديد يفتح لدار الدنيا ٠٠ دخلت ذلك العالم في صلاة العشاء ، ومن انفتاح فوق العادة للخيال وبحكم ارتباط ماهية الانسان مع الدنيا قاطبة رأيت :

ان هذه الدنيا العظيمة جدا أصبحت في ذلك الليل منزلا صغيرا جدا حتى لا يكاد يرى ما فيه من بشر ومخلوقات ٠

ورأيت ــ خيالاــ أن ليس هناك من ينور ذلك المنزل الا الشخصية المعنوية للرسول صلى الله عليه وسلم بحيث امتلأت أرجاؤه بهجة وانساً وسروراً ٠

وكما يبدأ الشخص بالسلام عند دخوله المنزل ، كذلك وجدت في نفسي شوقاً هائلا ورغبة جياشة الى القول : ألف ألف سلام عليك يا رسول الله(٢) ٠٠

---

(١) اللمعات ص ٢٥٧ ٠

(٢) ذلك لان الرحمة النازلة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هي متوجهة لحاجة الامة قاطبة في زمن أبدي ، لذا فالصلاة غير المتناهية

ومن هنا وجدت نفسي كأنني أسلم عليه بعدد الانس والجن واعبّر بسلامي هذا عن : تجديد البيعة له والرضى برسالته وقبولها منه واطاعة القوانين التي أتى بها ، والتسليم لاوامره وسلامته من بلايانا • أي كأنني أقدم هذا السلام – بتلك المعاني – باسم كل فرد من أفراد العالم أجمع من جن وأنس ، وجميع المخلوقات ، حتى انني أحسست كأنهم يرددون معي هذا السلام عليه •

وكذا فان ما جاء به من النور العظيم والهدية الغالية قد نـوّر عالمي الخاص هذا كما نوّر العالم الخاص لكل أحد في هذه الدنيا ، فحول عالمنا عالماً زاخراً بالنعم فقلت أمام هذه النعمة الهائلة : « اللهم أنزل الف صلاة عليه » علّها تكون شكرا وعرفانا للجميل على ذلك النور الحبيب والهدية الغالية ، اذ أننا لا نستطيع أن نردّ جميله واحسانه الينا أبدا ، فأظهرنا تضرعنا الى الله جل وعلا بالدعاء والتوسل كي ينزل من خزائن رحمته رحمة عليه بعدد أهل السموات جميعا •

فهو صلى الله عليه وسلم يطلب صلاة بمعنى (الرحمة) من حيث هو (عبد) متوجه من الخلق الى الحق • ويستحق (السلام) من حيث أنه (رسول) من الحق الى الخلق •

التي تهدى اليه منسجمة جداً •

فتصور لو ان شخصا دخل بيتا خاليا مظلما موحشا – كالدنيا المظلمة الموحشة الغفلة – كم سيأخذه الرعب والدهشة والاضطراب • ولكن لكم يسره ويؤنسه ويفرحه وينوره لو رأى أن شخصا قد تصدر ذلك البيت يعرّفه بجميع ما فيه •

فما بالك لو كان هـذا الشخص هو الحبيب المحبوب والانيس المأنوس وهو الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، متصدر بيت العالم ، يعرّف لنا حكمة ما فيه مـن امـور بأمر من ذلـك الرحيم

قس هكذا لكي تقدّر بنفسك قيمة الصلوات عليه •

وكما اننا نرفع اليه سلاما بعدد الانس والجن ، ونجـدد له البيعـة العامة بعددها أيضا ، كذلك فانه صلى الله عليه وسلم يستحق صلاة من خزائن الرحمة الالهية بعدد أهل السموات ، وبأسم كل واحد منهم ؛ ذلك لان النور الذي جاء به هو الذي يظهر كل شيء في الوجود ، ويبرز قيمة كل موجود ، وتشاهد به الوظيفة الربانية لكل مخلوق ، وتتجلى بـه المقاصد الالهية من كل مصنوع لذا :

لمّا كان من المسلّم به أن كل شيء لو وهب له لسان لكان يردد قولا – كما يردد حالاً – الصلاة والسلام على الرسول الحبيب ٠٠ فنحن بدورنا نقول بدلا عن المخلوقات كافة :

– ألف ألف صلاة عليك يا رسول الله بعـدد الانس والجن بعـدد الملك والنجوم ٠

وكأننا بذلك نعبّر عن قول من قال :

فيكفيك أن الله صلى بنفسه وأملاكه صلت عليه وسلمت

الدعاء مفتاح خزينة الرحمة

أن الايمان يجعل من الانسان انساناً حقاً ، بل يجعل منه سلطاناً ، لذا كان أساس واجبه هو الايمان بالله تعالى والدعاء والابتهال اليه . بينما الكفر يجعل الانسان حيواناً مفترساً في غاية العجز .

وسنورد هنا دليلا واضحاً وبرهاناً قاطعاً من بين آلاف الدلائل على هذه المسألة وهو التفاوت والفروق بين مجيء الحيوان والانسان الى دار هذه الدنيا .

نعم ، ان التفاوت بين مجي الحيوان والانسان الى هذه الدنيا يدل على اكتمال الانسانية وارتقاءها الى الانسانية الحقة انما هو بالايمان وحده، وذلك لأن الحيوان حينما يأتي إلى الدنيا يأتي اليها كأنه قد اكتمل في عالم آخر ، فيرسل اليها وهو متكامل وكامل تقريباً - حسب استعداده - فيتعلم في ظرف ساعتين أو يومين أو شهرين شرائط حياته وسبل عيشه ، وعلاقاته بالكائنات الاخرى وقوانين حياته فتحصل لديه مَلَكة . فيتعلم العصفور أو النحلة - مثلاً - من القدرة الحياتية والسلوك العملي عن طريق الوحي والالهام والهداية الربانية في عشرين يوماً ما لا يتعلمه الانسان الا في عشرين سنة . فالوظيفة الأساس للحيوان اذن ليست هي التكمل والنبوغ والترقي بكسب العلم والمعرفة ، ولا الاستعانة والدعاء باظهار العجز والفقر ، وانما وظيفته الاصلية هو : العمل والجد حسب استعداده أي « العبودية الفعلية » .

أما الانسان فعلى العكس من ذلك تماماً ، فهو عندما يقدم الى الدنيا يكون بحاجة الى تعلم وادراك كل شيء اذ هو جاهل بقوانين الحياة كافة جهلاً مطبقاً ، حتى أنه قد لا يستوعب شرائط حياته خلال عشرين سنة ، فيبقى محتاجاً الى التعلم والتفهم مدى عمره. فضلا عن أنه يبعث الى الحياة وهو في غاية الضعف والعجز ، حتى انه لا يمكنه القيام منتصباً الا بعد سنتين من عمره ، ولا يكاد يميز النفع من الضر الا بعد خمس عشرة

سنة ، ولا يمكنه ان يحقق لنفسه لوازم حياته ومنافعها ولا دفع الضر عنها الا بالتعاون والانخراط في الحياة الاجتماعية البشرية ٠

يتضح من هذا ان وظيفة الانسان الفطرية انما هي التكمل والنبوغ والترقي عن طريق «التعلم» والمعرفة ، والعبودية بـ «الدعاء» والثناء بالتأمل في نفسه قائلاً : « برحمة مَن وشفقته اُدارى بهذه الرعاية الحكيمة ؟! وبمكرمة مَن وسخائه اُربى هذه التربية المفعمة بالشفقة والرحمة ؟! وبألطاف مَن وجوده اُغذى بهذه الصورة الرزاقة الرقيقة ؟! » ٠
اي الدعاء والتضرع والتوسل والرجاء بلسان الفقر والعجز الى قاضي الحاجات ليقضي له طلباته وحاجاته التي لاتصل يده الى واحدة من آلاف منها ٠

وهذا يعني ان وظيفته الاساس هي التحليق والارتفاع بجناحي العجز والفقر الى مقام العبودية السامي ٠

اذن فلقد جيء بهذا الانسان الى هذا العالم لأجل ان « يتكامل » بالمعرفة والدعاء ٠ لأن كل شيء فيه موجه الى « العلم » ومتعلق « بالمعرفة » حسب الماهية والاستعداد ٠ وأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو « معرفة الله تعالى » كما ان أس هذا الاساس هو « الايمان بالله » جل وعلا ٠

وحيث أن الانسان متعرض لما لا يحصى من أنواع البلايا والمصائب ومهاجمة الاعداء لما يحمل من عجز مطلق ٠ وله كذلك مطالب كثيرة وحاجات وفيرة مع أنه في فقر مدقع لا نهاية له ٠ لذلك تكون وظيفته الفطرية الاساس الدعاء بعد الايمان وهو رأس العبادة ومخها ٠

فكما ان طفلا لا يستطيع تحقيق مرامه أو تنفيذ رغبته بما لا تصل اليه يده يلجأ الى البكاء والعويل ، أو يطلب مأموله ذاك ، أي يدعو بلسان عجزه أما قولا أو فعلا ، فيوفق الى مقصوده ذاك ، كذلك الانسان الذى يعتبر الطف أنواع الاحياء وأعجزها وافقرها وهو بمنزلة صبي ضعيف لطيف ، لابد له من ان يأوى الى كنف الرحمن الرحيم أما باكياً معبراً عن ضعفه وعجزه أو داعياً بفقره واحتياجه ، حتى تُلبّى حاجته وتنفذ رغبته ، ومن

ثم يكون قد ادى شكر تلك التلبيات والتسخيرات ، والا فاذا قال بغرور ـ كالطفل الأحمق الشرير الذي يصرخ من تلاحق الذباب عليه ـ : أنا أسخر جميع هذه الاشياء بافكاري وتصوري وأديرها بنفسي » وهي التي تفوق آلاف المرات قوته وطاقته • فما هذا الا كفر بنعم الله تعالى ، ومعصية كبيرة تنافي الفطرة الانسانية وتناقضها، وسبب لجعل نفسه مستحقاً لعذاب أليم•

كما أن الايمان يقتضي الدعاء ويتخذه وسيلا ثابتة ووساطة بين المؤمن وربه ، وكما أن الفطرة الانسانية تتلهف اليه بشدة وشوق ، فان الله سبحانه وتعالى يدعو الانسان الى الأمر نفسه بقوله : [قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم] «الفرقان/٧٧» وبقوله تعالى : [ادعوني أستجب لكم]• « غافر/٦٠ » •

ولعلك تقول : اننا كثيراً ما ندعو الله فلا يستجاب لنا رغم ان الآية عامة تصرح بأن كل دعاء مستجاب •

الجواب : ان استجابة الدعاء شيء وقبوله شيء آخر ، فكل دعاء مستجاب • الا أن قبوله وتنفيذ المطلوب نفسه انما هو منوط بحكمة الله سبحانه •

فمثلا : يستصرخ طفل عليل الطبيب قائلا : أيها الطبيب انظر الي واكشف عني •

فيقول الطبيب : أمرك يا صغيري •

فيقول الطفل : اعطني هذا الدواء • فالطبيب حينذاك أما أن يعطيه الدواء نفسه أو يعطيه دواء أكثر نفعاً وافضل له ، أو يمنع عنه العلاج ، كل ذلك حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة •

فكذلك الحق تبارك وتعالى لأنه حكيم مطلق وهو رقيب حاضر وناظر في كل آن فهو سبحانه يستجيب دعاء العبد ، وباستجابته وحضوره يزيل وحشته القائمة وغربته المدهشة مبدلا اياها املاً وانساً واطمئناناً ، فيقبل مطلبه ويستجيب : إما الدعاء نفسه مباشرة ، أو يمنحه أفضل منه ، أو يرده ، وذلك حسب اقتضاء الحكمة الربانية لا حسب أهواء العبد المتحكمة وأمانيه الفاسدة •

وكذا فالدعاء هو ضرب من العبودية، وثمار العبادة وفوائدها أخروية. أما المقاصد الدنيوية فهي اوقات ذلك النوع من الدعاء والعبادة ، وليست غاياتهـا .

فمثلاً : صلاة الاستسقاء هي نوع من العبادة ، وانقطاع المطر هو وقت تلك العبادة فليست تلك العبادة وذلك الدعاء لأجل نزول المطر . فلو أديت تلك العبادة لأجل هذه النية وحدها لكانت غير حرية بالقبول حيث لم تكن خالصة لوجه الله تعالى . وكذا وقت غروب الشمس هو اعلان عن صلاة المغرب ، ووقت كسوف الشمس وخسوف القمر هو وقت صلاة الكسوف والخسوف . أي ان الله سبحانه يدعو عباده الى نوع من العبادة بمناسبة انكساف آية النهار وانخساف آية الليل اللتين تومئان وتعلنـان عظمته سبحانه . والا فليست هذه العبادة لانجلاء الشمس والقمر الـذي هو معلوم عند الفلكي ، فكما ان الأمر في هـذا هكذا فكذلك وقت انحباس المطر هو وقت صلاة الاستسقاء ، وتهافت البلايا وتسلط الشرور والاشياء المضرة ، هو وقت بعض الادعية الخاصة ، حيث يدرك الانسان حينئذ عجزه وفقره ، فيلوذ بالدعاء والتضرع الى باب القدير المطلق ، واذا لم يدفع الله سبحانه تلك البلايا والمصائب والشرور مع الدعاء الملح ، فلا يقال ان الدعاء لم يستجب ، بل يقال : ان وقت الدعاء لم ينقضِ بعد ، واذا رفع الحـق سـبحانه بفضله وكرمه تلـك البلايا وكشف المعضلة فقـد انتهى وقت الدعاء اذن وانقضى .

فالدعـاء ـ بهـذا ـ سـر من أسـرار العبودية ، والعبوديـة لابـد ان تكون خالصة لوجـه الله ، بأن يأوى الانسان الى ربـه بالدعـاء مظهـراً عجزه ، مع عدم التدخل والاعتراض على اجراءات ربوبيته ، وتسليم الأمر اليه وحده ، والتدبير اليه سبحانه ، مع الاعتماد على حكمته من دون اتهام لرحمته ، ولا القنوط منها .

نعم ، لقد ثبت بالآيات البينات أن كلا من الموجودات في وضع تسبيح لله تعالى بتسبيح خاص ، في عبادة خاصة ، وفي سجود خاص ، فتتمحض عن هذه الاوضاع العبادية سبل الدعاء المؤدية الى كنف رب عظيم ، سواء عـن طريق (لسان الاستعداد والقابلية) كدعـاء جميـع النباتات والحيوانات

قاطبة ـ حيث يبتغي كل واحد منهما من الفياض المطلق صورة معينة له : فيهـا قسـم من معاني اسـمائه الحسـنى ـ أو عـن طريـق (لسـان الحاجة الفطرية) كأدعية جميع أنواع ذوي الحياة التي تتجسد في الحاجات الضـرورية لمـا لا تصـل اليهـا يدهـا • فيطلب كل حـي منهـا ، إمـا بلسان حاجته الفطرية من الجواد المطلق صنف رزقه الخاص لادامة حياته وتأمين عناصر استمرار وجوده •أو عن طريق (لسان الاضطرار) كدعاء المضطر من ذوي الحياة ، حيث هناك الحامي المغيب والمعين المسؤول الذي يلبي حتماً وبسرعة دعاءه ويقبل التجاءه فلا يجد ذلـك المضطر مناصاً من الالتجاء والتوجه الى « ربـه الرحيـم » •

فهذه الانواع الثلاثة من الدعاء مقبولة ان لم يطرأ عليها مانع يجعلها غـير مقبولـة •

والنوع الرابع من الدعاء ، وهو دعاؤنا المعروف ، فهو أيضاً نوعان :

أحدهما : دعاء فعلي وحالي •

وثانيهما : دعاء قلبي وقولي •

فمثلا : الأخذ بالاسباب هو دعاء فعلي ، واجتماع الاسباب ليس المراد منه ايجاد المسبب ، وانما هو لاتخاذ وضع ملائم ومرضي لله سبحانه لطلب المسبَّب منه بلسان الحال• حتى ان الحراثة بمنزلة طرق باب خزينة الرحمة الآلهية • ونظرا لكون هذا النوع من الدعاء الفعلي متوجه نحو اسم الجواد المطلق والى عنوانه فهو مقبول لا يرد في أكثر الاحيان •

أما القسم الثاني : فهو الدعاء باللسان والقلب أي طلب الحصول على بعض المطالب غير القابلة للتحقيق ، والحاجات التي لا تصل اليها اليـد • فأهم جهة وألطف غاية وألذ ثمرة لهذا الدعاء هو : ان الداعي يدرك ان هناك مَن يسمع خواطر قلبه ، وتصل يده الى كل شيء ، ومَن هو القادر على تلبية جميع رغباته وآماله ، ومَن يرحم عجزه ويواسي فقره •

فيا أيها الانسان العاجز الفقير • اياك ان تتخلى عن مفتاح خزينة الرحمة ومحور القوة العظمى الا وهو الدعاء • فتشبث به لترتقي الى أعلى عليي الانسانية • واجعل دعاء الكائنات جزءاً من دعائك ، واجعل من نفسك عبداً كلياً ووكيلا عاماً بقولك : (اياك نستعين) ، وكن أحسن تقويم لهذا الكون

باقة من الموازين

- كيف السبيل الى حب الله
- من دسائس الشيطان
- الوسوسة وعلاجها
- التجارة الرابحة
- سر الوجود
- حقيقة الدنيا
- الدنيا بين نظرة المؤمن والكافر
- نظرة ايمانية الى سر الموت
- رحيل الشباب
- لولا الشيوخ الركع
- لغة العلوم
- سؤال وجواب

كيف السبيل الى حب الله

رب قائل يقول : ان الحب ليس اختياريا ، ولا هو مما يقع تحت ارادتنا ؛ لذا فاني ـ بمقتضى حاجاتي الفطرية ـ أحب الاطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة ، وأحب والديّ وزوجتي واولادي ، وأحب أصدقائي ورفاقي ، وأحب الانبياء والاولياء الصالحين ، وأحب شبابي وحياتي وأحب الربيع وكل شيء جميل . وبعبارة أوجز : اني أحب الدنيا .. وكيف لا أحب ؟ ولكن كيف أستطيع أن أهب جميع هذا الحب الى الله واجعل حبي لاسمائه الحسنى وصفاته الجليلة وذاته المقدسة سبحانه ؟

الجواب :

للاجابة على هذا السؤال عليك أن تستمع الى النكات الاربع الآتية(١):

أولا ـ ان الحب رغم أنه ليس اراديا ولا تحت اختيارنا ؛ الا أنه يمكن أن يحوّل وجهه من محبوب الى آخر ، كأن يظهر لك قبح المحبوب وحقيقته مثلا . أو أن تعرف ان الذي تحبه هو ستار لمحبوب حقيقي ومرآة له ؛ فعندها يمكن أن يدار وجه الحب من المحبوب المجازي الى المحبوب الحقيقي الذي يستحق الحب كله .

ثانيا ـ نحن لا نقول لك : لا تحمل وداً ولا حبا لكل ما عددته ، وانما نقول لك : اجعل حبك ـ لما ذكرته ـ في سبيل الله ولوجهه الكريم .

فالتلذذ بالاطعمة الشهية وتذوق الفواكه الطيبة مع التذكير بأنها احسان من الله سبحانه وانعام من الرحمن الرحيم ، يعني المحبة لاسم (الرحمن) واسم (المنعم) من الاسماء الحسنى وهذا هو الشكر المعنوي . والذي يميز هذه المحبة بأنها (للرحمن) وليست لاجل النفس والهوى هو:

(١) ذكرت هنا نكتتان فقط .

كسب الرزق الحلال مع القناعة التامة ضمن الدائرة المشروعة ، وتناوله بالتفكر مع الشكر ٠

وكذلك فان احترامك ومحبتك للوالدين انما يعودان الى محبتك لله سبحانه اذ هو الذي غرس فيهما تلك الرحمة والشفقة حتى قاما برعايتك وتربيتك بكل رحمة وحكمة ٠

وعلامة كونها محبة لوجه الله تعالى : انك تزيد من محبتهما عندما يبلغا الكبر ، ولا يبقى لك عليهما من مطمع ، فتكثر من الشفقة والرحمة عليهما رغم ما يشغلانك بالمشاكل ويثقلان على كاهلك ٠ وان الآية الكريمة: [إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ٠٠٠] الآية ٠ تدعو الاولاد الى رعاية حقوقهما في خمس مراتب ، وتبين : ما أعظم برّهما ! وما أقبح عقوقهما !

وحيث ان الوالد لا يقبل أن يتقدمه أحد سوى ابنه ــ مما يسد عليه طريق المطالبة بالحق تجاهه ــ لذا فلا مبرر ــ فطرةً ــ للخصام بينهما الذي ينشأ اما من الحسد والغبطة بين الاثنين ، فالوالد سليم معافى منه فطرة ٠ أو ينشأ من غمط الحق ٠ ولا يحق للولد اقامة الدعوى ضد والده ، ومن ثم فلا يحق له العصيان حتى ان رأى منه ما ليس بحق وصواب ٠ وما دام الوالد وهذه صفاته وخصاله ؛ فمن ذا الذي يؤذي والديه أو يعقهما الا أن يكون انسانا ممسوخا الى حيوان شرس مفترس ؟!

وكذلك حب الوالدين للاولاد فهو ايضاً يعود لله سبحانه اذ أن رعايتهما للولد من كمال الشفقة والرحمة النابعتين من هبة الرحيم الكريم ٠ وعلامة كونه حباً لله وفي سبيله : الصبر مع الشكر عند البلاء ، وبالاخص عند الموت ، والترفع عن اليأس والقنوط وهدر الدعاء بالويل والثبور ٠٠ بل التسليم بالحمد عند القضاء كأن يقول : ان هذا المخلوق محبوب للخالق الكريم ، ومملوك له وقد أمنني عليه لفترة من الزمن ، فالآن اقتضت حكمته سبحانه أن يرده مني الى مكان آمن وافضل ٠ وان تك لي فيه حصة واحدة

ظاهرية ؛ فلله سبحانه ألف حصة حقيقية فيه ، ولا مناص من التسليم بـ « الحكم لله » ٠

أما ودّ الاصدقاء ومحبتهم ؛ فان كانوا من أصحاب الايمان والتقوى فان حبهم هو في سبيل الله ويعود اليه سبحانه حسب مضمون « الحب في الله » ٠

وكذلك محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك ٠ اذ عليك بمحبتها والتودد اليها من انها هدية الرحمة الالهية ، فهي هدية لطيفة أنيسة واياك أن تربط محبتك لها برباط الجمال الظاهري السريع الزوال بل أوثقها مع الجمال الذي لا يزول بل يزداد تألقاً يوماً بعد يوم ، ألا وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في أنوثتها ورقتها ٠ وان أحلى وأثمن جمال لها هو في شفقتها الخالصة السامية النورانية ، فجمال الشفقة هذا ، وحسن السيرة ، يدومان الى نهاية العمر بل يزدادان وبهما تصان حقوق هذه المخلوقة، وإلاّ فانها تفقد حقوقها ـ عندما تكون في أمس الحاجة اليها ـ بمجرد زوال الجمال الظاهرى المنحصر في جمال الصورة فقط ٠

وتوقير الانبياء عليهم السلام واحترام الصالحين ومحبتهم يصبح أيضاً لوجه الله من حيث أنهم عباد الله المخلصون المقبولون عنده جل جلاله ٠ فمن هذه الزاوية يصبح ذلك الحب ـ هو الآخر ـ لله ٠

وكذلك الحياة ؛ التي وهبها الله سبحانه وتعالى لك وللانسان : تلك الخزينة الثمينة والرأسمال العظيم والكنز الكبير يحوي أجهزة الكمالات الخالدة لتكسبك الحياة الآخروية الأبدية ـ فان المحافظة عليها ومحبتها من هذه الزاوية بل تسخيرها لخدمة المولى عز وجل تعود الى الله سبحانه أيضاً ٠

ولكم تكون كذلك محبة مشروعة بل مشكورة تلك التي تتوجه الى لطافة الشباب وجماله من حيث أنها نعمة ربانية جميلة لذيذة وتقديرها من هذه الزاوية ٠٠ ومن ثم العمل على حسن استخدامها ؟

وكذلك حب الربيع والشوق اليه يكون في سبيل الله ومتوجهاً الى

أسمائه الحسنى من حيث أنه اجمل صحيفة للنقوش الجميلة البديعة لأسمائه الكريمة • وأنه معرض عظيم هائل لدقائق الصنعة الربانية ، فالتفكر والتأمل في الربيع هكذا هو في الحقيقة محبة متوجهة الى أسمائه الحسنى •

وحتى حب الدنيا والشغف بها ينقلب الى حب لوجه الله تعالى فيما اذا كان النظر اليها من زاوية : أنها مزرعة الآخرة ، ومرايا الأسماء الحسنى ، ورسائل آلهية الى الوجود مع كونها دار ضيافة مؤقتة •• وعلى شرط الا تتدخل النفس الأمارة فيه •

ومجمل القول :ـ

اجعل حبك للدنيا وما فيها (بالمعنى الحرفي) أي لمعنى ما فيها ومغزاه وليس (بالمعنى الأسمي) أي لذاتها • فلا تقل : « ما أجمل هذا » ! وانما قل : « ما أجمل خلق هذا » • أو : « ما أجمل خلقه » ! وإيّاك أن تترك ثغرة يدخل منها حب لغير الله في باطن قلبك ، فان باطنه مرآة صمدانية لا تستقر إلاّ بذكر الله وحبه وقل :

اللّهم ارزقنا حبك وحب ما يقرّبنا اليك •

وهكذا فان جميع ما ذكرناه من أنواع المحبة ؛ ان وجهت الوجهة الصائبة اي عندما تكون لله وفي سبيل الله • عندئذٍ فقط تصبح لذة حقيقية بلا ألم ، ووصالاً حقاً بلا زوال بل تزيد من محبة الله سبحانه وتعالى •

وكل ذلك بالتأكيد محبة مشروعة وشكر لذيذ زكي ومتعة فكرية خالصة • فكما اذا أهدى اليك سلطان عظيم « تفاحة » مثلاً فانك ستكن لها نوعين من المحبة وستلتذ بها بشكلين من اللذة :

الاولى : المحبة التي تعود الى التفاح من حيث انه فاكهة طيّبة فيه لذة بقدر ما فيه من خصائص • فهذه المحبة لا تعود الى السلطان • وانما الذي يأكله أمامه يبدي محبته الى التفاح والى شهيته وليس الى

السلطان ، وقد لا يعجب السلطان ذلـك الحب الشديد للنفس بل قـد ينفر منـه ٠

ولما كانت لذة التفاح جزئية وفي زوال ، فلا شـك أنهـا تورث أسفاً بمجرد الانتهاء من أكله وفقدان لذته ٠

أما المحبة الثانية : فهي للتكرمة السـلطانية والتفاتته اللطيفة التي ظهرت بالتفاحة ٠٠ فكأن تلك التفاحة نموذج للتوجه السلطاني أو هي ثناء مجسم منه ؛ فالذي يتسلم هدية السلطان حبـاً وكرامة فـانه يبدي حبه للسلطان وليس الى التفاح ٠ هذا اضافة الى ان ما في غلاف تلـك المكرمة ومظروفها من اللذة يفوق ويسمو على ألف تفاحة أخرى ٠ فهذه اللذة هي الشكران بعينه ٠ وهذه المحبة هي التوقير اللائق للسلطان ٠

وهكذا : فاذا ما وجه الانسان الحبَّ الى « ذات » النعـم والفواكه وتلذذ ـ عن غفلة ـ بلذاتها المادية وحدها فتلك إذن محبة نفسانية وتعود الى هوى النفس وان تلك اللذات زائلة مؤلمة ٠

أما اذا كانت المحبة الى جهة التفات رحمته سبحانه وثمرات احسانه بمدها أخذ حظه بشهية كاملة وتلذذ حسب درجات تقديره للاحسان واللطف الرباني ٠٠ فانها تكون شكراً معنوياً ولذةً غير مؤلمة أيضاً ٠

[الاشارة الثالثة عشرة من رسالة حكمة الاستعاذة]

من دسائس الشيطان

النقطة الاولى :

ان أعظم كيد للشيطان هو خداعه لضيقي الصدر وقصيري النظر وقاصري الفكر من الناس ـ من جهة عظمة الحقائق الايمانية ـ بقوله لهم :

كيف يمكن تصديق مايقال: ان واحداً أحداً هو الذي يدير ويدبّر ـ ضمن ربوبيته ـ شؤون جميع الذرات والنجوم والسيارات ، وسائر الموجودات باحوالها كافة ؟ فكيف تصدق وتقرّ في القلب هذه المسألة العجيبة العظيمة؟ وكيف يقنع بها الفكر ؟ • فيثير بذلك حساً انكارياً من نقطة العجز الانساني وضعفه •

الجواب : « الله اكبر » هو الجواب الحقيقي والملجم لهذه الدسيسة الشيطانية ، وهو المسكت لها •

نعم ، ان كثرة تكرار (الله اكبر) واعادتها في جميع الشعائر ، ان هي الاّ لازالة هذا الكيد الشيطاني ؛ لأن الانسان بقوته العاجزة ، وقدرته الضعيفة ، وفكره المحدود يرى تلك الحقائق الايمانية غير المحدودة ويصدقها بنور (الله اكبر) ، ويحمل تلك الحقائق بقوة (الله اكبر) ، وتستقر عنده ضمن دائرة (الله اكبر) •

فيخاطب المبتلى بالوسوسة قلبه قائلاً : ان تدبير هذه الكائنات وادارتها بهذا النظام الرائع الذي يراه كل ذي بصر ، لا تفسر اِلاّ بطريقتين:

الاولى :

وهي الممكنة ، ولكنها معجزة خارقة جداً • اذ ان أثراً كهذا الاثر المعجز لابد انه ناتج من عمل خارق وبطريقة خارقة معجزة ايضاً ، وهذه الطريقة هي :

ان الموجودات قاطبة لم تخلق الا" بارادة وقدرة ربوبية الواحد الأحد الصمد ، وهي بعدد ذراتها شاهدة على وجوده سبحانه وتعالى ·

الثانيـة :

وهي طريق الكفر والشرك ، الممتنعة والصعبة وغير المعقولة الى درجة المحال لأنه : يلزم ان يكون لكل موجـود في الكون ، بل في كل ذرة فيـه ، الوهية مطلقة ، وعلم محيط واسع وقدرة شاملة مطلقة كي تظهر الى الوجود نقوش الصنعة البديعة المتكاملة ، بهذا النظام والانتظام الرائعين المشاهدين· وبهذا التقدير والتميـّز الدقيقين ·

وتلك هي ما اوضحنا امتناعها واستحالتها واثبتناها بدلائل قاطعة في المكتوب العشرين والكلمة الثانية والعشرين ورسائل اخرى كثيرة ·

الخـلاصـة :

لو لم تكن هناك ربوبية ذات عظمة وكبرياء ـ أهلا" لها وتستحقها ـ لوجب حينئذٍ سلوك طريق ممتنع وغير معقول من جميع الجهات · حتى الشيطان نفسه لن يكلف أحداً ان يترك ويفر" من تلك العظمة والكبرياء اللائقة المستحقة الضرورية للدخول في هذا المحال الممتنع ·

النقطة الثانية :

هناك دسيسة اخرى للشيطان هي :

« دفع الانسان الى عدم الاعتراف بتقصيره » · كي يسد عليه طريق الاستغفار والاستعاذة ، مثيراً فيه أنانية النفس لتدافع كالمحامي عن ذاتهـا وتنزهها عن كل نقص ·

نعم ؛ ان نفساً تصغى الى الشيطان ، لا ترغب ان تنظر الى تقصيرها وعيوبها · وحتى اذا رأتها فانها تؤولها بتأويلات عديدة ، كما قال الشاعر :

(وعـين الرضا عـن كل عيب كليلة ···) فانها تنظر الى ذاتهـا واعمالها بعين الرضا فلا ترى عيبـاً ، لـذا لا تعترف بتقصيرها ، ومن ثـم لا تستغفر ولا تستعيذ ، فتكون اضحوكة للشـيطان · ولـكن كيف يوثق

بهذه النفس الأمارة بالسوء ويعتمد عليها ، وقد ذكرها القرآن الكريم على لسان نبي عظيم (يوسف عليه السلام) : (وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) . فمن يتهم نفسه فسيرى عيوبها وتقصيرها. ومن اعترف بتقصير نفسه يستغفر ربه . ومن يستغفر ربه يستعذ بـه من الشيطان الرجيم . وعندها ينجو من شروره . وانه لتقصير اكبر الا يرى الانسان تقصيره نفسه ، وانه لنقص اعظم كذلك الا يرى نقصه . ومن يرى عيبه وتقصيره فقد انتفى عنه العيب ، حتى اذا ما اعترف يصبح مستحقاً للعفـو .

النقطـة الثالثـة :

ان ما تفسد الحياة الاجتماعية للانسان الدسيسة الشيطانية الآتية :

« انه يحجب ويخفي بسيئة واحدة للمؤمن جميع حسناته » .

والذين يلقون السمع الى هذا الكيد الشيطاني من غير المنصفين يعادون المؤمن . بينما الله سبحانه وتعالى ، عندما يزن اعمـال المكلفين بميزانـه الاكبر ، وبعدالته المطلقة يوم الحشر فانه يحكم من حيث رجحان الحسنات أو السيئات . وحيث ان السيئات تتكون بسهولة ويسر ووسائلها كثيرة ، فان حسنة واحدة تذهب ذنوباً كثيرة .

فيجب اذن التعامل والقياس بمثل ميزان العدل الآلهي في هذه الدنيا ، فان كانت حسنات شخص اكثر من سيئاته كميةً ونوعيةً فانـه يستحق المحبة والاحترام وربما ينظر الى كثير من سيئاته بعين العفو والمغفرة والتجاوز لحسنة واحدة ذات نوعية خاصة .

ولـكن الانسان ينسى ، بتلقين من الشيطان ، وبما يكمن من الظلم في جبلته ، مئات من حسنات أخيـه المؤمن لأجـل سيئة واحدة . فيبـدأ بمعاداته ، فيدخل في الآثام . فكما ان وضع جناح ذبابة أمام العين مباشرة يحجب رؤية جبل شاهق ، فالحقد كذلك يجعل السيئة التي هي بحجـم جناح الذبابة عظيمة تمنع رؤية حسناتٍ كالجبل الشامخ ، فينسى الانسان

حينذاك ذكر الحسنات ، ويبدأ بالعداء لأخيه المؤمن ، ويصبح عضواً فاسداً ، وآلة للتدمير ، في حياة المؤمنين الاجتماعية ٠

فيا ايها الانسان المسكين ، المبتلى بدسائس الشيطان وكيده ٠

ان كنت ترغب في سلامة حياتك الدينية وحياتك الشخصية وحياتك الاجتماعية وتطلب صحة الفكر ، واستقامة الرؤية ، وسلامة القلب ، فزن أعمالك ، وخواطرك بموازين المحكمات القرآنية ، والسنّة المحمدية الشريفة ، واجعل رائدك ومرشدك القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة٠

وتضرع الى الله العلي القدير بقولك :

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ٠٠

الوسوسة وعلاجها

« وقل ربِّ اعوذ بك من همزات الشياطين · واعوذ بك ربِّ ان يحضرون » · (المؤمنون/٩٧ ، ٩٨)

ايها الاخ المبتلى بداء الوسوسة ؛ ليت شعري هل تعلم بماذا تشبه وسوستك ؟ انها اشبه بالمصيبة ؛ تبدأ صغيرة ثم تكبر شيئاً فشيئاً على مدى اهتمامك بها ، وبالعكس فانها تفنى وتزول باهمالك اياها · فهي تعظم اذا استعظمتها ، وهي تصغر اذا استصغرتها انت ، واذا خفت منها داستك بكابوسها الاسود ، ودوختك بالعلل، واذا لم تخف هانت وخنست وتوارت·

فأنت ان لم تعرف حقيقتها استمرت واستقرت ، لكنك اذا عرفت حقيقتها وسبرت غورها تلاشت كالسراب ، فهي تلويحات صور منعكسة !·

فما دام الامر هكذا ، وما دامت مصيبة « الوسوسة » هـذه كثـيرة الاقسام ، فها أنذا سأشـرح لك منها خمس صـور ووجـوه من وجوههـا وصورها التي لا يحصرها العـد · عسى ان يكون بيانها - بعون الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء - شفاءً لصدورنا نحن كلينا ، وما ذلك على الله بعزيز ·

ذلك لان الجهل مجلبة للوساوس ، ولكن العلم على نقيضه طارد لها ودافع لشرها · فاذا ما عرفتها ولّت وأدبرت ، واذا ما جهلتها أقبلت ودنت·

الصورة الاولى :

ان الشيطان - لعنه الله - يلقي بشبهته - على حين غفلة - في القلب ثم يراقب صداها في الاعماق ، فاذا انكرها القلب اليقظ الواعي انقلبت من « الشبهة » الى « الشتم والسب » فيتراءى لـه ما يشـبه الشتم من قبيح الخواطر السيئة والهـواجس المنافية للاداب المضروبة بين الله والعبـد ·

مما يجعل ذلك القلب المسكين يئن تحت وطأة اليأس ويصرخ :ـ واحسرتاه ... وا مصيبتاه . فيظن الموسوس عندئذ ان قلبه آثم ، وانه قد اقترف السيئات والآثام حيال ربه الكريم ، فينقذف في اتون نار ودوامة اضطراب عظيمين مما يتركه ينفلت من عقال السكينة والطمأنينة ، ولذلك يحاول بقلق زائد كاسح ان ينغمس في اغوار الغفلة .

اما دواء هذا الداء فهو :

ـ ايها المبتلي المقهور ! لا تخف ، ولا تضطرب ... واعلم أن ما مر أمام مرآة ذهنك ليس بشتم ولا بسب ابداً ، انما هو مجرد صور وخيالات (فهل تنجس صورة الميتة في المرآة ؟ وهل تحرق صورة النار ؟ وهل تلدغ صورة الحية ؟ ..) .

واعلم كذلك أن تخيل الكفر ليس بكفر ، وان تخيل الشتم كذلك ليس بشتم ، ومن المعلوم في البديهة المنطقية ، ان التخيل ليس بحكم . ولكن الشتم حكم بلا شك .

فضلاً عن ذلك ان تلك الكلمات غير اللائقة لم تكن صادرة من ذات ذات قلبك ابداً ، ونستدل على ذلك بأن قلبك المكلوم نفسه يتحسر منها ويتألم . ولعلها آتية من لمة شيطانية قريبة من شغاف القلب . ولذلك يقتصر ضرر الوسوسة على ما يتوهمه المرء من ضرر ، اي ان ضرره القلبي قاصر على ما نتوهمه نحن من اضرارها . ذلك لانه يتوهم خيالا ـ لا أساس له ـ كأنه حقيقة ، ومن ثم يتهم قلبه ، وينسب اليه من أعمال الشيطان ما هو بريء منه ، فيظن ان همزات الشيطان هي من خواطر قلبه هو .

وقد يتصور أضرارا ومفاسد ما يقع فيها . وهذا هو ما يريده الشيطان منه بالذات .

الصورة الثانية :ـ

عندما تنطلق المعاني من القلوب تنفذ في الاخيلة مجردة من الصور ، وتكتسي الاشكال والصور هناك . ان الاخيلة تنسج دائماً ـ ولاسباب معينة ـ نوعاً من الصور ، وتعرض ما تهتم به من الصور على الطريق ،

وعندما ترد المعاني يحاول الخيال ان يلبس او يعلق أو يلطخ أو يلقي عليها تلك الانسجة والغلالات • ولكن اذا كانت المعاني نقية صافية ، والصور والانسجة قبيحة ملوثة ، فلن تكون ثمة ما يلبس من لبوس آنذاك ، وانما سيكون مجرد مسّ فقط ، فهنا يلتبس على الموسوس امر التماس فيظنه تلبساً وتلبيساً ، فيقول في نفسه هاتفاً :

ـ يا ويلتاه !! لقد تردّي قلبي في المهاوى • وان هذه الدناءة والخساسة النفسية سوف تجعلاني حتماً من المطرودين من رحمة الله !!

وهنا يستغل الشيطان الكفور هذا الوتر الحساس منه استغلالا فظيعا فيمرر عليه بأصابعه القذرة ليوقع بها أمانيه الخبيثة •

اما مرهم هذا الوتر الحساس المستغل ، وهذا الجرح العميق ؛ فهو :ـ

ـ ايها الاخ المسكين ، اصغ اليّ جيداً لأهمس في اذنيك ، ان الصلاة، كما انها لابد لها من طهارة حسية وبدنية ، فلا تضرها ولا تفسدها من بعد ذلك النجاسات المتجمعة في جوف الانسان ، كذلك لا تضر مجاورة الوساوس النجسة للمعاني المقدسة • وسأضرب لك مثلاً :

قد تكون احياناً متدبراً في آية من آيات الله ، واذا بأمرٍ مهيج من مرض يفاجئك أو تدافع الاخبثين يلحّ على خيالك بشدة • هنا لابد أن خيالك سينساق الى حيث الدواء في الحالة الاولى ، أو قضاء الحاجة في الحالة الثانية ناسجاً ما تقتضيه الخيالات الدنيئة • فتمر هذه الصور الخيالية السافلة من خلال تأملاتك العالية ••• دعها تمر •• وماذا في ذلك ؟! انه ليس ثمة ضرر ما ولا لوثة ولا خطورة •• الخطورة كل الخطورة هي في تركيز الفكر فيها ، وتوهم الضرر منها •

الصورة الثالثة :

هناك بعض علاقات خفية تسود بين الاشياء ، وربما توجد خيوط من الصلة حتى بين ما لا نتوقعه من الاشياء • وهذه الخيوط اما انها قائمة بذاتها ، أي انها حقيقية أو انها من نتاجات الخيال والافكار التي ربطت هذه الخيوط ببعضها •

وهذا هو السر في توارد تخيلات سيئة احياناً عند النظر ملياً في ما يخص الامور المقدسة ٠ اذ أنه كما هو واضح في علم البيان « ان التناقض الذي يكون سبباً للابتعاد في الخارج يكون مدعاة للقرب والتجاور في التصور والخيال » ٠ أي أن ما يجمع بين صورتي الشيئين المتناقضين ليس الا الخيال ، ويطلق على الخواطر الناتجة بهذه الوسيلة « تداعى الافكار » ٠

فمثلا : بينما أنت تناجي ربك في الصلاة بخشوع وحرارة ، وحضور قلب وسعادة واذ أنت مستغرق كليا في تدبر آيات الله مستقبلا الكعبة المشرفة ، اذا بتداعي الافكار هذا يسوقك الى أمور تكاد السموات يتفطرن منها ، وتهدّ الجبال هدّاً وذلك من جراء تلك الخيالات المشينة المخجلة !!

فاذا ما كنت يا اخا الايمان مبتلى بشرور تداعي الافكار هذه فاياك ان تقلق أو تجزع ، وبالعكس يجب عليك أن تعود الى حالتك الطبيعية كلما انتبهت لها ، بل لا تشغلن بالك فتقول :ـ أو آه انني مقصر جدا ٠

بل يجب أن تمر عليها مرّ الكرام ، كي لا تقوى تلك الوساوس العابرة بتركيزك عليها ، وتكثيف اهتمامك بها ٠ اذ كلما زاد اهتمامك بها انقلبت عندك الى عادات وأمراض موهومة ٠ ومن يدري ؟ فقد تلازمك كظلك بلا انفكاك ــ والعياذ بالله ــ ولكن لا ٠٠ لا تخش شيئاً أبداً ٠٠٠ انه ليس بمرض قلبي ٠ لأن هذه الهواجس النفسية والنفثات الكريهة المقزّزة هي في اغلب الحالات تتكون في نفوسنا رغماً عن ارادتنا، وهي لذلك غير محسوبة علينا رحمة منه سبحانه الذي لا يكلف نفساً الاّ وسعها ٠ وهي تكون شائعة بالأخص لدى ذوي الامزجة الحادة ٠٠ أجل ان الشيطان ليتغلغل عميقاً مع هذه الوساوس ٠

أما علاج هذا الداء فهو : انه لا مسؤولية في تداعي الافكار لانها لا ارادية غالباً ٠ ومن ثم فلا تسري طبيعة الافكار فيها بعضها مع بعض ، ومن ثم فلا يضر بعضها بعضاً ٠ اذ لا اختلاط ولا تماس فيه ، وانما هو مجرد جوار ولا شيء بعد ذلك ٠

ولذلك تقول : كما ان مجاورة الملاك للشيطان في أمور قلبية، ومجاورة الابرار للفجار ووجودهم مقتربين في صعيد واحد ، لا بأس فيه ، ولا يضرّ شيئاً ، كذلك تداخل الخواطر السيئة غير المقصودة مع الافكار الطاهرة لا يضرّ في شيء ٠

ولكن الضرر كل الضرر هو عندما تكون تلك الخواطر مقصودة ، أو أن تشغل بها نفسك كثيراً ، متوهماً ضررها بك ، فيرهق القلب ، ويشغل الفكر دون جدوى ٠٠٠ عندئذٍ ينتهز الشيطان اللعين تلكم الفرصة الثمينة فيقدم الاخيلة الخبيثة بسخاء وينثرها هنا وهناك ، مصائد لحبات القلوب الوديعة الطاهرة الطيبة ٠

الصورة الرابعة :

هي نوع من الوسوسة الناشئة من التشدد المفرط عند التحري للقيام بالاعمال على وجهها الاكمل الاتم ٠ فكلما زاد في التشدد هذا بأسم الورع والتقوى ازداد الامر سوءاً وتعقيداً ، حتى ليوشك أن يقع في الحرام في الوقت الذي يبتغي الوجه الاولى والاكمل في الاعمال الصالحة ٠

هذا وما اكثر ما يترك « الواجب » بسبب من تحرّيه المعوج عن « السنة » !! ويساءل نفسه بنفسه دائماً عن مدى صحة عمله وقبوله فتراه لذلك يعيده تكراراً حتى يطول به الامر فييأس اخيراً ٠٠٠ ويترك الشيطان يستفيد منه ، فيرميه بسهامه المسمومة في الصميم ، ويجرحه في الاعماق ٠٠

ولهذا الجرح عندنا دواءان اثنان :ـ

الدواء الاول : أعلم ان أمثال هذه الوساوس لا تليق بتاتاً الا بأهل الاعتزال لانهم كانوا يقولون : أن افعال المكلفين من حيث الجزاء الاخروي حسنة أو قبيحة في ذات نفسها ، ثم يأتي الشرع فيقرر ان هذا حسن وهذا قبيح ٠ اي أن الحسن والقبح أمران ذاتيان موجودان في طبيعة الاشياء ، حسب الجزاء الاخروى ، أما الاوامر والنواهي فهي تابعة لذلك ، ولاقرارها٠ ولذلك فان طبيعة هذا المذهب تؤدي بالانسان الى ان يستفسر دائماً ، وفي

كل أعمالـه ٠

نرى هل تم عملي على آكمل وجه مرضٍ ؛ من حيث هو أم لا ؟

أما نحن اصحاب الحق من أهل السنة والجماعة فنقول : بل ان الله سبحانه وتعالى يأمر بشيء فيكون « الشيء » حسناً وينهى عن شيء فيكون الشيء قبيحاً ٠ فبالامر والنهي يتحقق الحسن والقبح معاً ٠ أي أن الحسن والقبح يتقرران من وجهة نظر المكلّف، ويتعلقان بحسبِ خواتيمها في الآخرة دون النظر اليها في الدنيا ٠ فمثلاً :

لو توضأت أو صليت ٠ وكان هناك شيء ما خفي عليـك ما يفسـد صلاتك أو وضوءك دون اطلاعك عليه ، فستعتبر صلاتك ووضوءك في هذه الحالة كلاهما صحيحان ، وحسنان ، في آن واحد ٠

وعند المعتزلة : انهما قبيحان وفاسدان ولكنهما مقبولان منك لجهلك، ولمـا كان الجهل عذراً فأنت في ذلك معذور ٠

وهكذا ايها الاخ المبتلى ، فأخذاً بمذهب أهل السنة والجماعة يكون عملك صحيحا لا غبار عليه نظرا لموافقته ظاهر الشرع ، واياك أن توسوس، اذن ، في صحة عملك قط ٠٠ ولكن اياك أن تغتر بها ايضاً ، لانك لا تعلم علم اليقين ، هل هي مقبولة عند الله أم لا ؟ ٠٠ ولكنك ترجو ، وتخاف ، وهذا هو مقامك في التقوى ، ما دمت صاحياً واعياً ٠٠

الدواء الثاني: اعلم أن الاسلام دين الله الحق، وانه «لا حرج في الدين» كذلك، وما دام ادراك التقصير يتلافى بالاستغفار والذي هو أثقل ميزاناً من الغرور الناتج من الاعجاب بالأعمال الصالحة ٠ ذلك لئن يرَ الانسان نفسه مقصراً في عمله فيستغفر ، خيرٌ له الف مرة من أن يغتر اعجاباً بعمله ٠

نعم ، فما دام الامـر هكذا ، كما قلنـا ، فأطـرح الوساوس اذن ، واصرخ في وجه الشيطان :

ـ يا ملعون ، ان هذا الحال حرج ، وان الاطلاع على حقيقة الاحوال امرٌ صعب جداً ٠ لا بل ينافي اليسـر في الديـن ، ويخالف كلياً قاعـدة

« لا حرج الدين » و « الدين يسر » · وبناء على ما سبق ، عد الى نفسك وخاطبها بيقين قائلاً :

ـ يا نفسي الساذجة المخدوعة بألاعيب الشيطان ، ان عملي هذا لابد انـه سيوافق مذهباً من المذاهب الاسلامية الحقة ان شاء الله ، وانه لكفاني هذا وسيلة طيبة بأن جعلتني القي بنفسي بين يدي خالقي ومولاي ساجدا متضرعا اطلب المغفرة ، واعترف بتقصيري في العمل والعبادات ··· انه هو السميع البصير ·

الصـورة الخامسة :

الوساوس التي تنقمص اشكال الشبهات في قضايا الايمان ·

أيها الموسوس المحتار :

كثيراً ما تلتبس عليك خلجات الخيـال فتظنهـا منك ، ومن بنـات عقلك ··· ان الشبهات التي تنتاب خيالـك انما هي هواجس فحسب ، وليست بحالٍ من لاحوال من بنات فكرك ، ولا من شبهات عقلك البتة ، فتعتقد انها مما تزلزل قلبك وتزعزع ايمانك وتفقد ثقتك !!

وقد يظن الموسوس احياناً أخرى ، ان الشبهة التي يتوهمها ، انما هي شك يضرّ بايمانه ، وقد يظن تارة أخرى ان ما يتصوره من رؤى الشبهات كأن قد صدقه عقله ، وربما يحسب ثالثة ان كل تفكير في قضايـا الكفر كفراً ؛ اي انـه يحسب أن كل تنقيب وتمحيص ، وأن كل متابعة فكريـة ومحـاكمة عقليـة محايـدة مـن قبيـل اسـباب الضـلالات · وهـكذا يرتعش ، ويرتجف ، ويسقط ، وينهار أمام تيـار هذه الظنون ، وهـذه التلقينات الشيطانية الماكرة ، فيروح يصرخ ·

ـ وا ويلاه !! لقد ضاع قلبي وفسد ، وحار اعتقادي واختل · فماذا أعمل يا رب !! وكيف السبيل الى عودة العافية والسكينة مرة أخرى ؟

وبما أنه لا يستطيع أن يصلح تلك الاحوال غير الارادية ـ في الغالب ـ بأرادته الجزئية فحينئذ يتردى في هاوية اليأس القاتل ـ معاذ الله ·

أما العلاج لهذا ، فهو :ـ اعلم ان توهم الكفر ليس بكفر ، تماماً كما ان تخيل الكفر ليس بكفر ، وهكذا فقس :

فان تصور الضلالة ليس بضلالة ، مثلما ان التفكير في الضلالة ليس بضلالة ، ذلك لان التخيل والتوهم ، والتصور ، والتفكر ، كل اولئك متباين ومتغاير كلياً وجذرياً عن التصديق بالعقل والاذعان بالقلب ·

والحقيقة ؛ ان التخيل والتوهم والتصور والتفكر ، أمور حرة طليقة نوعاً ما · لذلك فهي لا تحفل بالجزء الاختياري المنبثق عن ارادة الانسان ، ولا ترضخ كثيراً تحت التبعات الدينية ·

ولكن التصديق والاذعان ليسا كذلك ، انهما خاضعان لميزان دقيق ، ولان كلاً من التخيل والتّوهم والتصور والتفكر ليس بتصديق واذعان فهو اذن لا يعدّ حتى شبهة بل ولا تردداً ·

ولكن احذر ، فانه اذا تكررت هذه الحالة ـ من دون اسباب ـ فمن الممكن أن تستقر في قرارة النفس ، وهي اذا استقرت ـ لا سمح الله ـ فقد يتمخض عنها لون من الشبهات ، وهنا قد ينزلق رويداً رويداً الى التزام « الطـرف المخـالف » باسم المحاكمات العقليـة الحياديـة ، والانصاف ، وما شابه ! · وعندها يتنصل نهائياً من الالتزامات الواجبة عليه بالضرورة والعقل والفطرة ، تجاه الحق ·· فيصبح هذا المظلوم الظالم على شفا جرف هار من الكفر والضلال · اذ تتقرر في ذهنه حالة هي أشبه ما تكون وكأنـه مفوض ومخول لا من سلطان عقله وحريته وأرادته ، بل من الطرف المخالف؛ أي الخصم أو الشيطان المتربص الذي يتلصص بخائنة الاعين ·

ولعل أهم نوع من هذه الوسوسة الخطيرة هو :

ان الموسوس الحـيران يلتبس عليه « الممكن الـذاتي » و « الممكن الذهني » أي أنه يتوهم بذهنه ويشك بعقله ما يراه ممكناً في ذاته · علماً بأن هنالك « قاعدة كلامية » في علم المنطق تنص على : أن « الممكن الذاتي » لا ينافي « اليقين العلمي » · ومن ثم فـلا تعارض ولا تضاد بينهما وبـين

الضرورات الذهنية وبديهياتها. ولتوضيح ذلك نسوق اليك هذا المثال البسيط.

من الممكن جداً ان يغور البحر الاسود ، وهذا شيء محتمل وهو من « الممكنات » ولكننا الآن نحكم قطعاً بوجود البحر المذكور وفي موقعه الحالي من جغرافية العالم ، ولا نشك في ذلك مقدار شعرة . اليس كذلك ؟!

اذن فالاحتمال « الممكن » ذاك « والممكن الذاتي » كلاهما لا يولدان لدينا شبهة ولا شكاً ، بل لا يخلان بيقيننا أبداً .

ومثال آخر : أن الشمس من الممكن الا تغيب اليوم ، ومن الممكن كذلك الا تشرق غدا !! الا أن هذا « الممكن » لا يخل بيقيننا في أي حال من الاحوال ، ولا يطرأ أصغر شبهة عليه .. وهكذا بالنسبة للدنيا والآخرة ، فان مثلهما كمثل الشمس في غروبها والشمس في شروقها . اذ لابد أن يكون للدنيا هذه من غروب .. ولابد كذلك للحياة الاخرى من شروق ، سواءً بسواء . وكل الاحتمالات الممكنة ـ مهما كانت، وكيفما صارت ـ فهي لاتولّد فينا شكوكاً أو شبهات في ايماننا اليقيني الثابت في حقيقة (فناء الدنيا) وحقيقة [قيام الآخرة] يوماً ما . وهنا نورد لك كذلك القاعدة الاصولية المشهورة في الدين والفقه التي تقول بعبارة واضحة هادئة حاسمة ، قاطعة على الظنون والشكوك والاوهام جميعها، لتكون الحكم الفصل في هذه القضية قبل الختام وهي : « لا اعتبار للاحتمال غير الناشىء عن الدليل » .

ولرب سائل يسأل : ترى ما الحكمة من ابتلاء المؤمنين بهذه الوساوس المزعجة للنفس والمؤلمة للقلب ؟!

الجواب : اننا في الحقيقة اذا ما نحّينا الافراط والغلبة جانباً فان الوسوسة ، عندئذٍ ، نراها تكون لنا باذن الله :

حافزة قوية لليقين ، ودعاية مشوّقة الى البحث والتحرى ، ووسيلة مفيدة الى الجدية ، ومطردة بارعة لعدم المبالاة ، ودافعة مخلصة للتهاون .. ولأجل ذلك كله ، اعطى العليم الحكيم سياط الوسوسة ـ في دار الامتحان هذه وميدان السباق هذا ـ بيد الشيطان كي يسوق الى تلك الحكم ، واذا ما افرط في الاذى ، فررنا اليه وحده سبحانه مستصرخين اياه كما علّمنا هو بـ : فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

[الكلمة السادسة]

[ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة]

التجارة الرابحة

اذا اردت ايها المؤمن ان تعلم كم هي تجارة رابحة ، ومرتبة مشرفة ودرجة عالية ، ذاك الذي يبيع ماله ونفسه الى الله تعالى ، ويتشرف فيكون عبداً وجندياً له ، فانصت اذن الى هذه الحكاية القصيرة ·

وضع أحد السلاطين عند اثنين من رعاياه مزرعة كبيرة وديعة وأمانة وكان في هذه المزرعة كل شيء من مكائن وآلات ومصانع واسلحة وحيوانات وغيرها ، ووافق ان كان الوقت آنذاك وقت حرب طاحنة تدمر كل شيء وتجعله أثراً بعد عين · مما كان بسبب اضطراباً شديداً وضياعاً لكل شيء تبديلاً أو تدميراً ·

من أجل ذلك أرسل السلطان العظيم ـ رحمة منه ـ أحد رجاله المقربين المعتمدين مصحوباً بأمره الكريم ليقول لهما :

بيعوا لي ما لديكم من أمانتي لكي احفظها لكم ، فلا تذهب هباءً في هذا الوقت العصيب وسأردّها اليكم ، حينما تضع الحرب أوزارها ، بأجمل صورة وأحسن شكل ·

وكأن الامانة هي ملككم فسأوفي ثمنها لكم غالياً ·

وسأشغل المكائن والآلات التي في حوزتكم في معاملي بأسمي وعهدتي ··، ولابد ان سترتفع اثمانها واحداً بألف ، فضلاً عن أن جميع الارباح ستكون لكم أيضاً ·

وسأتعهد عنكم بجميع تكاليفها ومصاريفها ، ذلك لانكم عاجزون فقراء معدمين لا تتحملون مصاريف تلك المكائن ·

وسأردّ لكم جميع وارداتها ومنافعها علماً أني سأبقيها عندكم لكي تستفيدوا منها وتتمتعوا بها الى أن يحين وقت أخذها ·

فتلك خمس مراتب من الارباح في صفقة واحدة ٠

وان رفضتم بيعها فانها بلاشــك ستزول وتذهب من أيديكم ، فكما ترون لا يتمكن احد أن يحتفظ بها عنده ، ومن ثم فستذهب هباءً ٠

وستحرمون من تلك الاثمان الغالية ٠

وستهمل تلك الآلات الدقيقة النفيسة والموازين الحساسة والمعــادن الثمينة لعدم استعمالها في اعمال راقية وتفقد كل قيمتها لعدم وجود موادها الاولية الخاصة بهــا ٠

وستتحملون ادارتها وتكاليفها انتم وحدكم ٠

وسترون جزاء خيانتكم للامانة ٠

فتلك خمس خسائر في صفقة واحدة ٠

وفوق هذا كله ، ان الذي يبيع ، يصبح جندياً حراً أبياً خاصا بي ، فيتصرف باسمي ، وليس أسيراً عادياً وشخصاً سائباً ٠

فانصت الرجلان ملياً الى هذا الكلام الطيب والامر السلطاني البليغ ٠ فقال احدهما ــ وهو العاقل الرزين ــ سمعا وطاعة لأمــر السلطان ، فقد رضيت بالبيع فخوراً مع ألف شكر ٠ اما الآخر ــ وهــو المعجب بنفسه ــ المتفرعن ظن أن مزرعته لا تبيد أبداً ، غافلاً عن تقلبات الدهر واضطراب الدنيا فقال :ــ

لا ٠٠ ومن هذا السلطان ؟ فأنا لا أبيع ملكي ولا اعكر صفو نشوتي ٠٠

ودارت دورة الزمان ٠٠ فأصبح الرجل الأول في مقام يغبطه الناس جميعاً ، اذ اضحى يعيش في بحبوحة قصر السلطان ٠ يتنعم بألطافه ويتقلب على أرائك افضاله ٠٠

أما الآخر فقد ابتلى بشرّ بلاء وحالت عليه أحوال يُرثى لها ، رغــم انه يستحقها ، اذ هو الذي ورّط نفسه في هذا الدرك الاسفل من التعاسة والشقاء ٠ فلا دامت له نشوته ولا دام له ملكه بل جوزي بمرارة العــذاب جزاءً وفاقاً ٠

فيا نفسي المغرورة !!

انظري من خلال هذه الحكاية الى وجه الحقيقة الناصعة ٠

فالسلطان هو سلطان الازل والابد وهو ربك وخالقك !!

والمزرعة والمكائن والآلات هي كل ما في الحياة الدنيا من جسم وروح وقلب وما فيها من سمع وبصر وعقل وخيال ، أي جميع الحواس الظاهرة والباطنة ٠ وأما الرسول الكريم فهو « سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم »٠ وأما الامر السلطاني المحكم فهو القرآن الكريم الذي يعلن ما نحن بصدده من البيع والتجارة في هذه الآية :

« إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهُم وأموالهُم بأنّ لهم الجنة » ٠
(التوبـة / ١١١) .

وأما الميدان المضطرب والحرب المدمرة فهي أحوال هـذه الدنيا ، اذ لا قـرار فيهـا ولا ثبات وكلها تقلبات تلحّ على فكر الانسان بهذا السؤال:

انّ جميع ما نملك لا يستقر ولا يبقى في أيدينا ، بل يذهب ويفنى ويغيب عنا ٠ أليس هناك من علاج ووقاية لهذا ؟ ألا يمكن أن يحل البقـاء بهذا الفنـاء ؟!!

وبينما الانسان غارقٌ في هذا التفكير ، اذا به يسمع صدى القـرآن السماوي يدوّي في الآفاق جيلاً بعد جيل : [انّ الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأنّ لهم الجنة] ٠

فهنا العلاج ٠٠ هنا العلاج المريح اللطيف ٠٠٠ بل هنا الربح العظيم٠ فان الذي يبيع تلك الأمانة الى مالكها الحقيقي يربح ربحاً عظيماً في خمس درجـات :

أولاً : ان المال الذي يفنى يصبح باقياً ٠ فاذا أعطى العمـر الـزائل وصرف في سـبيل الحي القيـوم فانه ينقلب الى عمـر أبدي خالـد بـاق ٠ وسيثمر ثماراً طيبة يانعة خالدة ٠ حتى دقائق وساعات العمـر التي تفنى كالبذور تتفتح بزوالها في عالم البقاء والخلود ، أزاهـير السـعادة وتثمر وتتحول الى مناظر وضاءة جذابة مؤنسة في عالم البرزخ ٠

الربح الثاني : الثمن : الجنة ٠

الربح الثالث : ان كل عضو وحاسة يرتفع ويغلو ثمنه من الواحدة الى الألف ٠

فمثلا : العقل عضو وآلة ان لم تبعه لله وتجعله في سبيله واستعملته بدل ذلك في سبيل الهوى والنفس ، فانه يتحول الى عضو مشؤوم مزعج وعاجز ، اذ يحمّل الانسان كل الآلام الحزينة للماضي وجميع الأهوال المخيفة للمستقبل ، فينحدر عندئذ الى درك آلة مضرة مشؤومة ، وهذا هو السبب في انهزام الرجل الفاسق وهروبه غالباً من واقع حياته الى السكر والانغماس في اللهو انقاذاً لنفسه من ازعاجات عقله ٠

ولكن ، اذا بيع العقل الى الله واستعمل في سبيله ولأجله ، فانه يكون عندئذ مفتاحاً رائعاً لفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الالهية ، وكنوز الحكمة الربانية ٠ فاينما ينظر ويفكر يرى الحكمة الالهية في كل خلق ، وكل موجود ، وكل حادثة ٠ ويرى الرحمة الالهية متجلية على الوجود فيرقى العقل بذلك الى مرتبة مرشد رباني يهيىء صاحبه للسعادة الأبدية ٠

ومثلا : العين وهي احدى الحواس ، وهي نافذة تطل الروح من خلالها على هذا العالم ٠ ان لم تستعمل في سبيل الله ، واستعملت لأجل النفس والهوى فانها بمشاهدتها لبعض المناظر الجميلة المؤقتة الزائلة تصبح في درك الخادمة السمسارة الدنيئة لاثارة شهوات النفس والهوى ٠ وان بعتها الى خالقها وبارئها واستعملتها فيما يرضيه ولأجله وفي سبيله ؛ عندئذ تكون هذه العين : قارئة ومطالعة لكتاب الكون الكبير هذا ، ومشاهدة لمعجزات الصنعة الربانية في الوجود ، فترقى الى درجات مباركة فتكون كالنحلة بين أزاهير الرحمة الالهية في بستان الأرض فتقطر من شهد العبرة والمعرفة والمحبة نور الشهادة الى القلب المؤمن ٠

ومثلا : ان لم تبع حاسة الذوق الى فاطرها الحكيم واستعملتها لأجل

المعدة ، والنفس فحينئذ تهوي وتهبط الى درك بواب معمل المعدة واصطبلها. ولكن ان بعتها الى الرزاق الكريم ، عندها ترقى هذه الحاسة الى درجة ناظر ماهر لخزائن الرحمة الالهية ومفتش شاكر لانعم القدرة الصمدانية ... وهكذا .

فيا أيها العاقل : أفق ، أين الآلة المشؤومة من مفتاح كنوز الكون ؟

ويا ايتها العين : أبصري جيداً اين السمسرة الدنيئة من الامعان في المكتبة الالهية ...

ويا أيها اللسان !! ذق بحلاوة . اين بواب المعمل والاصطبل من ناظر خزينة الرحمة الالهية ؟! وان شئت فقس بقية الأعضاء والحواس على هذا ، عندها تفهم : ان المؤمن حقاً يكسب خاصية تليق بالجنة . كما ان الكافر يكتسب ماهية توافق جهنم . وما جزاء كل منهما الا لأن المؤمن بايمانه قد استعمل أمانة خالقه باسمه سبحانه وضمن دائرة مرضاته . وان الكافر قد خان الأمانة فاستعملها لهواه ولنفسه الأمارة بالسوء .

الربح الرابع : ان الانسان ضعيف ومصائبه كثيرة ، وفقير وحاجاته في ازدياد ، وعاجز وتكاليف عيشه مرهقة .

فان لم يتوكل على العلي القدير ، ويعتمد عليه مسلماً اليه أموره فسيبقى وجدانه في عذاب دائم ، وتخنقه آلامه وحسراته وكدحه العقيم ، أو يحوله الى مجرم أو سكير مزمن .

الربح الخامس : انه من المتفق عليه اجماعاً بين أهل الاختصاص والشهود والذوق والكشف أن تلك العبادات والأذكار والتسبيحات التي قامت بها الأعضاء عندما تعمل ضمن مرضاته سبحانه ، تتحول الى صور ثمار طيبة لذيذة في الجنة وتقدم اليك في وقت أنت في أمس الحاجة اليها .

وهكذا ان لم تقم بهذه التجارة المربحة فستحرم من هذه الأرباح جميعها وستخسر خمس خسارات اخرى هي :

الخسارة الاولى :ـ ان كل ما تعشقه وتحبه من مال وأولاد ونفس

وحياة وشباب سينفد ويزول مخلفاً اثمه وآلامه مثقلا به ظهرك ٠

الخسارة الثانية :ـ ان العقاب لابد منه لكل من يخون الأمانة ، فانك قد ظلمت نفسك باستعمالك اثمن الآلات والأعضاء في أخس الأعمال ٠

الخسارة الثالثة : لقد افتريت وجنيت على الحكمة الالهية ٠ اذ اسقطت جميع تلك الأجهزة الانسانية الغالية الرائعة الى دركات الأنعام بل اضـل ٠

الخسارة الرابعة :ـ ستدعو بالويل والثبور دائماً وتئن من صدمة الفراق والزوال ووطأة تكاليف الحياة التي أرهقت بها كاهلك الضعيف مع أن فقرك قائم وعجزك دائم ٠

الخسارة الخامسة :ـ ان هدايا الرحمن الجميلة كالعقل والقلب والعين وما شابهها ، ما وهبت لك الا لتهيئك لفتح أبواب السعادة الأبدية ، ولكنها تتحول الى صورة مؤلمة حيث تفتح لك ابواب جهنم ٠

والآن ٠٠٠ سننظر الى البيع هذا ٠٠٠ فهل أنه ثقيل ومتعب بحيث لا يدنو منه الكثيرون ٠٠٠ ؟!

كلا ثم كلا ٠٠٠ فلا ثقل فيه أبداً ٠ لأن دائرة الحلال واسعة فسيحة ٠٠٠ وتكفي للراحة والسعادة والسرور ٠ فلا تبقى حاجة اطلاقاً للولوج في الحرام ٠

أما الفرائض الالهية فهي كذلك خفيفة وقليلة ، وان العبودية لله سبحانه وشرف الجندية في سبيله لذيذ ومشرف ما لا يكاد وصفه وتعريفه٠

والواجب هو : ان تكون ذلك الجندي فتبدأ باسم الله ، وتعمل باسمه ، وتأخذ وتعطي في سبيله ولأجله ٠٠ وتتحرك وتسكن ضمن دائرة مرضاته وأوامره ٠٠ وان كان هناك تقصير فأمامك باب « الاستغفار » فتضرع اليه وقل : اللهم أغفر لنا خطايانا ، واقبلنا في عبادك ، واجعلنا أمناء على ما أمنته عندنا الى يوم لقائك ٠٠ آمين ٠

[الكلمة الحادية عشـرة]



ايها الأخ : ان كنت تريد أن تفهم شـيئاً من اسـرار حكمة العـالم وطلسمه ، ولغز خلق الانسان ورموز حقيقة الصلاة فتأمل في هذه الحكاية القصـيرة :

كان في زمان ما سلطان له ثروات طائلة وخزائن هائلة تحوي جميع أنواع الجواهر والماس والزمرد ، مع دفائن خفية اخرى عجيبة جداً • وكان صاحب علم واسع جدا ، واحاطة تامة ، واطلاع شامل بالعلوم البديعة التي لا تحد مع مهارات فائقة وبدائع الصنعة •

وحيث ان كل ذي جمال وكمال يحب أن يشهد ويشـاهد جمالـه وكماله ، كذلك هذا السلطان العظيم ، أراد أن يفتح معرضاً هائلا لعرض مصنوعاته الدقيقة كي يلفت أنظار رعيته الى أبهة سلطنته ، وعظمة ثروته بما يظهر لهم من خوارق صنعته الدقيقة وعجـائب معرفته وغرائبهـا ، فيشاهد جماله وكماله المعنويين على وجهين : الاول : أن يرى بنظره البصير الثاقب الدقيق ، والثاني : ان يرى معروضاته بنظر الآخرين •

ولاجل هذه الحكمة بدأ هذا السلطان بتشييد قصر فخم شامخ جدا ، وقسمه بشكل بارع الى منازل ودوائر مزينا كل قسم بمرصعات خزائنه المتنوعة ، وجمله بما عملت يداه من ألطف آثـار ابداعه وأجملها ، ونظمه ونسقه بأدق دقائق فنون علمه وحكمته ، فجهزه وحسنه بالآثار المعجـزة لخـوارق عملـه •

وبعد أن أتمه وكمله ، أقام في القصر موائد فاخرة بهيجة تضم جميع أنواعأطعمته اللذيذة ، وأفضل نعمه الثمينة ، مخصصا لكل طائفة ما يليق

بها ويوافقها من الموائد ، فأعد بذلك ضيافة فاخـرة عامـة ، مظهرا سخاءا وكرما لم يشهد له مثيل ، بما ملأ تلك الموائد من لطائف الصنعـة الدقيقة وآثارها وبما مد عليها من النعم الغالية التي لا تحصى ٠

ثم دعا أهالي أقطار مملكته ، ورعاياه ، للتفرج والتنزه والضيافـة ، وعلّم كبير رسل القصر المكرمين مافي هذا القصر العظيم من حكم رائعة ، ومافي جوانبه ومشتملاته من معان دقيقة ، مخصصاً اياه معلما رائدا واستاذا بارعاً على رعيته ، ليعلّم عظمة الذي بنى القصر وصنع ما فيه من نقوش بديعة موزونة ، ومعرفا لكل من يدخله رموزه وما تعنيه هذه المرصعات المنتظمة والاشارات الدقيقة التي فيه ، ومدى دلالتها على عظمة صاحب القصر وكماله الفائق ومهارته الدقيقـة ٠ ويبين أيضاً للداخلين القصر تعليمات مراسـيم التشريفات بما في ذلك آداب الدخول والتجول ، وأصول السير ، وفـق ما يرضي السلطان الذي لا يُرى الا من وراء حجاب ٠

وكان هذا المعلم الخبير يتوسط تلامذته في أوسع دائـرة من دوائـر القصر الضخم وكان مساعدوه منتشرين في كل من الدوائر الاخرى للقصر ٠

بدأ المعلم هذا بالقاء توجيهاته قائلا :

ايها الناس ان سيدنا مالك هـذا القصر الواسع البديع ، قـد قصد ببنائه هذا أن يعرّف نفسه اليكم بما ترونه أمام أعينكم من مظاهـر ذات بهجة ، فما عليكم الا السعي الدائب لمعرفته جيدا ٠

وانه بهذه التزيينات الجمالية ، يريد أن يحبب نفسه اليكم ، فحببوا أنفسكم اليه ، باستحسانكم أعماله وتقديركم لصنعته ٠

وأنه يتودد اليكم ويريكم محبته بما يسبغه عليـكم من آلائه ونعمه وأفضاله فأحبوه كذلك بحسن اصغائكم لاوامره وبطاعتكم اياه ٠

وانه يظهر لكم شفقته ورحمته بهذا الاكرام والاغداق من النعم فقابلوه أنتم كذلك بالشكر والتعظيم والتوقير ٠

وانه يريد أن يظهر لكم جماله المعنوي بآثار كماله في هذه المصنوعات

الجميلة الكاملة فأظهروا أنتم شوقكم ولهفتكم للقائه ورؤيته ، ونيل رضاه.

وانــه يريــد منكم أن تعرفــوا : أنــه الســلطان المتفرد بالحاكمية والاستقلال ، بما ترون من شعاره الخاص ، وخاتمه المخصص ، وطرته التي لا تقلد على جميع المصنوعات ٠٠ فكل شيء يعود اليه ، وخاص به ، صادر من يد قدرته ٠ فعليكم أن تدركوا جيداً ، ان لا سلطان ولا حاكم الا هو ٠ فهو السلطان الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا مثيل ٠٠

كان هذا المعلم الكبير يخاطب الداخلين للقصر والمتفرجين ، بمثل هذا الكلام الذي يناسب مقام السلطان وعظمته واحسانه ٠

ثم ان المشاهدين الذين دخلوا القصر قد انقسموا الى فريقين :

الفريق الاول : وهم ذوو العقول النيرة ٠ والقلوب الصافية الساكنة المدركون قدر أنفسهم ، فحيثما يتجولون ــ في آفاق هــذا القصر العظيم ــ ويسرحون بنظرهم الى عجائبه يقولون : لابــد أن في هــذا أمرا عظيما !! ولابد أن وراءه غاية ســامية !٠٠ فعلموا ان ليس هناك عبث ، وليس هو بلعب ، ولا هو بلهو صبياني ومن حيرتهم بدأوا يقولون :

ياترى أين يكمن حل لغز القصر ، وما الحكمة في ما شاهدناه ونشاهده؟!!

وبينما هم يتأملون ويتحاورون في الامــر ، اذا بهــم يســمعون صوت خطبة بليغة وبيانات رائعة من ذلك الاستاذ العارف ٠ فعلموا ان لديه مفاتيح جميع الاسرار وحل جميع الالغاز ، فأقبلوا اليه مسرعين :ــ

ــ السلام عليكم أيها الاستاذ ٠٠ ان مثل هذا القصر الباذخ ينبغي أن يكون له عرّيفا صادقا ، ومدققا امينا مثلك ، فالرجاء أن تعلمنا مما علمه سيدنا العظيم ٠

فذكّرهم الاستاذ بخطبته الآنفة الذكر ، فاستمعوا اليه خاشعين ، وتقبلوا كلامه بكل رضى وطمأنينة ، فغنموا أيما غنيمة ، اذ عملوا ضمن دائرة مرضاة سلطانهم فرضي عنهم السلطان بما أبدوا من رضى وسرور لاوامــره ٠ فدعاهــم الى قصــر أعظم وأرقى يكاد لا يمكن وصفه ، وأكرمهم

بسعادة أبدية فيه ، بما يليق بالمالك الجواد الكريم ، وتلائم هؤلاء الضيوف الكرام المتأدبين ، وحرى بهؤلاء المطيعين المنقادين للاوامر ٠

أما الفريق الآخر : وهم الذين قد فسدت عقولهم ، وانطفأت جذوة قلوبهم ، فما أن دخلوا القصر ، حتى غلبت عليهم شهواتهم ، فلم يعودوا يلتفتوا الا لما تشتهيه أنفسهم من الاطعمة اللذيذة ، صارفين أبصارهم عن جميع تلك المحاسن ، سادّين آذانهم عن جميع تلك الارشادات الصادرة من ذلك المعلم العظيم ، وتوجيهات تلاميذه ٠

فأقبلوا على المأكولات بشراهة ونهم ، كالحيوانات ، فأطبقت عليهم الغفلة والهوى وغشيهم السكر ، حتى فقدوا أنفسهم لكثرة ما أفرطوا في الاكل والشرب ، فبدأوا بالعربدة والمجون وازعاج الضيوف الآخرين ٠ فأساءوا الادب مع قوانين السلطان المعظم وانظمته ، لذا أخذهم جنوده وساقوهم الى سجن رهيب لينالوا عقابهم الحق ، جزاء وفاقا على ما عملوا من سوء الخلق ، وخرق لابسط آداب الضيافة ٠

فيا من ينصت معي الى هذه الحكاية ! لابد انك قد فهمت ان ذلك السلطان قد بنى هذا القصر الشامخ لاجل تلك المقاصد المذكورة ، فحصول تلك المقاصد يتوقف على أمرين :ـ

١ ـ وجود ذلك المعلم الاستاذ الذى شاهدناه وسمعنا خطابه ، اذ لولاه لذهبت تلك المقاصد هباءا منثورا ، ولغدا القصر كالكتاب المبهم الذى لا يفهم معناه ، حيث لا معلم يشرحه ، ولا استاذ يبينه ، فيظل مجرد أوراق تطاير معناها !٠٠

٢ ـ اصغاء الناس الى كلام ذلك المعلم ، وتقبلهم له ٠ بمعنى ان وجود الاستاذ مدعاة لوجود القصر ٠ واستماع الناس اليه سبب لبقاء القصر ، لذا يمكن القول : لم يكن السلطان العظيم ليبني هذا القصر لولا هذا الاستاذ ، وكذا يمكن القول : حينما يصبح الناس لا يصغون اليه ولا يلقون بالا الى كلامه ، فسيغير السلطان ويبدل هذا القصر ٠

الى هنا انتهت القصة يا صديقي · فان كنت قد فهمت سر الحكاية ، فانظر من خلاله الى وجه الحقيقة :

اجل ؛ ان ذلك القصر هو هذا العالم ، المسقف بهذه السماء المتلألئة بالنجوم المتبسمة ، والمبلط بهذه الارض المزينة من الشرق الى الغرب - بالازهار المتجددة كل يوم ·

وذلك السلطان العظيم ، هو الله سبحانه وتعالى سلطان الازل والابد الملك القدوس ذو الجلال والاكرام الذي (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ··) حيث أن (كل قد علم صلاته وتسبيحه) · وهو القدير (الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره) ·

أما منازل ذلك القصر فهي ثمانية عشر الفاً من العوالم التي تزينت كل منها وانتظمت بما يلائمها من مخلوقات ·

اما الصنائع الغريبة في ذلك القصر فهي معجزات القدرة الالهية الظاهر في عالمنا لكل ذى بصر وبصيرة ·

وما تراه من الاطعمة اللذيذة التي فيه ، هي علامات الرحمة الالهية من الاثمار والفواكه البديعة التي تشاهد بكل وضوح في جميع مواسم السنة وخاصة في الصيف وبالأخص في بساتين (بارلا) ·

ومطبخ هذا القصر هو سطح الارض وقلبها الذى يتّقد ناراً ·

وما رأيته في الحكاية من الجواهر في تلك الكنوز الدفينة هي في الواقع امثلة لتجليات الاسماء الحسنى المقدسة ·

وما رأيناه من النقوش ورموزها هي هذه المخلوقات المزينة المنتظمة للعالم التي هي نقوش موزونة لقلم القدرة الدالة على اسماء القدير ذي الجلال ·

اما ذلك المعلم الاستاذ فهو سيدنا ، وسيد الكونين محمد عليه الصلاة والسلام ، ومساعدوه هم الانبياء عليهم السلام ، وتلاميذه هم الاولياء الصالحون ، والعلماء الاصفياء ؛

أما خدام السلطان العظيم فهم الملائكة عليهم السلام في هذا العالم ·

وأما جميع من دُعوا الى دار ضيافة الدنيا فهم اشارة الى الانس والجن وما يخدم الانسان من حيوانات وأنعام ·

وأما الفريقان :

فالأول : هم اهل الايمان الذين يتتلمذون على مائدة القرآن الكريم الذي يفسّر لهم آيات كتاب الكون الواسع ومعناها وحكمتها ·

والآخر : هم اهل الكفر والطغيان الصمّ البكم الضالون الذين اتبعوا اهواءهم والشيطان ، فما عرفوا من الحياة الا ظاهرها ، فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ·

حقيقة الدنيا

يقول داعية اهل الضلالة وممثلها(١) :

ـ ان الدنيا في أحاديثكم النبوية ملعونة ·· وقد ذكرت بأنها « جيفة » ··· وقد استحقرها أهل العلم والولاية جميعا وقالوا : « بأنها قذرة » ، « تافهة » ··· فما بالك تذكرها في ما تكتب بأنها : مدار جميع الكمالات الالهية ومنبعها ، وحجة عظيمة لمعرفته سبحانه وتعالى · بل انك تبحث عنها وكأنك مشتاق اليها ؟!

اقول(٢) : اني نظرت الى الدنيا التي ابتلي بها الناس ، وتأملت فيها كثيرا ، وبالاخص في الذين أخذوا يعبدونها !·· فرأيت بنور القرآن الكريم أن :

لكل منا في هذه الدنيا : دنيا خاصة به ، أي ان هناك دنى متداخلة بعدد البشر وحياة كل شخص هي عمود عالمه ومستنده ، فاذا ما تهدم جسم أي انسان ، فانما انتهت دنياه هو وقامت قيامته ، ولكن الغافل الجاهل عندما يرى استقرار العالم حوله ـ بعد موت أحد ـ يذهب الى عشقه وغرامه ناسيا ان دنياه قصيرة خاطفة وستزول منهذا الوجود عن قريب بل فيلمحة·

ثم نظرت الى دنياي الخاصة ـ السريع الزوال ـ وذلك بعين الدرس والعبرة ، فرأيت بنور القرآن الكريم أنها :ـ

- متجر موقت لي ولغيري ·
- ودار ضيافة لا تكاد تملأ حتى تفرغ كل يوم من أفواج المسافرين ·
- وسوق مقام للغادين والرائحين من الضيوف ·

---

(١) الرمز الخامس من الموقف الثاني من الكلمة الثانية والثلاثين ·
(٢) من الرجاء الثامن من رسالة الشيوخ /اللمعات ·

- وكتاب مفتوح تتجدد فيه نقوش المصور الازلي فيثبت ويمحي ما يشاء بكل حكمة وعلم ·
- وقصيدة منظومة تترنم بأسماء خالقها في كل موسم ·
- ورسالة مرصعة ومذهبة الى كل ذي حياة تذكر آلاء باعثها وبخاصة في الربيـع ·
- ومرايا تتجدد وتظهر لكل راء روائع تجليات الاسماء الحسنى لـذي الجـلال والجمال والكمال ·
- ومزرعة وحديقة لغراس الآخرة ·
- وبستان أزاهير للرحمة الالهية ·
- ومصنع لتجهيز اللوحات الربانية الخالدة لـما تظهـر في عالم البقـاء والخلود · فشكرت الخالق الكريم وحمدته شكراً وحمداً لا يستغرقه العد ، لخلقه الدنيا على هذه الصورة ·

ثم ان للدنيا ثلاث وجوه :

(الوجـه الأول)

وهو الوجه المتوجه الى أسماء الله الحسنى يبرز بدائع صنعه الحـكيم ·· فهـذا الوجـه كتـاب مفتوح منظـور فيـه ما لا يحـد من المكتوبات الصمدانية ·· فهو كالمرايا لتجليات أسمائه الحسنى (تعكسـها للانظـار بحيث يقرأه ويراه كل ناظر اليه بعين الدقة والتأمل) فوجه كهذا الوجـه لاشك انه جميل محبوب ، ورائع جذاب ، بل انه يستحق الحب والعشق وليس النفور والتقزز ·

(الوجـه الثاني)

وهو الذي ينظر ويتوجه الى الآخرة · فهو مزرعة الآخرة ·· مزرعة الجنة ·· وبستان مزهر للرحمة الالهية · فهذا الوجه ، جميـل أيضا بل رائع جدا كالوجه الاول تماما ، لذا فهو يستحق المحبة والتقدير والاكبار ، لا النفور والتحقير والاهمال ·

أي أن(١) هـذين الوجهـين ـ تجليـات الاسماء الحسنى ، ومزرعة الآخـرة ـ ليسـا مما ينقص العبودية اذا ما توغل فيهمـا قلب المـؤمن • بل العـكس هو الصحيح والمطلوب • اذ ان الانسان كلما توغـل فيهما ، وأطال النظر اليهما بتدبر وتفكر ، احبهما حبا شديدا فيزداد عندئذ معرفة بالله سبحانه ، فينشط ويسعى في عمله ويجدّ في عبادته ، وعندئذ يرقى في مراتب الكمالات •• (لان عمله ، ونظره ، ينقلبان من الزوال الفاني الى الخلود الباقي) •

واذا شئت فانظر الى حياة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين والى تابعيهم كيف دخلوا الى أعماق الدنيا من هـذين الوجهين الكريمين : فنظروا الى الموجودات بعـين الشوق والحب والى الحـوادث بعـين العبرة والدرس كأنها مرايا عاكسة لتجليات الاسماء الحسنى ، ونظروا الى الدنيا مزرعة للآخرة • فكان كل نظرهم عبرة ، وكل عملهم زرع للاخرة وجنى لثمارهـا •

(الوجه الثالث)

هذا الوجه ينظر الىهوى الانسان ويتطلع الىنفسه الأمارة بما فيها منحقد وحسد ، وكبر ، وحب جاه وغرور • وجميع النوازع السافلة • لذا فهو ستار الغفلة ، ومثير للشهوات الوضيعة لاهل الدنيا • فهو وجه فان زائل ، مؤلم ، خداع •• فهو وجـه قبيح ، ودميم ، ومرفوض • لذا فكل ما ورد من الاحاديث النبوية الشريفة في النهي عن طلب الدنيا ، وما ذكره أهل العلم من قذراتها ، ودناءتها ، وفنائها •• هو هذا الوجه •

أما ما بحثه القرآن الكريم باهتمام بالغ واستحسان واعجاب عـن الكون والحياة والموجودات ، فهو متوجه بلا شـك الى الوجهين الأولين ، وكذلك كانت الدنيا المرغوبة فيه عند الصحابة الكرام رضوان الله عليهـم اجمعين وعند اهل العلم والولاية والصلاح •

(١) ذيل الكلمة السابعة والعشرين •

وان الحب الذي كان على الانسان أن يظهره للدنيا عنـد نظره الى الوجهين الاولين اللطيفين قد أخطأ المرمى ، وجانب الصواب ، فأدار هذا الانسان النكد وجهه الى الوجه القبيح الدميم الفاني المضر الزائل أي الى الوجه الثالث فحق عليه الحديث الشريف :

« حب الدنيا رأس كل خطيئة »

نعم(١) ، ان الذي ينصت الى صوت القرآن الكريم ، ويتدبر معانيه ، يفهم بنور الحقائق الربانية التي فيه ماهية الدنيا وحقيقتها ، وان الركون اليها تافه فضلاً عن حبها وعشقها ، حيث يقول بل يثبت :

ان الدنيا كتاب رباني صمداني مفتوح للانظار ، حروفها وكلماتهـا لا تمثل نفسها ، بل تدل وتشير الى ذات بارئها المقدسة وصفاته وأسمائه الحسنى ، (اذ كما لا تدل حروف كتاب على نفسها ، وانما على معاني كلماتها ، كذلك الوجود) ٠٠ لذا :

- أفهم معاني الدنيا وخذ بها ، ودع نقوشها وزخارفها ٠
- واعلم انها مزرعة للآخرة ، فازرع واجنِ ثمارها واحفظها ، واهمل مزخرفاتها الفانية ٠
- واعلم انها مجاميع مرايا متعاقبة تأتي وتمضي دائماً ، لذا تعرف بهـا الى ما يتجلى فيها ، وعاين أنوارها وادرك الاسماء المتجلية فيها واحبب مسمياتها ، واقطع علاقتك عن تلك القطع الزجاجة القابلة للكسر ٠
- واعلم انها متجر سيار ٠ فافهم ، وقم بالبيع والشراء المطلوب منك ، دون أن تلهث وراء القوافل التي أهملتك ، وجاوزتك ، والا تتعب ٠
- واعلم انها متنزه موقت ، فاسرح ببصرك فيها للعبرة ودقق في الوجه الجميل المستتر المتوجه الى الباقي الجميل ، واصرف وجهك عن وجهه القبيح الدميم المتوجه الى هوى النفس ٠

---

(١) الكلمة السابعة عشرة ـ الفقرة الأخيرة ٠

- لا تبك كالطفل الغرير عند انسدال الستائر التي تريك تلك المناظر الجميلة فهي دار ضيافة ، وانت فيها ضيف كريم · لذا كل ، واشرب، ولكن باذن صاحب الضيافة والكرم ··· ومن ثم اشكره ·· ولا تتحرك خطوة الا وفق حدوده وأوامره · هكذا تستوجب آداب الضيافة · ومن ثم لا تتلفت وراءك عندما تترك دار الضيافة ، وتزمع الرحيل الى الابد ·
- واياك أن تتدخل بفضول بأمور لا تعود اليك ·· ولا تغرق نفسك بأمور لا ترتبط معها الا موقتاً ··· نعم بمثل هذه الحقائق يخفف القرآن الكريم فراق الدنيا على الانسان بل قد يحببه الى اليقظين النابهين باظهار اسرارها الكامنة · وهكذا تظهر رحمته سبحانه في كل شيء وفي كل شأن ·

[الكلمة الثانيـة]

الدنيا بين نظرة المؤمن ونظرة الكافر[1]

بسـم الله الرحمـن الرحيـم : (الذيـن يؤمنون بالغيب) [سورة البقرة : ٢]

إذا كنت تريد أن تعرف : ما أعظم ما في الأيمان من السعادة والنعمة ! وما أعظم ما فيه من اللذة والراحة ٠٠ فانظر ـ إذن ـ واستمع الى هـذه الحكاية التمثيلية القصيرة :ـ

خرج رجلان في سياحة ذات يوم من أجـل الاستجمام والتجارة ؛ فمضى أحدهما ـ وكان أنانياً شقياً ـ الى جهة ما ٠ ومضى الآخر ـ وهو رباني سعيد ـ الى جهة ثانية ٠

وانطلق كلاهما ٠ أمّا الرجل الأناني المغرور ـ فلأنه كان متشـائماً وانانياً ولا خير فيه ـ فقد لقي بلداً في غاية السوء والشؤم والنكد في نظره ـ جزاءً وفاقاً على ما قدّمت يداه ـ لذلك فهو أينما يتجـه يرى بناظريـه : العجزة المساكين البائسين يصرخون ويولولون من أيدي رجال قساة ومن تخريباتهم المدمّرة ٠ ويرى كل ما يزوره من أماكن ٠٠ في حزن ـ أيّمـا حـزن ! والـم ـ أيّما الم ! ـ ٠٠ حتى اتخـذت المملكة كلهـا شـكل دار المأتم العام ٠ فلم يجد لنفسه المؤلمة المظلمة حلاً ولا علاجاً ـ لكيلا يحس بما هو فيه من حـال ـ غير نشوة السكر ؛ لأنه صار ـ في اعتقاده ـ كل واحد من أهل هذه المملكة عدواً يتربص به ، واجنبياً يتنكر له ٠ وصار يرى في الأوساط جنائز مرعبة ويسمع عويـلاً ذا نبرة يائسة مريـرة لليتامى تنطلق من ورائها ؛ مما ظل يتلوى وجدانه في العذاب الأليم ٠

وأمّا الآخر : الرجل الربّاني ، العابد لله ، والباحث عن الحق ، فقد كان ذا أخلاق حسنة بحيث صادف في رحلته مملكة طيّبة هي في نظره في منتهى الروعة والجمال .

وهكذا فان هذا الرجل الصالح ما أن دخل هذه المملكة حتى رأى احتفالات رائعة ومهرجانات بارعة قائمة على قدم وساق . فرأى في كل طرف سرورا ، وفي كل زاوية جذبة ، وفي كل مكان محاريب ذكر .

حتى لقد صار يرى كل فرد من أفراد هذه المملكة صديقاً صدوقاً وقريباً حبيباً له . ومن ثم بدأ يرى ان المملكة كلها تعلن ـ في حفل التسريح العام ـ هتافات الفرح بصيحة مصحوبة بكلمات الشكر الجزيل : وأصبح كذلك يسمع فيهم أصوات الجوقة الموسيقية وهي تقدم ألحانها الحماسية مقترنة بالتكبيرات العالية والتهليلات الحارة بسعادة واعتزاز سوقاً الى الخدمة والجندية .

فبينما كان ذلك الرجل الاول المتشائم منشغلاً بألمه وآلام الناس كلهم .. كان الثاني السعيد المتفائل مسروراً مع سرور الناس كلهم وفرحاً مع فرحهم .

وبذلك فقد غنم هذا لنفسه تجارة حسنة مباركة شاكراً ربه بما هو أهله سبحانه وتعالى . ثم عاد الى أهله . وفي الطريق يلقى ذلك الرجل فيسأل عنه وعن أخباره فيعلم كل شيء عن حاله فيقول له :

ـ يا هذا هل جننت ؟ فأنك قد أظهرت ما في باطنك من الشؤم والقبح بحيث أصبحت تتوهم أن كل ابتسامة صراخ ودموع . وأن كل تسريح واجازة نهب وسلب .

عُد الى رشدك، وطهّر قلبك.. لعل غشاء المصيبة ينزاح عن عينيك. وعسى أن تبصر الحقيقة على وجهها الأبلج . وتبصر أيضاً أن صاحب هذه المملكة ومالكها هو في منتهى درجات العدل والمرحمة والربوبية والاقتدار والتنظيم المبدع والرفق .. فان مملكة بمثل هذه الدرجة من الرقي والسمو

مما تريك من آثار بأم عينيك ... لا يمكن بالتأكيد أن تكون بمثل ما تريه أوهامك من صور .

وبعد ذلك بدأ - هذا الشقي - يراجع نفسه ويرجع الى صوابه رويداً رويداً ، ويفكر بعقله ويقول متندماً :

- نعم لقد كنت مجنوناً من جراء تعاطى الخمر .. ليرضَ الله عنك ؛ أنت الذي أنقذتني من حالة جهنمية .

فيا نفسي ! اعلمي ان الرجل الاول هو « الكافر » أو « الفاسق الغافل » فهذه الدنيا في نظره بمثابة مأتم عام ، وجميع الاحياء ايتام يبكون ألماً من ضربات الزوال وصفعات الفراق . أما الانسان والحيوان فمخلوقات سائبة بلا راع ولا مالك تتمزق بمخالب الأجل وتعتصر بعصارته ، وأما الموجودات الضخام كالجبال والبحار فهي في حكم الجنائز الهامدة والنعوش الرهيبة .. وهكذا تذيق أمثال هذه الأوهام المدهشة المؤلمة التي تسحق الانسان وتنشأ عن كفره وضلالته ، صاحبه عذاباً معنوياً مريراً .

أما الرجل الثاني ، فهو « المؤمن » الذي يعرف خالقه حق المعرفة ويؤمن به ، فالدنيا في نظره هي دار ذكر رحمانية ، وساحة تعليم وتدريب البشر والحيوان ، وميدان ابتلاء واختبار الانس والجان ... أما الوفيات كافة - من حيوان وإنسان - فهي اعفاء من الوظائف ، وانهاء من الخدمات فالذين أنهوا وظائفهم الحياتية ، يودّعون هذه الدار الفانية وهم مسرورون معنوياً ، لينتقلوا الى عالم آخر غير ذي قلق خال من اوضار المادة واوصاب الزمان والمكان وصروف الدهر وطوارق الحدثان . لينفسح المجال واسعاً ويتهيأ لموظفين جدد يأتون للسعي في مهامهم ... أما المواليد كافة - من حيوان وانسان - فهي سَوقة تجنيد عسكرية وتسلّم سلاح وتسنّم وظائف وواجبات ، فكل كائن من موظف وجندي مسرور ومأمور مستقيم راضٍ قانع ،... وأما الاصوات المنبعثة والاصداء المرتدة من ارجاء الدنيا فهي : اما ذكر وتسبيح لتسنم الوظائف والشروع فيها أو شكر وتهليل

ايذاناً بالانتهاء منها . أو أنغام صادرة من شـوق العمـل وفرحته ،...
فالموجودات كلها في نظر هذا المؤمن هي خدام مؤنسون ، وموظفون أخلّاء ،
وكتب حلوة لسيده الكريم ومالكه الرحيم ... وهـكذا يتجلى من ايمانـه
ويظهر للعيان كثير جداً من أمثال هذه الحقائق التي هي في غاية اللطف
والسمو واللذة والذوق .

فالايمان اذاً يضم حقاً بذرة معنوية منشقة من « طوبى الجنة » أمـا
الكفر فانه يخفي بذرة معنوية قد نفثته « زقوم جهنم » .

فالسلامة والأمان اذاً لا وجود لهما الا في الاسلام والايمان . لذا علينا
ان نردد دائماً : « الحمد لله على دين الاسلام وكمال الايمان » .

نظرة ايمانية الى سر الموت

قال تعالى في سورة الملك : [الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملاً] ٠

فالسؤال الوارد هو(١) : ان الآية الكريمة تعتبر الموت مخلوقاً كالحياة ، وانه نعمة ايضاً ٠ ولكن الملاحظ ان الموت : انحلال ، وعدم ، وتفسخ ، وانطفاء لنور الحياة ، وهادم للّذات ٠٠٠ فكيف يكون « مخلوقاً » وكيف يكون « نعمة » ؟

الجواب : مثلما ذكرنا في ختام الجواب عن السؤال الأول من ان الموت في حقيقته هو :

ليس اعداماً ولا عدماً ولا زوالاً ولا فناءً ، وانما هو :

- رخصة وتسريح وانهاء لوظيفة الحياة الدنيا من قبل الفاطر الحكيم ٠
- وهو تبديل للمكان ، وتحويل للوجود ليس إلاّ ٠
- وهو دعوة للحياة الباقية الخالدة ، ومقدمة للحياة الأخرى ٠
- وهو مخلوق كالحياة ٠٠ وذلك :ـ

كما ان مجيء الحياة الى الدنيا هو بخلق وتقدير الهي ، كذلك ذهابها من الدنيا هو ايضاً بخلق وتقدير وبحكمة وتدبير الهي ؛ لأن موت أبسط الاحياء ـ وهو النبات ـ يظهر لنا نظاماً دقيقاً وابداعاً للخلق ما هو اعظم وانظم من الحياة نفسها ، فالذي نراه من موت وتحلل وتفسخ عند استنبات الاثمار والبذور والحبوب هو في الحقيقة عبارة عن :

---

(١) السؤال الثاني من المكتوب الاول /المكتوبات ٠

عجن لتفاعلات كيمياوية متسلسلة منتظمة جداً · وامتزاج لمقادير العناصر بكل دقة وميزان · وتركيب وتشكّل للذرات بعضها ببعض بكل حكمة وبصيرة · بحيث ان هذا الموت الذي لا يرى وفيه هذا النظام الحكيم ، والدقة الرائعة هو الذي يظهر ويبرز بشكل حياة نامية للسنبل وللنبات الباسق المثمر · وهذا يعني :

ان موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديد ، أزهاراً وأثماراً ··· بل هو بمثابة عين حياته الجديدة ؛ لذا فالموت خلق منتظم ايضاً كالحياة ·

وكذا فان ما يحدث في معدة الانسان من موت للغذاء النباتي والحيواني هو في حقيقته بداية ومنشأ لصعود ذلك الغذاء في اجزاء الحياة الانسانية الراقية ، اي أن موتاً وتحللاً كهذا ليس الا رقيّ ومخلوق اكثر انتظاماً من الغذاء نفسه · لذا فموت النبات وهو في ادنى طبقات الحياة ان كان خلقاً حكيماً منتظماً راقياً الى هذا الحد فكيف بالذي هو في ارقى طبقات الحياة ، وهو الانسان ؟! فلاشك انه عندما يأتيه الموت ويوارى الى التراب ، فـأن موته هذا سيثمر حياة دائمة في (عالم البرزخ) ، تماماً كالبذرة الموضوعة تحت التراب والتي اصبحت بموتها نباتاً رائعـاً في الحـكمة والجمـال في (عـالم الهـواء) ·

واذا ما قيل كيف يكون الموت نعمة ؟ ··

فالجـواب :

سنذكر اربعة وجوه فقط من اوجه النعمة والمنة الكثيرة للموت ·

اولا : ان الموت مقدمة للسعادة الابدية والحياة الاخرى ، ولاشك ان مقدمة الشيء لها حكم الشيء نفسه ، حسناً وقبحاً · وهذه قاعدة لا تتغير · وانه خروج من بين قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب مـن جهة ، ودخول الى رعاية المحبوب الباقي ورحمته الواسعة ، بل هو تنعم بحياة فسيحة باقية مستنيرة ، دون ان يزعجها خـوف ، ولا حـزن ولا هم من جهة اخرى ·

ثانيا : بينما الموت انقاذ من وظائف الحياة الدنيوية التي استثقلت بتكاليف المعيشة ، اذ هو وصال مع تسعة وتسعين من الاحبة الاعزاء في عالم البرزخ ·· في عالم الآخرة · لذا فهو نعمة عظمى ! ·

ثالثاً : انه ليس نعمة فحسب بل قد يكون نعمة مطلوبة ايضاً وخاصة للاشخاص الذين لا يستطيعون ان يتحملوا اعباء الحياة وتكاليفها من اثقال المصائب والبلايا وجفاء الرحمة والشفقة من الاقربين لعجزهم وضعفهم وكم نكون قلقين بما يصيب الوالدين الشيخين من امراض وعجز ونحن مكلفون برعايتهما بالمعروف والحسنى !! فكيف بنا ان كان اجدادنا جميعاً امامنا وهم في مثل هذه الحالة ؟ الا تكون الحياة عندئذ نقمة والموت نعمة ؟!

رابعاً : فكما ان النوم راحة للانسان ورحمة وبخاصة للمرضى والجرحى كذلك الموت ـ الذيهو اخو النوم ـ رحمة ونعمة للمبتلين واليائسين· وكذا يمكن ادراك مدى نعمة الموت ، ومدى صعوبة الحياة ومشقتها لتلك الحشرات العاشقة للأزهار الجميلة في شدائد برد الشتاء · فلولا الموت لتحولت البشرية عامة الى درك فظيع ومصيبة عظمى · وهكذا يصبح الموت اذن نعمة عظمى للبشرية قاطبة ··

ولكن(١) هل يرى اهل الضلالة ما نراه نحن بنور القرآن العظيم ؟·· فالحياة كما اصبحت لنا نعمة بنوره الوضيء لم يعد لنا الموت كذلك: اعداماً بل هو تبديل للمكان · والقبر لم يعد لنا فوهة حفرة مظلمة بل هو باب يفتح لعالم منور · حتى غدت الدنيا بمتاعها وزينتها سجناً لنا بالنسبة لنعيم الآخرة · واصبح الخروج والنجاة من سجن الدنيا وضيقها الى سعة وبستان الجنان الاخروية ، والانتقال من منغصات الحياة المادية المزعجة الى عالم الراحة والاطمئنان ، والانسلاخ من ضوضاء وصخب المخلوقات الى الحضرة الربانية الهادئة المطمئنة الراضية · سياحة بل سعادة مطلوبة بألف فداء وفداء ·

---

(١) من الكلمة السابعة عشرة ، رابعا ·

رحيل الشباب

كان ذلك حينما خالط بعض شعرات رأسي البياض الذى هو علامة الشيخوخة ، وكانت أحداث الحرب العالمية الاولى وما خلفه الأسر لدى الروس من آثار عميقة في حياتي عمقت فيّ نوم الغفلة ، وما تلا ذلك من استقبال رائع عند عودتي من الاسر الى استانبول ، سواء من قبل الخليفة ، أو القائد العام ، أو من قبل طلبة العلوم الشرعية ، وما قوبلت به من تكريم وحفاوة اكثر مما استحق بكثير .. كل ذلك ولّد عندي حالة روحية زادت من سكرة الشباب وغفلته وعمّقت فيّ ذلك النوم اكثر ، الى درجة تصورت معها أن الدنيا دائمة باقية ، ورأيت نفسي في حالة عجيبة ملتصقة بالدنيا كأنني لا أموت .

ففي هذا الوقت ، ذهبت الى جامع بايزيد في استانبول وذلك في شهر رمضان المبارك لاستمع الى القرآن الكريم من الحفاظ المخلصين ، فاستمعت من لسان اولئك الحفاظ ما اعلنه القرآن المعجز بقوة وشدة خطابه السماوي الرفيع في موت الانسان وزواله ووفاة ذوى الحياة وموتهم وذلك بنص آية [كل نفس ذائقة الموت] .

نفذ هذا الاعلان الداوي صماخ أذني مخترقاً الطبقات الكثيفة الغليظة للنوم والغفلة حتى استقر في أعمق أعماق قلبي .

رأيت نفسي ـ لبضعة ايام ـ كأن اعصاراً هائلاً يضطرم في راسي يبدد ذلك النوم العميق المستقر فيه ، ورأيتنى كالسفينة التائهة بين أمواج البحر الفاقدة لبوصلتها ،.. كانت نفسي تتأجج بنار ذات دخان كثيف وكلما كنت انظر الى المرآة .. كانت تلك الشعرات البيضاء تخاطبني قائلة : انتبه !!! .

نعم ان الامور وضحت عندى بظهور تلك الشعرات البيضاء وتذكيرها إياي حيث شاهدت :

أن الشباب الذي كنت أغتر به ، بل كنت مفتوناً بأذواقه يقول لي : الوداع !!! وان الحياة الدنيوية التي كنت ارتبط بها بدأت بالانطفاء رويداً رويداً ، وبدت لي الدنيا التى كنت اتشبث بها وكنت مشتاقاً اليها وعاشقاً لها رأيتها تقول لي : الوداع !! الوداع !! مشعرة اياي ، بانني سأسافر من دار الضيافة هذه ، وسأغادرها عما قريب • ورأيتها - اي الدنيا - هي الاخرى تتهيأ للرحيل لتقول : في أمان الله •

كل ذلك بما انفتح الى القلب من كلّية هذه الآية الكريمة [كل نفس ذائقة الموت] ومن شموليتها ذلك المعنى الذى يتضمنها وهو :

ان البشرية قاطبة انما هي كالنفس الواحدة ، فلابد انها ستموت كي تبعث من جديد ، وان الكرة الارضية - كذلك - نفسٌ فلابد أنها سوف تموت كي تبقى دائمة خالدة ، وان الدنيا هي الاخرى نفس وسوف تموت كي تتشكل بصورة (آخـرة) •

فكرت فيما أنا فيه ؛ فرأيت : أن الشباب - الذى هو مدار الأذواق واللذائذ ذاهب نحـو الزوال ، تـارك مكانه للشـيخوخة التي هي منشـأ الاحزان • وان الحياة الساطعة الباهرة لفى ارتحال وتتهيأ الحياة المظلمة - ظاهرياً - والمخيفة وهى الموت لتحل محلهـا • ورأيت الدنيـا التي هي محبوبة وحلوة ، وتظن انها دائمة والتي هي معشوقة الغفاة ، رأيتها تجرى مسـرعة الى الفناء • ولـكي انغمس في الغفلـة واستمر فيهـا ولّيت نظرى الى أذواق المنزلة الاجتماعية ومقامها الرفيع - الذي حظيت به والذى خدعت به نفسي وهو فوق حدّى وطوقي - في استانبول مـن الحفـاوة والاكرام والسلوان والاقبال والاعجاب ••• فرأيت أن جميعها لا تصاحبني الاّ الى حد باب القبر القريب منى • وعنده تنطفىء ، لذا لم أر لها اي جدوى ونفع•

ورأيت أن رياءً ثقيلاً ، وأثرة مقيتة ، وحيرة موقتة تكمن تحت الستار

المزركش للاعجاب بالنفس التي هي المثل الاعلى لأرباب الشهرة وعشاقها ففهمت أن هذه الامور التي خدعتني حتى الآن لن تمنحني السلوان ولا يمكن ان أتلمس فيها اي قبس من نـور ٠

ولكي استيقظ من غفلتي مرة اخرى وانتبه منها نهائياً بدأت بالاستماع كذلك الى اولئك الحفاظ الكرام في جامع بايزيد ، لأتلقى الدرس السماوي للقرآن الكريم ٠٠ وعندها سمعت بشارات ذلك الارشاد السماوي من خلال الاوامر الربانية المقدسة في « وبشّر الذين آمنوا ٠٠٠٠ »

ان هـذا الفيض الذى أخذته من القرآن الـكريم جعلنى أبحث عـن السلوة والرجاء والنـور حتى في تلـك الامـور التي أدهشتني وحيّرتني وأوقعتني في يأس فألف شكر وشكر للخالق الكريم على ما وفقني لأن أجد الـدواء في الـداء نفسه ، وأن أرى النـور في الظلمة نفسها ، وأن أشعر بالسلوان في الألم والرعب ذاتهما ٠

فنظرت أول ما نظرت الى ذلك الوجه الذى يرعب الجميع ويتوهم أنه مخيف حقاً ٠٠ وهو وجه (الموت) ٠ فوجدت بنـور القرآن الكريم ، ان الوجه الحقيقي للموت صبوح منور ، رغم ان حجابه مظلم والستر الـذي يخفيه يكتنفه السواد المرعب ٠ وقد اثبتنا هذه الحقيقة بصورة قاطعة في كثير من الرسائل واوضحناها في (الكلمة الثامنة) و (المكتوب العشرين) من أن المـوت :

ليس بأعدام نهائي ، ولا هو بفراق أبدى ، وانما هو مقدمة للحيـاة الابديـة وبداية لها ٠ وهو إنهاء لأعباء مهمة الحياة ووظائفها ، ورخصة منها وإجازة ، وهو تبديل مكان ، وهو وصال ولقاء مع قافلة الأحباب الذين ارتحلوا الى عالم البرزخ ٠٠٠ وهكذا ، بمثل هذه الحقائق فقد شـاهدت الوجه المليح الصبوح للموت ٠ فلا غرو لم انظر اليه خائفاً وجلاً ، وانما نظرت اليه بشيء من الاشتياق ــ من جهة ــ وعرفت إبانها سراً من اسرار (رابطة الموت) التي يزاولها أهل الطرق الصوفية ٠

ومن ثم تأملت في (عهد الشباب) فرأيت أنه يحزن الجميع بزواله ، ويجعل الكل يشتاقون اليه ويفتتنون به ، وهو الذى يمر بالغفلة ، وقد مرّ هكذا ! فرأيت أن ثمة وجهاً دميماً جداً بل مسكراً ومحيّراً تحت الحلة القشيبة الفضفاضة الملقاة عليه ، فلو لم آكن ممن يعرف كنهه لكان يبكيني ويحزنني طوال حياتي الدنيا حتى لو عمرت مائة سنة حيال بضع سنين تمضي بنشوة وابتسامة ، كما قال الشاعر بحسرة مريرة :

الا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

نعم ان الذين لم يتبينوا سر الشباب من الشيوخ يقضون شيخوختهم بالحسرة والنحيب على عهد شبابهم كهذا الشاعر ٠

والحال ان فتوة الشباب ونضارته اذا ما حلت في المؤمن المطمئن الحصيف ذى القلب الساكن الوقور ، واذا ما صرفت طاقة الشباب وقوته الى العبادة والأعمال الصالحة والتجارة الاخروية ، فانها تصبح اعظم قوة للخير وتغدو أفضل وسيلة للتجارة ، وأجمل وساطة للحسنات بل ألذها ٠ نعم ان عهد الشباب نفيس حقاً وثمين جداً لمن لم يسيء استعماله ، وهو نعمة الهية عظمى ، ونشوة لذيذة لمن عرف واجبه الاسلامي ٠ ولكن – الشباب – ان لم تصحبه الاستقامة ولم ترافقه العفة والتقوى ، فهناك المهالك الوبيلة اذن ٠ اذ يصدّع طيشه ونزواته السعادة الابدية ويدمّر الحياة الاخروية ، وربما يحطم الحياة الدنيوية ايضاً ٠ فيجرّع صاحبه الآلام غصصا طيلة فترة الهرم والشيخوخة لما أخذه في بضع سنين من أذواق ولذائذ ٠

ولما كان الشباب لا يخلو من الضرر عند اغلب الناس ، فعلينا اذن نحن الشيوخ ان نشكر الله شكراً كثيراً اذ نجّانا من مهالك الشباب واضراره هذا وأن الشباب ولذته ونشوته ونضارته شيء زائل لا محالة ، كما تزول جميع الاشياء ٠ فلئن صرف للعبادة ، وبذل للخير والصلاح فدونه ثماره الباقية الدائمة ، وعنده وسيلة الفوز لشباب دائم وخالد في الحياة الابدية٠

ثم نظرت الى (الدنيـا) التي عشقها اكثر الناس ، وابتلوا بهـا ·

فرأيت بنور القرآن الكريم ان هناك ثلاث دنى كلية قد تداخل بعضها في بعـض :

الاولى : هي الدنيا المتوجهة الى الاسماء الالهية الحسنى، فهي مرآة لها·

الثانية : هي الدنيا المتوجهة نحو الآخرة ، فهي مزرعتها ·

الثالثة : هي الدنيا المتوجهة الى أهل الضلالة ، فهي لعبة أهل الغفلة ولهوهـم ·

ورأيت كذلك ان لكل أحد في هذه الدنيا دنيا خاصة بـه ، فهنـاك اذن دنىً متداخلة بعدد البشر · غير أن دنيا كل شخص قائمة على حياتـه الشخصية فمتى ما يتهدم جسم اي شخص فان دنياه تتهدم وقيامته تقوم ·

وحيث ان الغافلين لا يحركون انهدام دنياهم بهذه السرعة الخاطفة ، لذا فهم يفتتنون بها كالدنيا العامة المستقرة من حولهم ·

فتأملت قائلاً :

لاشك أن لي دنيا خاصة ايضاً ـ كما هي لغيري ـ ولاشك انها سوف تتهدم بسرعة ـ كما هي حالها عند غيري ـ فما فائدة هذه الدنيا الخاصة اذن في عمري القصير جداً ؟! فرأيت بنور القرآن الكريم :

ان هذه الدنيا هي ـ بالنسبة لي ولغيري ـ ما هي الا متجر موقت ، ودار ضيافة تملأ كل يوم وتفرغ ، وهي سوق مقامة على الطريق للغادين والرائحين ، وهي كتاب مفتوح يتجدد للمصور الازلي سبحانه ، فيمحو فيه ما يشاء ويثبته بحكمة · وكل ربيع فيها رسالة مرصعة مذهبة الى كل ذي حياة ، وكل صيف فيها قصيدة منظومة رائعة · وهي مرايا تتجدد مظهرة تجليـات الاسـماء الحسنى للصانع الجليـل وهي مزرعة لغراس الآخـرة وحديقتها · وهي مزهرة الرحمة الالهيـة ، وهي مصنع موقت لتجهيـز اللوحات الربانية الخالدة التي ستظهر في عالم البقاء والخلود ·

فشكرت الله الخالق الكريم أجزل شكر على خلقه الدنيا بهذه الصورة·

ولكن في الوقت الذي منح الانسان حباً مقبلاً الى وجهي الدنيا المليحين المتوجهين الى الاسماء الحسنى والى الآخرة ، الا أنه أخطأ المرمى وجانب الصواب عندما استعمل تلك المحبة في غير محلها ، فصرفها الى الوجه القبيح ذي الغفلة المضرة والغواية المطلة على أهل الضلالة حتى حق عليه الحديث الشريف « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ٠

فيا ايها الشيوخ ويا ايتها العجائز ٠

انني رأيت هذه الحقيقة بنور القرآن الحكيم ، وبتذكير من شيخوختي وبما منحه الايمان لبصيرتي من نور ، وقد اثبتها في رسائل كثيرة مع براهين دامغة ٠٠ رأيت أن هذه الحقيقة هي السلوان الحقيقي لي وهي الرجاء القوى والضياء الساطع فرضيت بشيخوختي وهرمي وسررت من رحيل الشباب ٠

فلا تحزنوا اذن ، ولا تبكوا يا اخوتي الشيوخ على شيخوختكم بل احمدوا الله واشكروه ٠ وما دمتم تملكون الايمان ، والحقيقة تنطق هكذا ، فليبك اولئك الغافلون ، وليحزن الضالون ولينتحبوا ٠٠

[المكتوب الحادي والعشرون]

لولا الشيوخ الركع

قال تعالى : [إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ••]

ايها الحبيب ، ويا من يسكن في بيته أب شيخ ، أو أم عجوز ، أو أحد من ذوى قرباه ، أو أخ في الدين مقعد ، أو شخص عاجز عليل •••

انظر الى هذه الآية الكريمة بدقة وامعان ، انظر كيف أن آية واحدة تجلب للوالدين العجوزين خمسة أنواع من الرحمة بصور مختلفة واشكال متعددة ؟ •

نعم ، انّ اسمى ما في الدنيا من الحقيقة هو شفقة الامهات والآباء على أولادهم ، وان أعلى الحقوق ـ كذلك ـ هو حق احترامهم مقابل تلك الشفقة والرأفة ، ذلك لأنهم يضحّون بحياتهم فدىً لحياة اولادهم بكمال اللذة والسعادة •

ولذلك ـ فان كل ولد ـ ان لم تسقط انسانيته ولم ينقلب بعد الى وحش ـ لابد ان يوقّر باخلاص اولئك الأحبة المحترمين ، المضحين الصادقين ويقوم بخدمتهم خدمة صادقة ، ويسعى لنيل رضاهم وادخال البهجة في قلوبهم •

ان العم والعمة هما في حكم الأب ، وان الخالة والخال هي في حكم الأم • لذا •• فاعلم ما اشد انعداماً للضمير استثقال وجود هؤلاء الشيوخ المباركين والرغبة في موتهم ! بل ما أشده من دناءة ووضاعة لا مزيد عليهما إعلم هذا •• واصحُ !

أجل افهم ، ما اقذره من ظلم وما افظعه من انعدام الضمير ان يتمنى حتمن زوال الذى ضحى بحياته كلها في سبيل حياته هو !

ايها الانسان المبتلى بهموم العيش !

اعلم ان عمود بركة بيتك ووسيلة الرحمة فيه ، ودفع المصيبة عنه ، انما هو ذلك الشيخ ، أو ذلك الأعمى من اقربائك الذى تستثقله • لا تقل ابداً : ان معيشتي ضنك ، لا استطيع المداراة فيها •• ذلك لأنه لو لم تكن البركة المقبلة من وجوه اولئك ، لكان ضنك معيشتك اكثر قطعاً •

فخذ مني هذه الحقيقة ، وصدّقها ، فانني أعرف لها كثيراً من الأدلة القاطعة ، واستطيع أن احملك على التصديق بها كذلك ••• ولكن ، لئلا يطول الأمر فاني أوجزها ؛ كن واثقاً جداً من كلامي هذا ، أقسم بالله ان هذه الحقيقة هي في منتهى القطعية حتى ان نفسي وشيطاني ايضاً قد استسلما امامها • فلا غرو ان الحقيقة التي اغاظت شيطاني واسكتته وحطمت عناد نفسي الامارة لابد انها تستطيع أن تقنعك ايضاً •

أجل ؛ ان الخالق ذا الجلال والاكرام الذى هو الرحمن الرحيم وهو اللطيف الكريم – بشهادة ما في الكون اجمع – حينما يرسل الاطفال الى الدنيا فانه يرسل أرزاقهم عقبهم مباشرة في منتهى اللطف ؛ كانقذاف ما في الاثداء وتفجيره كالينابيع الى أفواههم ، كذلك فان أرزاق العجزة – الذين دخلوا في عداد الاطفال بل هم احق بالمرحمة واحوج الى الرأفة – يرسلها لهم سبحانه وتعالى بصورة بركة ، ولا يحمّل اعاشة هؤلاء – ولا يدعها – للبخلاء الاشحاء من الناس ، فالحقيقة التي تفيدها الآيات الكريمة: [ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين] • [وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم] • انها حقيقة ذات كرم ينطق بها لسان حال جميع المخلوقات المتنوعة من الأحياء •

وانه ليس الشيوخ الاقرباء وحدهم يأتيهم رزقهم رغداً بصورة بركة ، وانما رزق حتى بعض المخلوقات التي وهبت لمصاحبة الانسان وصداقته كأمثال القطط • فان ارزاقها ترسل ضمن رزق الانسان ، وتأتي بصورة بركة ايضاً •

ومما يؤيد هذا ، ما شاهدته بنفسي من مثال ، هو :

كانت لي حصة من الغذاء كل يوم ـ كما يعلم احبائي القريبين ـ قبل سنتين أو ثلاثة ـ وهي نصف رغيف ، وكان رغيف تلك القرية صغيراً ، وكثيراً ما كان لا يكفيني ٠٠ ثم جاءني ـ بعد ذلك ـ أربع قطط ضيوفاً ، وقد كفاني ذلك الغذاء وكفاهم ٠ بل غالباً ما كانت تبقى منه فضلة وزيادة٠

هذه الحالة قد تكررت عندي الى درجة بحيث اعطتنى قناعة تامة من أننى أنا الذى كنت استفيد من بركات تلك القطط ! ٠

وانا اعلن بصورة قاطعة الآن ان تلك القطط ما كانت حملاً ولا عبئاً عليّ ولم تكن تبقى تحت منتي وانما انا الذي كنت ابقى تحت منتها٠

فيا ايها الانسان :

ما دام الأمر أنه ؛ حينما يأتي حيوان شبه مفترس ضيفاً الى بيت يكون محوراً للبركة ، فكيف اذا حلّ في البيت من هو اكرم المخلوقات وهو الانسان ؟ ومن هو اكملهم من بين الناس وهو المؤمن ؟ ومن هو من العجزة والمعلولين المعمرين من بين اهل الايمان ؟ ومن هو اكثر اهلا للخدمة والمحبة من بين المعلولين والمعمّرين وأولى من يستحقونها وهم الاقربون ؟ ٠ ومن هم اخلص صديق ، واصدق محب من بين هؤلاء وهم الوالدين ؟! فكيف بهم اذا حلوا في البيت ٠ فلك ان تقيس ، ما اعظمها من وسيلة للبركة ، ومن واسطة للرحمة ، ومن سبب لدفع المصيبة ، كما يتضمنه الحديث الشريف:

« لولا الشيوخ الركع لصبّ عليكم البلاء صباً » ٠

اذن ايها الانسان :

تأمل ٠٠ واعتبر ٠٠ واعلم انك ان لم تمت فلا مناص من أن تصير شيخاً عجوزاً ، فان لم تحترم والديك ، فسيأتي عليك يوم لا يوقرك اولادك ولن يحترموك ، وذلك بما اودع الله من سر في « الجزاء من جنس العمل »٠

لذا ٠٠ ان كنت محباً لآخرتك فدونك كنز عظيم الا وهو :

اخدمهما ونل رضاهما ٠

وان كنت تحب الدنيا فارضهما كذلك واشكر لهما · حتى تمضي حياتك براحة ، وحتى يأتي رزقك ببركة من ورائهم · والا ·· فان استثقال هؤلاء وتمني موتهم وتجريح قلوبهم الرقيقة الحساسة يجعلك ممن ينطبق عليه حقيقة الآية الكريمة [خسر الدنيا والأخرة] ·

واذا كنت تريد رحمة الرحمن الرحيم · فارحم ودائع ذلك الرحمن · وما استودعك في بيتك من أمانات ·

كان لي أخ من اخوان الآخرة وهو « مصطفى جاويش » وكنت أراه موفقاً في دينه ودنياه معاً · ولم اكن أعرف السر · ثم علمت سبب ذلك التوفيق وهو : ان هذا الرجل المبارك كان قد علم حقوق امه وابيه ، وانه راعى تلك الحقوق حق رعايتها · فكان أن وجد الراحة والرحمة ببركة وجوههم · وارجو ان يكون قد عمّر آخرته كذلك ان شاء الله ·

فمن اراد ان يكون سعيداً فليقتد به ، وليكن مثله ·

اللهم صل وسلم على من قال « الجنة تحت اقدام الامهات » وعلى آله وصحبه أجمعين ·

(سبحانك لا علم لنا الا ما علّمتنا انك انت العليم الحكيم) ·

لغة العلوم

« هذه المسألة إشارة مختصرة الى برهان واحد فقط من بين ألوف البراهين الكلية حول (الايمان بالله) والذي تم ايضاحه مع حججه القاطعة في عدة مواضع من رسائل النور » .

جاءني فريق من طلاب الثانوية في « قسطموني »(١) قائلين : عرّفنا بخالقنا ، فان مدرسينا لا يذكرون الله لنا ! . فقلت لهم : ان كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوماً ، ويعرّف بالخالق الكريم بلغته الخاصة . فاصغوا الى تلك العلوم دون المدرسين .

فمثلاً : لو كانت هناك صيدلية ضخمة ، في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية ، وضعت فيها بموازين حساسة ، وبمقادير دقيقة ؛ فكما أنها ترينا ان وراءها صيدلياً حكيماً ، وكيميائياً ماهراً كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم اكثر من أربعمائة ألف نوع من الأحياء ـ نباتاً وحيواناً ـ وكل واحد منها في الحقيقة زجاجة مستحضرات كمياوية دقيقة ، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة تري ـ حتى للعميان ـ صيدليّها الحكيم ذا الجلال ، وتعرّف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها ، وانتظامها ، وعظمتها ، ومدى نسبتها قياساً على تلك الصيدلية التي في السوق ، وذلك وفق مقاييس علم الطب الذي تقرأونه .

ومثلاً : كما لو أن مصنعاً خارقاً عجيباً ينسج الوفاً من أنواع المنسوجات المتنوعة ، والأقمشة المختلفة ، من مادة بسيطة جداً ، يرينا بلا شك ان وراءه مهندساً ميكانيكياً ماهراً ، ويعرّفه لنا ؛ كذلك هذه الماكنة الربانية السيّارة المسماة بالكرة الأرضية ، وهذا المصنع الآلهي الذي فيه مئات الآلاف من رؤوس المصانع ، وفي كل منها مئات الآلاف من المصانع المتقنة ، يعرّف لنا ـ بدون شك ـ صانعه ، ومالكه ، وفق مقاييس علم

---

(١) مدينة تقع شمال تركيا ظل فيها الاستاذ النورسي منفياً طوال ثماني سنوات ./م

المكائن الذي تقرأونه ، يعرّفه بدرجة كمال هذا المصنع الآلهي ، وعظمته قياساً على ذلك المصنع الانساني ٠

ومثلاً : كما ان حانوتاً أو مخزناً للاعاشة والارزاق ، ومحلاً عظيماً للأغذية والمواد ، احضر فيه - من كل جانب - ألف نوع ونوع من المـواد الغذائية ، وميّز كل نوع عن الآخر ، وصنّف في محله الخاص به ، يريد ان له مالكاً ، ومدبراً ؛ كذلك هذا المخزن الرحماني للاعاشة الذي يسيح في كل سنة ، ويدور مسافة اربعة وعشرين ألف سنة ، في نظام دقيق متقن ، والذي يضم في ثناياه مئات الآلاف من اصناف المخلوقات التي يحتـاج كل منها الى نوع خاص من الغذاء ٠ والـذى يمر على الفصول الاربعـة فيأتي بالربيع ، وكأنه شاحنة محمولة ومعبأة بآلاف الانواع من مختلف الأطعمة ، فيأتي بها الى الخلق المساكين الذين نفد قوتهم في الشتاء ٠ تلك هي الكرة الأرضية ، والسـفينة السـبحانية التي تضم آلاف الانـواع من البضائع والاجهزة ومعلبات الغذاء ٠ فهذا المخزن والحانوت الرباني ، يُري - وفق مقاييس علم الاعاشة والتجارة الذي تقرأونه - صاحبه ومالكه ومتصرفه بدرجة عظمة هذا المخزن وبمدى نسبته على ذلك المخزن المصنوع من قبل الانسان ، ويعرّفه لنا ، ويحبّبه إلينا ٠

وكما لو أن جيشاً عظيماً يضم تحت لوائه أربعمائة ألف نـوع مـن الشعوب والأمم ، لكل جنس طعامه المستقل عن الآخر ، وما يستعمله مـن سلاح يغاير سلاح الآخر ، وما يرتديه من ملابس تختلف عن ألبسة الآخر ، ونمط تدريبه وتعليماته يباين الآخر ، ومدة عمله وفترة رخصه هي غـير المدة للآخر ٠٠ فقائد هذا الجيش الذى يزوّدهم بالأرزاق المختلفة ، والاسلحة المتباينة ، والألبسة المتغايرة ، دون نسيان أيّ منها ولا التباس ، ولا حيرة، لهو قائد ذو خوارق بلا ريب ، وهذا المعسكر العجيب يرينا - بداهة - ذلك القائد الخارق ، بل يحبّبه الينا مع كل تقدير واعجاب ؛ كذلك معسكر الأرض ، ففي كل ربيع يجنّد - مجدداً - جيشاً سبحانياً عظيماً مكوناً من

اربعمائة ألف نوع من شعوب النباتات وأمم الحيوانات ، ويمنح لكل نوع ألبسته وأرزاقه واسلحته وتدريبه ورخصه الخاصة به ، من لدن قائد عظيم واحد أحد جلّ وعلا ، دون نسيان لأحد ، ولا اختلاط ، ولا تحير ، وفي منتهى الكمال وغاية الانتظام ·· فهذا المعسكر الشاسع الواسع للربيع الممتد على سطح الأرض يُري حاكم الأرض ـ حسب العلوم العسكرية ـ وربّها ، ومدبّرها ، وقائدها الأقدس الاجل ، ويحبّبه سبحانه ، بدرجة كماله ، ومدى عظمته ، قياساً الى ذلك المعسكر المذكور ، بل يعرّفه سبحانه لنا بالتحميد والتقديس والتسبيح ·

وكما ان ملايين المصابيح الكهربائية في مدينة عظيمة تسير فيها وتتجول في جميع ارجائها دون نفاذ للوقود ، ولا إنطفاء ؛ تُري ـ باعجاب وتقدير ـ أن هناك مهندساً حاذقاً ، وكهربائياً بارعاً لمصنع الكهرباء ، ولتلك المصابيح · كذلك مدينة العالم هذا ، ومصابيح النجوم المتدلية من سقف قصر هذه الأرض التي هي اكبر من الكرة الأرضية نفسها بألوف المرات ـ حسب قول علماء الفلك ـ فانها تسير بسرعة فائقة هي أسرع من انطلاق القذيفة بسبعين مرة ، دون ان تخل بنظامها ، او تتصادم مع بعضها مطلقاً ، ولا تنطفىء ، ولا ينفد وقودها ـ وفق ما تقرأونه في علم الفلك ـ فشمسنا مثلاً ـ وهي اكبر بمليون مرة من كرتنا الأرضية ، وأسنّ منها بمليون سنة كذلك ، ما هي الامصباح دائم · وموقد مستمر لدار ضيافة الدنيا · فلأجل إدامة إتقادها واشتعالها وتسجيرها كل يوم يلزم وقوداً بقدر بحار الأرض ، وفحماً بقدر جبالها ، وحطباً بقدر حجم الأرض ، ولكن الذي يشعلها ـ ويشعل جميع النجوم الاخرى أمثالها ـ دون وقود ولا فحم ولا زيت ودون انطفاء ويسيّرها جميعاً معاً دون إصطدام انما هي قدرة لا نهاية لها وسلطنة عظيمة لا حدود لها ، فهذا الكون يشير اذن باصابع من نور الى تلك القدرة غير المتناهية · نعم فكما ان ما في قصر هذا الكون من مصابيح مضيئة ، وقناديل متدلية هي اعظم مما في المدينة العظيمة واكبر منها وان انارتها وانتظامها هما في منتهى الكمال والاتقان ، مما تبيّن بوضوح

ـ وفق مقاييس علم الكهرباء الذي قرأتموه أو ستقرأونه ـ سلطان هـذا المعـرض العظيم والمهرجـان الكبـير وتعرّف منوّره ومدبّره ، وصانعه ، بشهادة هـذه النجـوم المتلألئة ، وتحبّبه الى الجميع بالتحميد والتسبيح والتقديس ويسوقهم الى عبادته سبحانه ٠

وكما لو كان هناك كتاب ، كتب في كل سطر منه كتاب بخط دقيق، وكتب في كل كلمة من كلماته سورة قرآنية ، وكانت جميـع مسائله ذات مغزى ومعنى عميق ، وكلها يؤيد بعضها البعض ، فهذا الكتاب العجيب يبيّن بلا شك مهارة كاتبه الفائقة ، وقدرة مؤلفه الكاملة ٠ أي أن مثل هذا الكتاب يعرّف كاتبه ومصنّفه بوضوح النهار ، مع بيان كماله وقدرتـه مثيراً الاعجاب والتقدير عند الناظرين اليـه بحيث لا يملكون الا ترديـد : ما شاء الله ! من كلمات الاستحسان والاعجاب ؛ كذلك هذا الكتاب الكبير للكون الذي يكتب في صحيفة واحدة منه ، وهي سطح الارض ويكتب في ملزمة واحدة منه ـ وهي الربيع ـ ثلثمائة الف نوع من الكتب المختلفة وهي طوائف الحيوانات وأجناس النباتات ، التي كل منهـا بمثابة كتاب ٠٠٠ يكتب كل ذلك معاً ومتداخلة بعضها ببعض دون اختلاط ، ولا خطأ ، ولا نسيان ، وفي منتهى الانتظام والكمال بل يكتب في كلمة منه ـ كالشجرة ـ قصيدة كاملة رائعة ، وفي نقطة منه ـ كالبـذرة ـ فهرس كتـاب كامل ٠ فكما ان هذا مشاهد أمامنا ، ويرينا بالتأكيد ان وراءه قلم سيّال يعمل ، فلكم ان تقدّروا مدى دلالة كتاب الكون الكبير العظيم الذي في كل كلمة منه معانٍ جمة وحكم شتى ، ومدى دلالة هذا القرآن الاكبر المجسّم وهو العالم الى بارئه سبحانه والى كاتبه جلّ وعلا ، قياساً الى ذلك الكتاب المذكور في المثال ٠ وذلك بمقتضى ما تقرأونه من علم حكمة الاشـياء او فـن القراءة والكتابة ، واخذه بمقياس اكبر ، وبالنظرة الواسعة الى هذا الكون الكبير ٠ بل تفهمون مدى تعريفه للخالق العظيم بـ « الله اكبر » ومدى تعليمه لنـا التقديس بـ « سبحان الله » فيحبّبه سبحانه الينا بثناء « الحمد لله » ٠

وهكذا فان كل علم من العلوم العديدة جداً ، يدل على خالق الكون ذي الجلال ـ قياساً على ما سبق ـ ويعرّفه لنا سبحانه باسمائه الحسنى ، ويعلّمه إيانا بصفاته الجليلة وكمالاته • وذلك بما يملك من مقاييس واسعة ، ومرايا خاصة ، وعيون حادّة باصرة • ونظرات ذات عبرة •

قلت لأولئك الطلبة الشباب : ان حكمة تكرار القرآن الكريم من « خلق السموات والأرض » و « رب السموات والأرض » هي لأجل تدريس هذه الحقيقة المذكورة ، وتلقين هذا البرهان الباهر للتوحيد ، ولأجل تعريفنا بخالقنا العظيم سبحانه • فقالوا : شكراً لربنا الخالق بغير حد ، على هذا الدرس الذي هو الحقيقة السامية عينها ، فجزاك الله خير الجزاء ورضي الله عنك •

قلت : ان الانسان ماكنة حيوية ، يتألم بآلاف الانواع من الآلام ، ويتلذذ بآلاف الأنواع من اللذائذ ، ومع أنه في منتهى العجز ، فان له من الأعداء ما لا يحد سواء الماديين أو المعنويين ، ومع أنه في غاية الفقر فان له رغبات باطنة وظاهرة لا تحصر ، فهو مخلوق مسكين يتجرّع آلام صفعات الزوال والفراق باستمرار ••• فرغم كل هذا ، فانه يجد بانتسابه الى السلطان ذي الجلال ـ بالايمان والعبودية ـ مستنداً قوياً ، ومرتكزاً عظيماً يحتمي اليه في دفع أعدائه كافة ، ويجد كذلك مدار استمداد يستغيث به لقضاء حاجاته وتلبية رغباته وآماله كافة ، فكما ينتسب كلٌّ الى سيده ويفخر بشرف انتسابه اليه ، ويعتز بمكانة منزلته لديه ، كذلك فان انتساب الانسان بالايمان ، الى القدير الذى لا نهاية لقدرته ، والى السلطان الرحيم ذي الرحمة الواسعة ، ودخوله في عبوديته ، وخدمته سبحانه ، بالطاعة والشكران ، محوّلاً الأجل والموت من الاعدام الأبدي الى تذكرة مرور ، ورخصة الى العالم الباقي • فلكم ان تقدّروا كم يكون ـ هذا الانسان ـ متلذذاً بحلاوة العبودية بين يدي سيده وممتناً بالايمان الذي يجده في قلبه ، وسعيداً بأنوار الاسلام ، ومفتخراً بسيّده الرب الرحيم شاكراً له نعمة الايمان والاسلام •

اذا قلت(١) : لما كان القرآن الكريم نـزل لأجـل الانسان ، فليمَ لا يصرّح بما هو المهم في نظره من خـوارق المدنية الحاضرة ، وانما يكتفي برمز مستتر ، وايماء خفي ، واشارة خفيفة ، وتنبيه ضعيف فحسب ؟ .

فالجـواب :

ان خوارق المدنية البشرية لا تستحق اكثر من هـذا القـدر . اذ أن الوظيفة الاساس للقرآن الكريم هي تعليم (شؤون الربوبية وكمالاتها) . (ووظائف العبودية وأحوالها) .

لذا فان حق تلك الخوارق البشرية وحصتها مـن تلـك الدائرتين لا ينال الاّ مجرد رمز ضعيف واشارة خفية .. فان ادّعت حقها وطالبتها من دائرة الربوبية ، فعندها لن تحصل على حظها الاّ بحق ضئيل جداً .

فمثلاً : اذا طالبت الطائرة البشرية(٢) القرآن الكريم قائلة :

— اعطني حقاً للكلام ، وموقعاً بين آياتك ....

فلابد ان طائرات « الربوبية » التي هي الكواكب السيّارة والارض والقمر ستقول بلسان القرآن الكريم :ـ

— انك تستطيعين أن تأخذي مكانك هنا ولكن بمقدار جرمك لا أكثر !

واذا ارادت الغواصة البشرية موقعاً لنفسها بين الآيـات الـكريمة ستتصدى لها غواصات تلك الدائرة ، التي هي الأرض السابحة في محيط الهواء ، والنجوم العائمة في بحر الاثير .. قائلة :

— ان مكانك بيننا ضئيل جدا لا يكاد يرى ؟

واذا أرادت الكهرباء ان تدخل حرم الآيات بمصابيحها اللامعة أمثـال النجوم ، فان مصابيح تلك الدائرة التي هي : الشموس والشـهب والانجم المزيّنة لوجه السماء ، سترد عليها قائلة :

---

(١) من المقام الثاني للكلمة العشرين /م .

(٢) لقد انساق القلم دون ارادتي في هذا الموضوع الجاد الى هذا الحـوار اللطيف فتركته وشأنه ، على أمل الاّ يخل لطافة الاسلوب بجـدية الموضوع .

— انك تستطيعين أن تدخلي معنا في البحث والبيان بمقدار ما تملكين من ضوء !! · واذا طالبت الخوارق الحضارية ـ بلسان صناعاتها الدقيقة ـ حقوقها ، وارادت لها مقاماً بين الآيات ·· عندها ستصرخ ذبابة واحدة بوجهها قائلة :

— اسكتوا ·· فليس لكم الحق ، ولو بمقدار أحد جناحيّ هذين ! ولئن اجتمع كل ما فيكم من المصنوعات والاختراعات ـ التي اكتشفت إكتساباً بارادة الانسان الجزئية ، مع جميع الآلات الدقيقة لديكم ، فلن تكون أعجب بمقدار ما في جسمي الصغير جداً من لطائف الاجهزة ودقائق الصنعة · وان هذه الآية الكريمة ستبهتكم جميعاً ···

[ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له · وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب]·

واذا ذهبت تلك الخوارق الى (دائرة العبودية) وطالبت منها حقها ، فلابدّ انها ستتلقى منها هذا الجواب !

— ان علاقتكم أنتم معنا واهية وقليلة جداً ، فلا يمكن اذن أن تدخلوا دائرتنا بسهولة، لأن منهجنا هو: ان الدنيا دار ضيافة· وان الانسان ضيف يلبث فيها قليلا ، وله وظائف جمة ، وهو مكلف لتحضير وتجهيز ما يحتاجه لحياته الابدية الخالدة في هذا العمر القصير ، ··· لذلك يجب عليه ان يقدّم ما هو الأهم والألزم ·

إلاّ أننا نرى ـ على اعتبار الاغلبية ـ صور عبادة الدنيا المتقابة الزائلة تبدو عليكم ، وكأنكم اتخذتم هذه الدنيا الفانية ـ تحت استار الغفلة واللهو ـ داراً للبقاء ومستقراً للخلود · لذا فان حظكم من دائرة العبودية المؤسّسة على هدى الحق ،و التفكر في آثار الآخرة ، قليل جداً ·

ولكن·· انكان فيكم ـ أو من ورائكم ـ من الصناع المهرة والمخترعين الملهمين ـ وهم قلة ـ وكانوا يقومون بأعمالهم ـ مخلصين ـ لأجل

منافع عباد الله - وهي عبادة ثمينة - ويبذلون جهدهم للصالح العام وراحتهم ورقي الحياة الاجتماعية وكمالها ، فان تلك الرموز والارشادات القرآنية كافية بلا ريب لأولئك الذوات المرهفي الاحساس، ووافية لتقدير مهاراتهم وتشويقهم الى السعي والاجتهاد ·

ولعلك تقول :

- لم تبق لديّ الآن - بعد هذا التحقيق - شبهة ، فقد ثبت عندي بيقين ، وصدقت ، أن القرآن الكريم فيه جميع ما يلزم السعادة الدنيوية والاخروية كل حسب قيمته وأهميته ، فهناك رمز واشارة لخوارق المدنية الحاضرة بل الى أبعد منها من الحقائق الاخرى · ولكن لِمَ لا يذكر القرآن الكريم تلك الخوارق بصراحة تامة تجبر الكفرة العنيدين على التصديق والايمان، وتطمئن قلوبنا فتستريح؟··

الجواب :

ان الدين امتحان ، وان التكاليف الالهية تجربة واختبار من أجل أن تتسابق الارواح العالية والارواح السافلة ، وتتميزا بعضها عن بعض في حلبة السباق ·

نعم أنه مثلما يختبر المعدن بالنار ليتميز الماس من الفحم والذهب من التراب ؛ كذلك فان التكاليف الالهية في دار الامتحان هذه ·· ابتلاء وتجربة وسَوق للمسابقة حتى تتميز الجواهر النفيسة لمعدن الفطرة من المعادن الخسيسة · فما دام القرآن قد نزل - في دار الابتلاء هذه - بصورة اختبار للانسان وليتم تكامله في ميدان المسابقة ، فلابد انه سيشير - اشارة فحسب - الى هذه الامور الدنيوية الغيبية التي ستتوضح في المستقبل للجميع ، فاتحاً للعقل باباً بمقدار اقامة حجته · والا فلو ذكرها القرآن الكريم صراحة ، كان مما يخلّ بحكمة التكليف فتصبح بديهية مثل : كتابة (لا إله إلاّ الله) واضحاً بالنجوم على وجه السماء والذي يجعل الناس - أرادوا أم لم يريدوا - عندئذ مرغمين على التصديق · ومن ثم فما كانت

مسابقة ولا اختبار اذن ولا تمييز ، فحينئذٍ تتساوى الارواح السافلة التي هي كالفحم مع التي هي كالماس(١) ·

والخـلاصـة :

ان القرآن العظيم ، حكيمٌ ، يعطي لكل شيء قدره ، حسب مقامه ، ويرى القرآن من ثمرات الغيب : التقـدم الحضاري البشري قبـل الف وثلاثمائة سنة ، المستترة في ظلمات المستقبل ، أفضل وأوضح مما نراهـا نحن – وسنراها – لذا فالقرآن كلام من ينظر الى كل الازمنة بما فيها من الامور والاشياء في آن واحد ··· فتلك لمعة من الاعجاز القرآني ، تلمع في وجه معجزات الانبيـاء ·

اللهم فهمنا اسرار القرآن ووفقنا لخدمته في كل آن وزمان ·

(١) فكان أن ظهر ابو جهل اللعين مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه في مستوى واحد · ! ولضاع التكليف ·

سؤال وجواب

[حاشية المثال الثالث من النقطة الثالثة للسبب الخامس من الاسباب المانعة للاجتهاد في الوقت الحاضر من الكلمة السابعة والعشرين]

سؤال مهم : يقول بعض اهل العلم والتحقيق :

لما كان كل من الالفاظ القرآنية ، والاذكار المأثـورة ، والتسبيحات الواردة ، تنور شتى جوانب اللطائف المعنوية للانسان وتغذيه روحيا ، اذن ألا يكون من الافضل أن يصوغ كل قوم تلك الالفاظ وفق لسانهم الخاص حتى تفهم معانيها ؟ اذ الالفاظ وحدها لا تفي بالغرض المطلوب وان هي في حقيقتها الا ألبسة وقوالب للمعاني ؟!

الجـــواب :

ان لفظ الكلمات القرآنية ، والتسبيحات النبوية ، ليس لباسا جامدا يقبل التبديل والتغيير وانما مثله مثل الجلد الحي للجسد ، بل انها أصبحت فعلاً جلدا حيا بمرور الزمن ، ولا جدال في ان تبديل الجلد وتغييره لمـا يضر الجسم .

ثم ان تلك الكلمات المباركات في الصلاة ، والذكر ، والاذان ، أصبحت (اسماً) و (علماً) لمعانيها العرفية والشرعية ، ولذلـك لا يمكن تبديل الاسم والعَلم .

ولقد توصلت الى هذه الحقيقة ، بعد التأمل والامعان لحالـة مرت عليَّ ، وهي :

عندما كنت في يوم عرفة اقرأ سورة الاخلاص مائة مرة مكررا اياهـا باستمرار لاحظت :

ان قسماً من حواسي الروحية اللطيفة ، بعدما أخذت غذاءها بالتكرار قد ملّت وتوقفت ؛ اذ أن قوة التفكير فيَّ قد توجهت الى المعنى ، فأخذت حظها ، ومن ثم توقفت وملّت . وان القلب الذي يتذوق المعاني الروحية ويدركها ، هو الآخر قد سكت ، بعدما أخذ نصيبه من التكرار .

بينما بالمواظبة والتكرار المستمر على القراءة رأيت ان هناك قسماً من اللطائف في الكيان الانساني لا يمل بسرعة ، فلا تضره الغفلة التي تضر قوة التفكير ، بل أنه يستمر ويداوم بحيث لا يدع حاجة الى التدقيق والتفكر في المعنى ، اذ يكفيه المعنى العرفي الذي هو اسم وعَلم . ويكفيه المعنى الاجمالي لتلك الالفاظ الغنية المشبعة ، بل ربما يورث سآمة ومللا حينما يبدأ التفكر بالمعنى ، ذلك لان تلك اللطائف لا تحتاج الى تعلم وتفهيم بقدر ما هي بحاجة الى التذكر والتوجيه والتشويق .

لذا فان اللفظ الذي هو أشبه بالجلد يكفي في اداء وظيفة المعنى ، وخاصة ان تلك الالفاظ العربية هي مبعث فيض دائم ، اذ أنها تذكر بالكلام الالهي والتكلم الرباني .

فهذه الحالة التي جربتها بنفسي تبين لنا :

ان التعبير بأي لغة كانت غير اللغة العربية عن حقائق الاذان وتسبيحات الصلاة ، وسورة الاخلاص والفاتحة التي تتكرر دائماً ، ضار جداً . ذلك لأن :

اللطائف الدائمة تبقى محرومة من نصيبها الدائم بعد أن تفقد المنابع الحقيقية للالفاظ الالهية والنبوية . وانه يضيع على الاقل عشر حسنات لكل حرف .

ولعدم دوام الطمأنينة والحضور القلبي لكل واحد في الصلاة ، فان التعابير البشرية المترجمة ـ عند الغفلة ـ تبعث ظلمتها في الروح .

نعم ، فكما قال الامام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه أن : (لا إله إلا الله) اسم وعَلم للتوحيد . كذلك نقول :

ان الاكثرية المطلقة لكلمات التسبيحات والاذكار وخاصه للمات الاذان والصلاة والذكر ، أصبحت بمثابة الاسم والعلم ، فتنظر الى معانيها العرفية الشرعية أكثر من النظر الى معانيها اللغوية ، فلا يمكن – شرعا – تبديلها مطلقا ٠

أما معانيها التي لابد أن يفهمها كل مؤمن ، فان أي شخص عامي يمكنه أن يفهم ويتعلم مجمل معانيها في أقصر وقت ٠ ولكن كيف يعذر ذلك المسلم الذي يقضي عمره مالئاً فكره وعقله بما لا يعنيه من الامور ولا يصرف جزءاً ضئيلاً من وقته لفهم تلك المعاني التي هي مفاتيح حياته الابدية وسعادته الدائمة ٠ بل كيف يعتبر من المسلمين وكيف يقال عنه انه انسان عاقل !!

فهل من العقل في شيء أن تفسد تلك الالفاظ التي هي مستودع منابع تلك الانوار لاجل تقاعس هؤلاء الكسالى ؟!!

ثم انه عندما يقول أي مؤمن ، بأي لغة يتكلم : « سبحان الله » فانه يعلم أنه يقدس ربه جل وعلا ٠٠٠ الا يكفي هذا القدر ؟! بينما اذا حصر اهتمامه بالمعنى المجرد ، بلسانه الخاص ، فانه لا يتعلم الا حسب تفكيره وعقله ، ويبقى محروما من ذلك (اللفظ) الذي هو منبع ومدار لكثير من الانوار والفيوضات ، بما يفوق مئات المرات حظوظ العقل والفكر مع ما فيه من المعنى الاجمالي الذي سرى فيه وامتزج معه ٠

نعم ، ان تلك الالفاظ العربية لها أهميتها وقداستها وأنوارها وفيوضاتها ذلك لانها كلام الهي ٠

ومجمل القول :

أنه لا يمكن أن يقوم مقام الالفاظ القرآنية التي هي محافظ منابع للضروريات الدينية أي لفظ آخر ، ولا يمكن لأي لفظ آخر أن يحل محلها قطعاً ، ولا أن يؤدي الغرض منها بقدسيتها ، وسموها ، ودوامها ، وان أدى موقتاً جزءاً ضئيلاً منها ٠ أما الأمور الدينية من غير الضروريات فليس

هناك حاجة الى تبديل الفاظها ايضاً لأن تلك الحاجة تندفع بالمواظبة على النصيحة والارشاد والوعظ ٠

والنتيجــة :

ان شمولية اللغة العربية وسعتها ، والبيــان المعجــز في الالفــاظ القرآنية ، لتحولان تلك الالفاظ عن الترجمة ، ولذلك فلا يمكن ترجمتهــا قطعاً ، بل انه محال ٠ ومن كان يَساوره الشك من هذا فليراجع (الكلمة الخامسة والعشرين)(١) في المعجــزات القرآنية ليرى منزلة الآية الكريمة بأعجازها وتشعبهــا وشمولهــا وجمالهــا ومعناهــا الرفيع واين منهــا « الترجمة » التي هي معنى مبتور بل ناقص وقاصر ٠

---

(١) رسالة رائعة جليلة تبين اعجاز القرآن باربعين وجهاً وتظهر اعجازه الى طبقات البشرية كافة ٠/م ٠

الفهرس

تم طبع الكتاب في شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٠٣ هـ

رقم الايداع في المكتبة الوطنية في بغداد ٨٣٤ لسنة ١٩٨٣

تم طبع الكتاب في ١٠ تموز ١٩٨٣ بعدد ٣٠٠٠

على الرغم مما يمتاز به اسلوب «النورسي» من بلاغة رشيقة ، فان علميته غالبة ؛ فعباراته موزونة بموازين الادلة والمنطق ، وهو اسلوب اشبه ما يكون بالرياض اليانعة ، يقصر بعض اغصانها فيسهل على كل متناول ، ويطول بعض فروعها فيكد الفارع المتطاول ؛ لذا لا يبقى القارىء مطالعا له فحسب ، بل ينتقل - بتكرار القراءة - الى الدراسة والمحاكمة العقلية، فالتفاعل مع المضمون ، فالعيش في اجواء ايمانية زكية.

الثمن : دينار ونصف